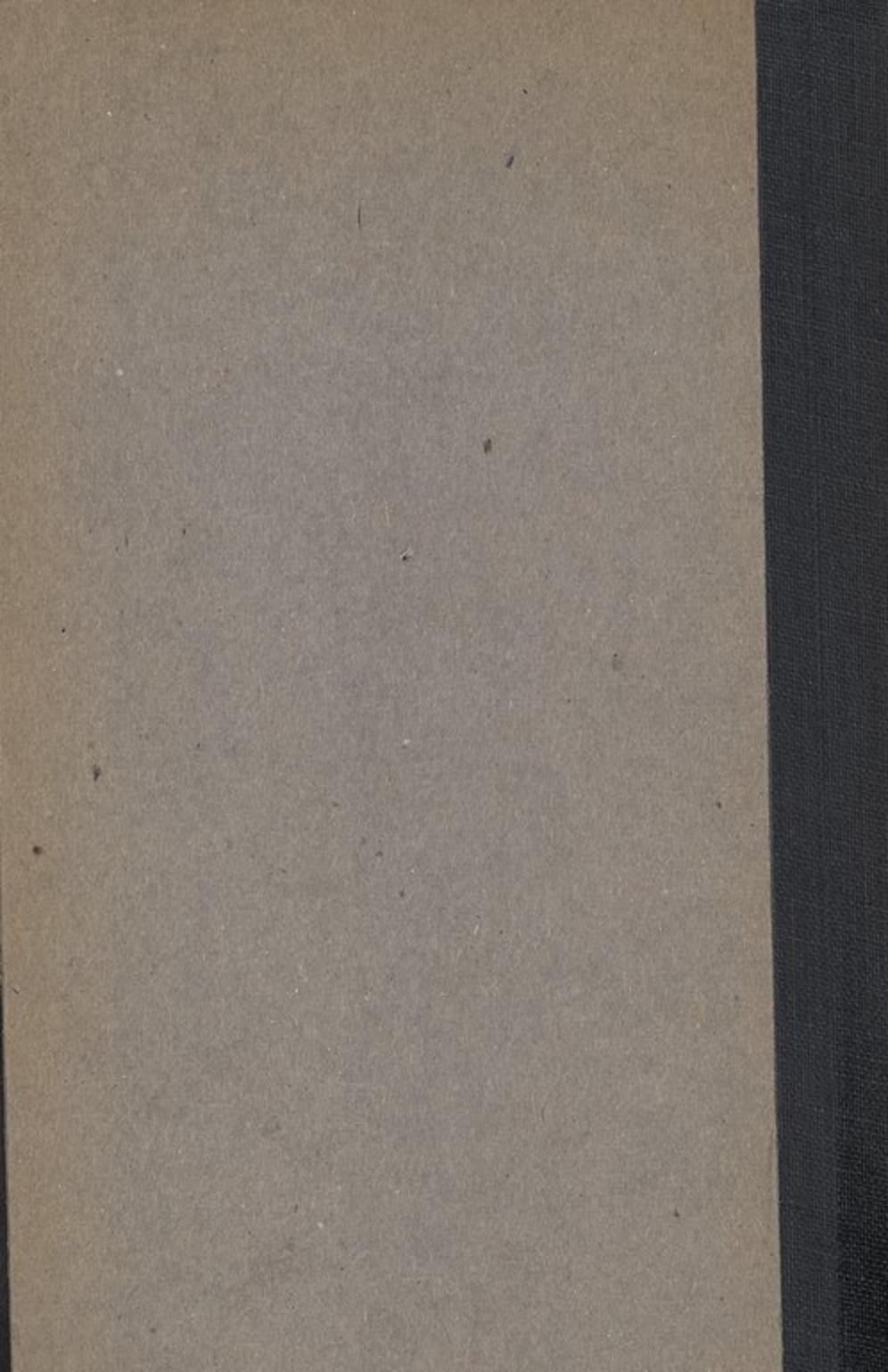




2274

9765

361

2274.9765.361

Subhi

Ma'arik al-Sharq al-Awsat

vsat

DATE _____

ISSUED TO

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

Princeton University Library



32101 072237249

من التاريخ الحربي

معارك الشرق الأوسط

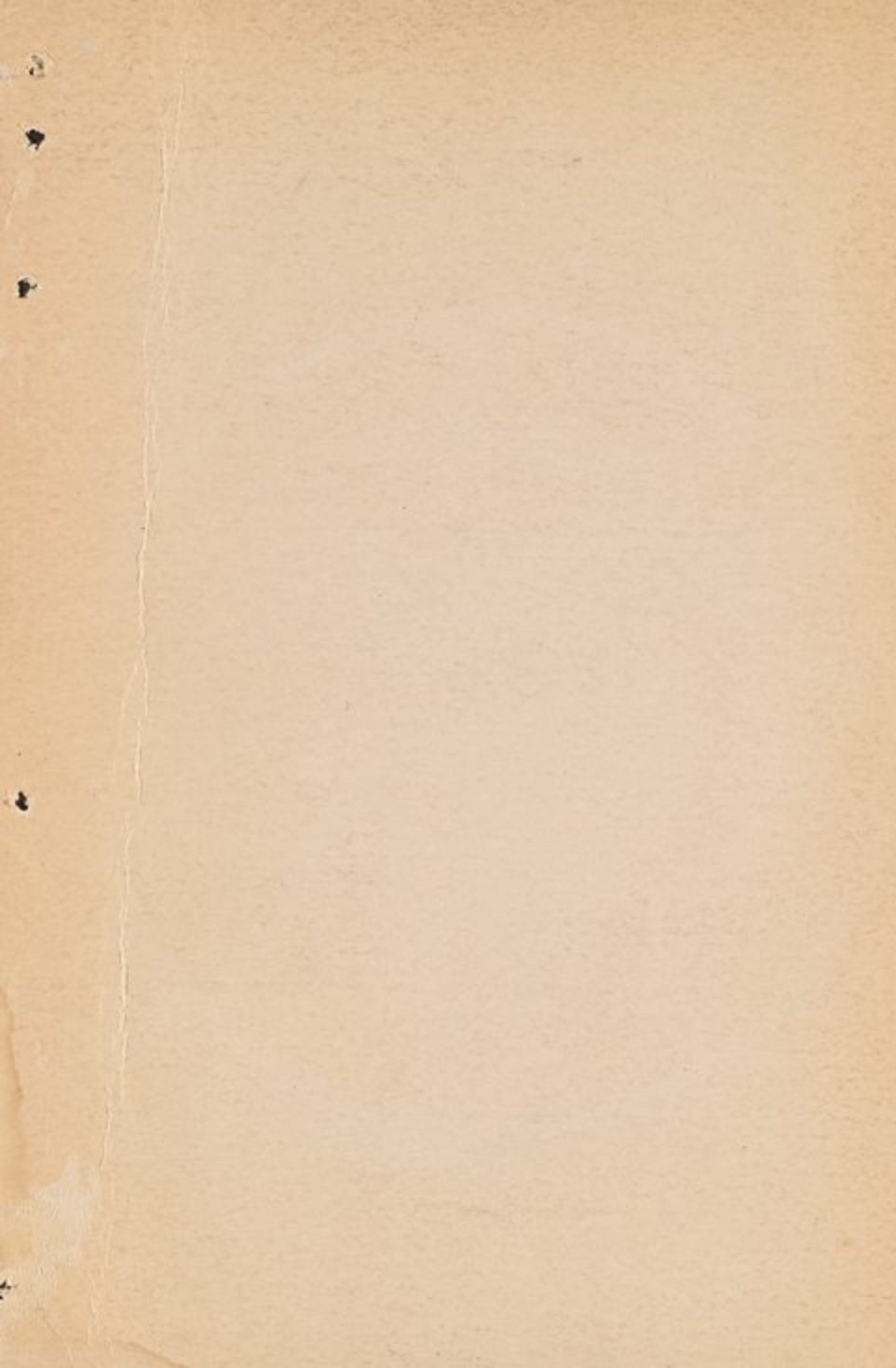


محمود صبحي

لواء أركان الحرب

أحمد سوفي عبد الرحمن

أمير لواء أركان الحرب



Subhī, Mahmūd

من التاريج الحربي

Ma'arik al-Sharq al-Awsat

معارك الشرق الأوسط

١٩٣٩ - ١٩٤١

الجزء الأول

الأمير لاي أركان الحرب

أحمد نوفي عبد الرحمن بك

اللواء أركان الحرب

محمود مصطفى بك

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٩٥٠

(RECAP)

2274

·9765

·361

تصدير

« اقرأ ، ثم اقرأ ، حملات كبار القادة »

[نابليون]

4-26-69

1985

الشرق : مهد الفلسفات والأديان .

مسرح المعارك الحاسمة في كل زمان .

شهد التاريخ في طفولته ، الغزاة من كبار القادة في العالم ،
يزجون جيوشهم ، ويلتقون فوق أرضه ، يتقاتلون • ودان المجد
لمن اعترف الشرق بعظمته ، وعبقريته ، فكتب اسمه في سجل
الخالدين الى جوار : تحوتمس ، ورمسيس ، والأسكندر ، وقيصر ،
وخالد ، وعمر ، وقطر ، وبيرس ، ومحمد على ، وابراهيم ،
والنبي ، وويثل ، ورومل ، وموتجمرى •

لقد كرر التاريخ نفسه غير مرة في معارك الشرق الأوسط ،
مخالفاً بذلك القول المأثور بأن « التاريخ لا يعيد نفسه » •
ان المسرح ، والجو ، والنفوس البشرية ، ومبادئ الحرب ،
لم تتغير على مر العصور • • • وكان النصر حليف القائد الذي
اتعظ بغيره ، وتنكب أخطاء سلفه • • القائد الذي درس فوعى ،
وقرأ فعلم ، وعلم فعمل •

لقد نصح نابليون ضباطه بأن يقرأوا سير الحملات التي قام
بها كبار القادة ، وأن يعيدوا قراءتها مرارا ، وتكرارا ، لأن فيها
الأمثلة العملية على تطبيق مبادئ الحرب ، ومدى تأثير الطبيعة
البشرية بالظروف التي تسود المعركة • • • ونابليون في هذا يتمثل
بالقادة الأقدمين • فلقد كان تحوتمس يدرس معارك أجداده
البارزين مثل « سنوسرت الثالث » وقد رفعه الى مصاف الآلهة ،
بوصفه بطل مصر العسكري •

وكان تيمورلنك كما روى مؤرخه « نولس » Knolles يقضى شطرا كبيرا من الليل في الاطلاع على تاريخ المعارك التي خاضها أسلافه ، « لا ليقطع الوقت ، بل ليستفيد . . . فيحذو حذوهم فيما أصابوا من نجاح ، ويتجنب الأخطار التي تورطوا فيها بسبب رعوتهم أو عدم تبصرهم » فاذا علمنا أن هذا القائد كان قد جاوز السبعين عاما ، فان في دراسته للتاريخ الحربى ، مثلا مشرقا للضباط في مستهل خدمتهم •

ولا أقصد بدراسة التاريخ الحربى للمعارك ، قصرها على استراتيجيتها ، وتكتيكاتها فحسب ، بل يجب دراسة العوامل السيكولوجية ، والادارية ، ونظام القيادة ، وأثرها فى الضباط والجنود . . .

لقد كان أَلنَّبى يسأل « السير هبرت ايسن » Sir Hobart Easen من مشاهير الأطباء البريطانيين ، عما يعلمه عن الأمراض التى أصابت الجنود فى تاريخ الحروب فى مصر وفلسطين فيخبره « السير هبرت » بأنه قد ترجم مذكرات « لارى » Larry ، كبير أطباء نابليون الشهير الذى رافقه الى مصر ، والتى تناولت أمراض العين ، « الرمد » على الخصوص — ثم ذكر لألنبى أن الوباء الرمدى قد أفضى الى اصابة عدد كثير من جنود نابليون بالعمى ، أثناء حملة عام ١٧٩٨ — ١٨٠١ • وأضاف « ايسن » بأنه قد أعد تقريرا ضافيا فى هذا الموضوع ، وأرسله الى وزارة الحرب ، فطلب أَلنَّبى منه صورة من هذا التقرير •

ولم يكتف أللنبى بهذه الأحاديث ، بل أرسل فى طلب الخبراء فى كل علم ، أو فن يمس حملته فى فلسطين : من عالم النبات والحيوان ، الى الخير فى علم تخطيط البلدان ، كى يستير بأفكارهم فى شتى المسائل التى تعرض له ... واختار مكتبة حافلة ، حملها معه الى الجبهة ... فقرأ منها كتاب « فجر التاريخ » لميرس ، و « الشرق القديم » لهوجارت ، وتاريخ « هيرودوت » وتاريخ الحروب الصليبية ... كان يقرأ ، ويبحث ، ويدرس ، ويحفظ فى ذاكرة لا تفلت شيئاً .. وقد كان نتيجة لهذا ، يعرف الطرق التاريخية القديمة التى تخترق سيناء معرفة الخير الواثق .

وكان يعتقد أللنبى أن فى هذا المكان من الشرق الأوسط ، سوف يعيد التاريخ نفسه . وكان يقول منذ البداية : « ان المعركة الحاسمة فى هذه الحملة ، ستدور رحاها فى ممر مجدو » .

ويحدثنا المؤرخ الدكتور « ولسن » بأن أللنبى درس تاريخ معركة تحوتمس الثالث دراسة وثيقة ، وحذا حذوه فى احراز النصر على الأتراك ، فى اختراق ممر « عرونا » الذى سلكه قبله قائد مصر العظيم .

دخل أللنبى مرة الى معمل « بكتريولوجى » فى « اللد » فوجد على الجائط رسوما بيانية ، فاستفسر عن معناها ، فأجابه طبيب المعمل : « ان هذه يا سيدى بيانات عن حالات الملاريا الخبيثة فى « وادى شعرون » ... ولعلها كانت السبب الذى حال بين « ريتشارد ، قلب الأسد » وبين بلوغ بيت المقدس ، فان جيشه قد

حطمته الحمى ، ولقد تبينت أنه نزل من الساحل في سبتمبر ، بينما كانت الملاريا الخبيثة على أشدها » .

مثل هذه المعلومات كان يعدها ذلك القائد الكبير من نعم الله عليه ، وكانت لاتبرح خاطره على مر الأيام ...

فالغاية من الامام بالموضوعات التي تمس مهنتنا العسكرية ، ليست مجرد تثقيف الذهن ، أو الاحاطة بالعلم ، بل هي اكتساب المقدرة على تطبيق المعرفة على المسائل الواقعة ، واعداد العقل للتصرف في الأمور غير المتوقعة . وقد عبر المارشال « فوش » عن ذلك بقوله : « ليس من الممكن القيام بالدراسة في ميادين القتال ... فان المرء في الميدان ، يبذل ما يستطيع لكي يطبق ، ما يعرف . فابتغاء القيام ، ولو بقسط يسير من العمل ، يتطلب أن يعرف المرء الشيء الكثير وأن تكون معرفته به وثيقة » .

وان هدفنا من تأليف هذا الكتاب هو عرض « معارك الشرق الأوسط » في فترة هامة من تاريخ الحرب العالمية الثانية ، كانت مليئة ، بالمثل العلمية ، والدروس الاستراتيجية ، والتكتيكية ، والادارية، والسياسية، والسيكولوجية ، والاقتصادية .. والمسائل التي واجهت القادة والساسة ، والقرارات التي اتخذت ، وحل المشكلات ، وتدبر المعضلات ... وقد رجعنا الى أكثر من مرجع هام ، مدعين الدراسة بالوثائق التاريخية الميسورة ، عاملين على ابراز آراء النقاد من المؤرخين المحايدین مع وجهات النظر المتعددة ، معارضة ، أو مؤيدة .

ولما كان من أَلِزم الأمور في دراسة المعارك الحربية ، والحملات ،
الالمام ببواعث الشخصيات التي عهد إليها بالأدوار الرئيسية ،
وصفاتهم ، وأخلاقهم ، وكفايتهم ، فقد قمنا بعرض موجز لحياة
ويشل ، ورومل ، قائدَي الصراع ، عملا بقول ويشل : « إذا علمت
أن نابليون قد أحرز النصر في حملته سنة ١٧٩٦ ، بطريقة المناورة
على الخطوط الداخلية ، أو بعبارة أخرى مماثلة ، فليس لهذه
المعلومة قيمة تذكر ، وأما إذا أمكنك أن تدرك كيف استطاع
شاب صغير مغمور ، أن يث روح الحماسة في جيش نصف جائع ،
رث الثياب ، متمرد ، حتى جعله يقاتل ، وكيف بعث فيه النشاط ،
والقوة الدافعة حتى سار وحارب مثلما فعل ، وكيف استطاع أن يمد
سلطانه ، وسيطرته على قواد أكبر منه سنا ، وأوفر تجاربا ...
اذن تكون قد تعلمت شيئا ... » .

والواقع أن جرازياني لو كانت لديه معلومات وافية عن سيرة
ويشل : شخصيته ، وخلق ، وآرائه ، ومؤلفاته ، ودراساته ... لو قرأ
« حملة فلسطين » التي وضعها ويشل ، وكانت تباع في كل المكتبات
العامة ، في العالم كله ... لما حلت به وبجيشه كارثة
« سيدى برانى » ، وما استتبع ذلك من نكبات في ليبيا كلها .
ان ويشل قد طبق في عملياته ما شاهده فعلا في « حملة فلسطين » ،
من أساليب الخداع ، والتضليل ، مع الفارق في التطورات العلمية
الحديثة التي نشأت ، فبدلا من فرق الفرسان ، وجدت التشكيلات
المدرعة الخ ... ولقد قال المارشال « ولسن » في تعقيبه على هذه

المعركة الناجحة : « ان تكتيكاتنا كانت تتمشى مع أحدث طبعة من « قانون خدمة الميدان » الذى درب الجيش بموجبه فى العاملين أو الثلاثة الأخيرة قبل ١٩٣٩ ، لقد طبقناه على ظروف الصحراء ، وانتفعنا الى أقصى حد ، بقوة الحركة ، التى هيأتها لنا « الآلة ذات الاحتراق الداخلى » ، ولقد راعينا مبادئ : المفاجأة ، وخفة الحركة ، والحشد ، وتعاون الأسلحة كلها . وان من بواعث الرضا والاشتغال لويقل ، الذى قام بدور رئيسى فى اخراج هذا القانون ، أن يرى ثمار عقائده تؤتى أكلها » .

وكان من الميسور لمخابرات الايطاليين أن تحصل على قانون خدمة الميدان ، وأن يدرسوه كى يلموا بتكتيكات القائد الذى يحاربهم ، ولكنهم قصرُوا فى ذلك .

ومن ناحية أخرى فان ويقل لو كان على علم بشخصية رومل لكان له معه شأن آخر . فان المخابرات البريطانية لم تكن تعلم الا القليل عنه كجندى أو كرجل ، وذلك لأن البريطانيين قد اعتمدوا على حلفائهم الفرنسيين بأن يمدوهم بسير القواد الألمان ، وبالتفاصيل الشخصية عنهم التى بها يتمكن القائد من تقدير خصمه ، ولكن انهيار فرنسا حال دون ذلك . وكان كل ما وصل الى ويقل عن « رومل » من وزارة الحرب البريطانية هو أنه « قد أبلى بلاء حسنا فى الحرب العالمية الأولى ، وأثناء قيادته لاحدى الفرق الألمانية فى فرنسا ، ابان الحرب العالمية الثانية ، ولكنه لا يعد بحال من الرعيل الأول من قواد الألمان الممتازين ، ثم ذكر التقرير أنه « نازى »

متطرف ، وأن اختياره للقيادة بشمال أفريقيا كان صادرا عن
محسوبة حزبية ! » .

ولاشك في أن هذا تقصير واضح في اعداد البيانات الوافية عن
كبار الضباط ، لأن على دراسة شخصية القائد يتوقف نجاح
المعركة أو فشلها ، قال نابليون : « اذا عرفت أخلاق خصمى ،
وصفاته ، تنبأت بما سيفعله ، تنبؤا صحيحا » .

وكان موتجمرى يحتفظ بصورة كبيرة ملونة لرومل ،
فوق مكتبه مباشرة ، قد ثبتها على حائط مركز قيادته المتنقل فى
العلمين ، الى جوار الخرائط العسكرية ، يحاول أن يستقرئ منها
شخصيته ، ويعرف ما يجول بخاطره .

وكان من عادته ، كلما وقع نظره عليها ، أن يسأل نفسه :
« والآن ماذا كان يفعل رومل فى هذه المسألة ؟ ... ماذا كنت
أفعل أنا ، بفرض أنى رومل ؟ » ... كان موتجمرى يدرس
الصورة بدقة وعناية يتأمل : ذقن رومل العازم ، وفمه الصارم ،
ونظراته الواثقة ، ورقبته الغليظة ، ورأسه الكبير ... وكان
موتجمرى يهتم كثيرا بالأبناء التى تصل اليه عن منافسه ، من آن
لآخر . ومن الغريب أنه كان يحسّ بأنه عندما ينظر الى الصورة ،
ويحاول وضع نفسه ، فى مكان شخصية خصمه ، كان يستطيع أن
يتدسس الى مواطن ضعفه ، ويدرك مكامن عيبه . كان ينظر الى
المعركة كأنها صراع شخصى ، ونضال بين عقليتين ، بين رومل
وشخصه .

والمعركة ، بعبارة أخرى ، تشبه مباراة في « شد الحبل » ،
تتوقف نتيجتها على قوة الفريقين النسبية . فالقيادة ، والجنود ،
ومعنوياتهم ، ومواردهم ، تشبه مزايا الفريق من ناحية لياقته ،
ودربته ، وحماسته .

ولا ريب في أن كسب المعركة ، رهن باتباع «مبادئ الحرب» التي
نجمها فيما يلي :

المحافظة على الغرض :

اختيار الغرض والتمسك به « أساس المبادئ » ، ولذا كانت له
الأولوية . وينبغي أن يكون الغرض النهائي هو « شل عزيمة
العدو عن مواصلة القتال » .

العمل الهجومي :

لا أمل في بلوغ النصر الا بعد السيطرة التامة على الموقف ،
والشروع في العمل الهجومي .

الحشد :

يتوقف النجاح على حشد قوة متفوقة على قوة العدو المعنوية
والمادية في المكان ، والزمان الحاسمين .

الاقتصاد في القوة :

حفظ التوازن في استخدام القوات ، والتصرف الحكيم
في الموارد ، رجاء تهيئة حشد قوى في المكان ، والزمان الحاسمين .

المفاجأة :

عناصر المفاجأة هي سرية العمل ، والتمويه ، والخداع ، والابتكار ، والجرأة ، والسرعة .

الأمن :

تتوافر حرية العمل والمبادأة ، بتوافر الأمن ، ووقاية القوات ، والمرافق ، من المفاجأة . ولا يعنى هذا الغلو فى الاحتياط ، فان العمل الجرىء من مستلزمات النجاح فى الحرب .

التعاون :

دعامة كل نجاح ، وهذا يقتضى تنسيق جميع الوحدات ، والأسلحة للانتفاع بجهودها الجماعية ... بل تعاون الأمة ، بكل مواردها لنجاح عمليات قواتها .

خفة الحركة :

تتطلب الحروب الحديثة من القائد مرونة الفكر ، وسرعة البت ، ومن الجنود كمال التدريب ، والتنظيم ، والمعدات ، والضبط والربط ، وأعمال أركان الحرب ، وتتطلب أيضا خفة الحركة المادية بدرجة عالية ، أعنى حشد القوات بوجه السرعة ، والاقتصاد فى الوقت ، وبلوغ النصر بأقل ثمن وفى أقصر وقت .

وهناك عوامل أخرى ، قد يذهب البعض الى اعتبارها مبادئ اضافية وهى :

١ - القيادة :

قيادة الجيوش فى الحرب من أسمى ألوان النشاط الانسانى ، اذ أن القائد الذى تأتمنه دولته على أرواح صفوفه أبنائها ، فى ميدان الحرب ، ينبغى أن يكون على مزايا ممتازة :

على « شخصية » تكون مصدر الالهام لجنوده ، ومبعث الثقة في قيادته .

على « معرفة » بظروف جنوده ، وأهليتهم ، وقدرتهم ، وأن يقدر تقديرًا صادقًا ، خصائص جنود العدو ، وقوتهم ، ومواقعهم ، وشخصية قائدهم وصفاته ، (هذا طبعا من واجب مخابراته ، وأركان حربته) .

على « كفاية » في وضع الخطط وفق مبادئ الحرب ، والسنن الاستراتيجية السليمة .

٢ - القوات :

ينبغي أن تكون على « كفاية فنية » تشمل لياقتهم البدنية ، ومهارتهم في استخدام الأسلحة ، وبراعتهم في المناورة التكتيكية . فالجنود المدربة يكون النصر حليفها ، والعكس بالعكس .

٣ - الروح المعنوية :

كل ما يؤدي إلى تقوية العزم على بلوغ النصر ، وكل ما يدعم روح الجنود في المعركة ، ويسمو بها ، ويحافظ عليها .

٤ - الموارد :

- العدد — عدد الجنود والأسلحة .
- التسليح — نوع الأسلحة وخصائصها .
- التموين — الطعام ، السلاح ، الذخيرة ، العتاد ، المهمات .
- النقلات — نقل الجنود ، والمواد ، رهن بعدد ، ونوع :

المركبات ، والوقود ، والطرق ، والسكة الحديدية ، وتسهيلات النقل بالطائرات •

وهناك عوامل متقلبة لا يمكن تقديرها ، قد تؤثر في نتيجة المعركة ، وهى ذات طبيعة عرضية ، وقتية ، ويمكن حصرها فى :

١ - المسرح : أو بعبارة أخرى « الأرض » ويختلف حسب العمليات التى يجرى عليها ، فقد تلائم سير الدبابات (مثل الصحراء الغربية) أو تعوق سيرها ، فتصبح المشاة سيدة الموقف • وهذا العامل يمكن تقديره •

٢ - الجو : ويتبدل الجو فى معظم الدول من يوم الى يوم ، ولا يمكن تقديره ، ولكن تقدم « علم الظواهر الجوية » قد يسر التنبؤ به •

٣ - الحظ : الحوادث غير المتوقعة فى الحرب ، تقع تحت هذا العنوان : « الحظ » وقد تفضى الى اعاقه الاجراءات وتحول دون بلوغ أفضل النتائج ... وهذا ما يسميه « كلاوزو و قتز » « احتكاك الحرب » Friction de guerre ، وهذا لا يمكن تقديره ، وان كان يعمل حسابه فى كل العمليات ... كان نابليون يقول : « أضع تقديراتى بفرض أن الحظ سيكون ضدى » •

فاذا طبقنا هذه العوامل على مثل « شد الحبل » ، الذى ذكرناه فقد تكون « الأرض » ، مبتلة أو جافة ، منحدره أو مستوية ، وقد يتمثل « الجو » فى وجود الشمس فى أعين أحد الفريقين فلا يرى « الممرن » جيدا ويتمثل « الحظ » فى رمى الحكم قطعة

النقود والتقاطها (القرعة) لمعرفة من له حظ اختيار المكان غير المواجه للشمس ، أما « احتكاك الحرب » فيتمثل في أن تنزل قدم أحد رجال الفريق « التيم » فتلوى •

والغاية من هذا الاستطراد ، واجمال « مبادئ الحرب » ، ثم ذكر العوامل التي يطلق عليها البعض : المبادئ الإضافية ، هو انعاش ذاكرة القارئ ، قبل أن يبدأ في مطالعة المعارك ، مطالعة الفاحص المدقق ، حتى تكون القراءة نافعة مجدية •

ولا تتم الفائدة الا اذا تمثل القارئ نفسه في مكان القائد ، بعد احاطته بالموقف وملايساته في وقت المعركة ، والمامه بالمعلومات: عن العدو ، وعن حالة الموقف الادارى ، والمشاكل المختلفة ، التي واجهت القائد ، ثم يقرأ التعليقات التي أوردناها ، ثم يصدر قراره بعد ذلك : للقائد أو عليه •

فاذا كانت المطالعة على هذا النسق ، فالمرجح أن القارئ وهو قائد الغد ، قد خطا خطوة عملية في اعداد نفسه على مواجهة المسائل التي أخذ نطاقها يتسع ، ويمتد *** أعنى مسائل المستقبل ، المرتقب حدوثها ، تبعا لتبدل الظروف ، وتطور الحوادث •

ولعل المسائل ، والمشاكل ، والمصاعب ، التي واجهت ويثقل في هذه الفترة ، التي تؤرخ لها ، قد تبرز مرة أخرى ، فنكون قد أفدنا من دروس الماضي ، واتخذنا الأهبة للمستقبل •

فلقد استهدف الشرق الأوسط في جيلنا لخطر حربين عالميتين ،

وها هو ذا على أبواب حرب ثالثة • وأهميته الاستراتيجية التي
ستظل سببا في عدوان المتنافسين ، تتلخص في أنه :

١ — معبر الاتصال بين الشرق والغرب •

٢ — يقع في طريق الغزو المحتمل الى الشرق الأقصى ،
وهو الطريق نفسه الذى سلكه ، الإسكندر الأكبر ، وحاول
كل من نابليون ، وقيصر ألمانيا الأسبق ، وهتلر ، أن يسلكه •

٣ — مفترق طرق المواصلات العالمية البرية ، والجوية ،
والبحرية •

٤ — من أعظم موارد البترول في العالم •

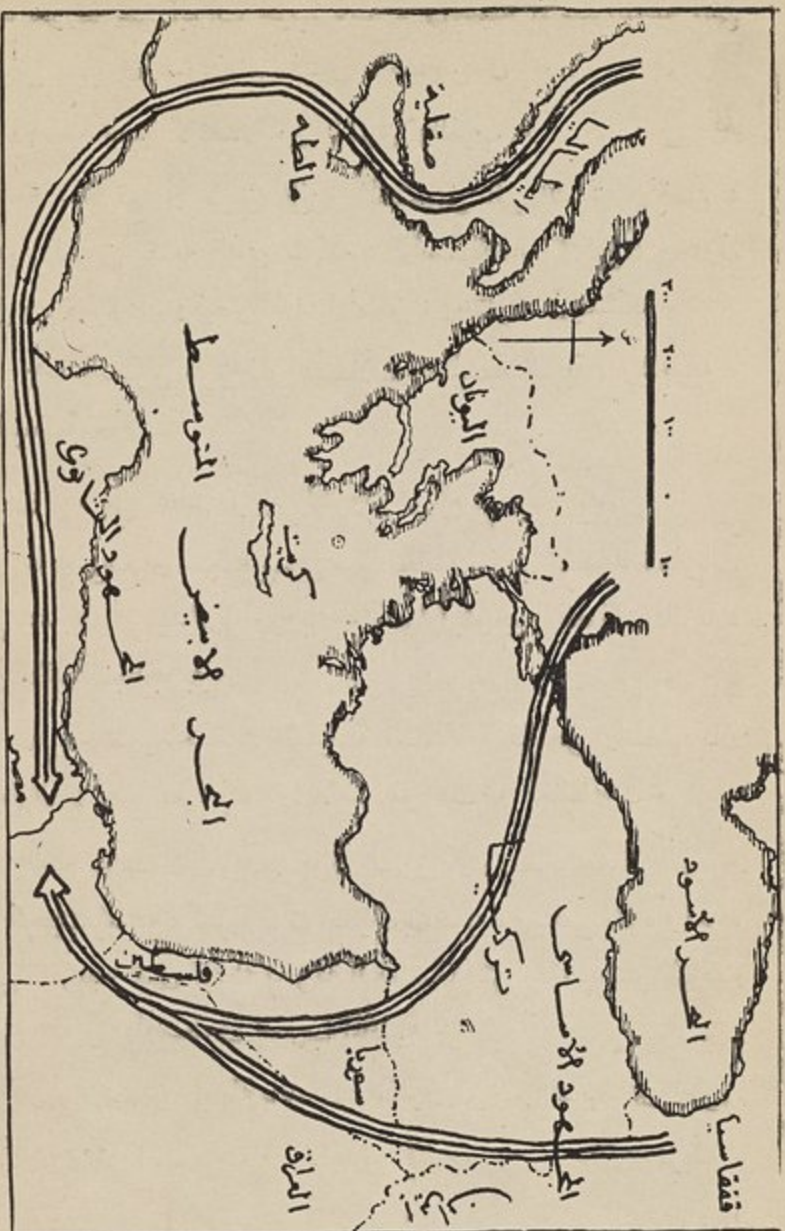
٥ — يقع في منطقة يسهل منها لحلفاء الغرب تسديد الضربات
الى عدوهم في ميدان (أوروبا — آسيا) بتوجيه الحملات البرية ،
أو الاغارات الجوية •

٦ — مشار احتكاك السياسة العالمية • فالبحر الأبيض كان
ومازال « بحر الصراع » بين الامبراطوريات أو العظماءات •

لهذه الأسباب سوف يكون الشرق الأوسط ، هدف الهجوم
في الحرب المقبلة ، كما كان في الحرب الماضية ، وتكفى نظرة واحدة
الى الخريطة لتبين الخطة (حركة الكماشة) التى أعدها هتلر للزحف
على الشرق الأوسط في الحرب الماضية •

ولعل هذه الخطة بالذات ، تكون موضع التنفيذ في الحرب
المقبلة ...

خطة الألمان في مهاجمة الشرق الأوسط



وبعد ... فان مصر التى قامت بدور هام فى الحربين العالميتين الماضيتين ، وكانت قاعدة هامة خرجت منها الجيوش بعد أن دربت ، وجهزت ، وأعدت للمعركة ، فانتصرت فى معركتين حاسمتين ... مجدو عام ١٩١٨ ، والعلمين عام ١٩٤٢ ، وساهمت الحكومة المصرية ، والشعب المصرى ، والجيش المصرى مساهمة فعالة فى بلوغ النصر النهائى . كما اعترف بذلك قادة الجيوش المتحالفة وحكوماتها ... فان ويقل أهدي أحد كتبه الى « أصدقائه المصريين لموقفهم الصادق فى الحرب » . ونوه المارشال ولسن بأن الجيش المصرى قد اشترك فى مناورات الفرقة الرابعة الهندية ، وقام بمناورات أخرى ، وكان حسن التدريب . وذكر المساعدات التى قدمتها أسلحة الجيش فى الميدان . هذا الى حراسة قنال السويس من خطر بث الألغام ، والدفاع الجوى والساحلى ، والأمن الداخلى . والمرافق العامة ، ونوه بكفاية قادة الجيش المصرى ومقدرتهم . وذكر أنه أفاد من حديثه مع سعادة عبد الرحمن عزام باشا عن الصحراء وسبلها مما لا تثبته الخرائط ، ولا تجمله المعلومات .

قد تفهم مصر فى الحرب المقبلة فتكون قاعدة للقوات المتحالفة ، وقد لا تكون ، فهذا يرجع الى سياسة الحكومة ، بجانب أن هناك رأيا بريطانيا يقول : بأن خطر الصاروخ الذرى قد يقتضى جعل القاعدة بعيدا عن مرمى الهجوم الذرى ... ومداه لا يتجاوز ألف ميل ، ولعل أنسب مكان للقاعدة المقترحة هو فى شرق أفريقيا .

ولكن مع هذا فان قناة السويس ستكون هدفا للهجوم في المستقبل ، كما كانت في الماضى ... لذا يجب اتخاذ الأبهة من الآن لوضع السياسة التى تضمن تأمينها عسكريا ودبلوماسيا واقتصاديا ثم العمل على تخزين المواد المستوردة التى لها الأهمية الأولى ، ثم زيادة الانتاج حتى تتجنب موقف الحاجة ، ونقص التموين ، واختفاء السلع الضرورية ، كما حدث فى الماضى . فان البحر الأبيض المتوسط سيكون مقفلا ، والسفن الميسورة لا تنهض بالأعباء المطلوبة منها .

وان القارىء سوف يجد فى هذا الكتاب ، المشاكل التى نجمت ، والحلول التى اتبعت ، فى أوائل الحرب العالمية الماضية . وان غاية ما نرجوه هو أن ينتفع به اخواننا ، وزملاؤنا ، وأبنائنا ، وأن يكون مثار بحثهم ، وموضع اهتمامهم ، وحافزا لمن هم خير منا ، على تناول هذه الموضوعات التى تمس مهنتنا ، وبلادنا ، بما هم جديرون به من علم ، وخبرة ، ومقدرة ، وكفاية . حتى يشرف الجيش بهم ، ويكونون عند حسن ظن بلادهم ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة وليكنا المفدى ، وقائدنا الأعلى ، فاروق الأول ، حفظه الله ورعاه ، وأيد ملكه ، وسدد خطاه .

المؤلفان

القاهرة ١٠ ذو القعدة ١٣٦٩
٢٤ أغسطس ١٩٥٠

الفوائد

أجنرال السير آرشيبالد ويمنشيل

« الرجل سلاح المعركة الأولى »

أردان دي بيك



الجنرال ويثل - يونيه ١٩٤١

الوراثة والبيئة

لقد اعترف ويقل بما للوراثة ، والبيئة ، من أثر في حياة الرجال الذين ترجم لهم ، بل ودل على مبلغ ذلك في نفسه ، وفي ميوله ، ونزعاته ، فقال في تمهيد له عن حياة الكولونيل « ت ١٠٠ لورنس » المعروف في الحرب العالمية الأولى : « لقد أحببت دائما الجنود « المتحررين » ، وملت الى كل ما تنكب عن العرف والتقليد في الحروب ... ولعل ذلك موروث ؛ فان جدى كان جنديا مغامرا .. حارب في صفوف الأسبان .. ووصل الى مرتبة عالية في حروب استقلال كل من شيلي والمكسيك ... ووالدى قضى شطرا من حياته العسكرية في قيادة الجنود غير النظامية في جنوب أفريقيا .. وابن عمى نزع ثوبه العسكرى وكان قد ألفاه ثقيلًا في زمن السلم وحج الى مكة متتكرا في زى عربى زنجبارى وكان يتقن اللغة العربية . وفي عام ١٩١٤ ألف وحدة غير نظامية من الأعراب المحليين كانت تعرف باسم « جنود ويقل » وقادهم ، فصد محاولة الألمان في الاستيلاء على « ممباسة » ... وأخيرا قتل في كمين ابان قيادته لهم » .

وغنى عن البيان أن كل انسان يؤثر في تكوين شخصيته واستكمالها ما ورث عن آبائه ، وما اكتسبه من بيئته ... وكذلك المارشال موتجمرى ، يعزو ما طبع عليه من جلد ، وتحفظ ، وزهد فيما يقبل عليه الناس من أسباب المرح واللذة ، والبهجة والسرور ،

الى أن والده كان مطرانا ، والى أنه نشأ في بيت تغمرة النزعة الدينية الخالصة ... وقد روى أنه عندما كان ضابطا صغيرا ألح عليه صديق لكى يقبل دعوته الى حفلة راقصة ، ودعا ابنة قسيس ، خصيصا لمزاملته ، لكى يضمن التجانس والتوافق ، وجلست الى جوار مونتجمرى على مائدة الشاى .. ولكن ، واحسرتاه ! .. تكشف له انها تدخن .. وتشرب .. فنعتها بأنها « غير محتشمة » ثم غادر حلبة الرقص .. فلما تزوج فيما بعد — لدهشة الكثيرين — كان يتحكم فى بيته تحكم فرسان القرون الوسطى ! .

لهذا فقد أصبح لزاما علينا أن نلقى نظرة عابرة على تاريخ أسرته ، لنعرف العش الذى درج منه ، قبل أن نسير معه الى المكان الذى ارتقى اليه .

ان كثيرين من رجالات انجلترا البارزين قد دخل أجدادهم اليها من القارة ، فان مونتجمرى مثلا قد وفد كبير أسرته « روجيه دى مونتجمرى » مع وليم الفاتح ، وكان جنديا ورجل دين .

ثلاثة جنرالات

وقد ورد فى سجل مدينة «دورست» أن السير رتشارد دى ويثل أو « دى ثوفيل » جاء الى انجلترا مع وليم الفاتح عام (١٠٦٦) وظلت أسرة ويثل خلال العصور التى تلت ذلك تؤدى للبلاد خدمات جليلة متنوعة ، فقد انتخب ثلاثة منها أعضاء فى البرلمان .. ولكن الأسرة لم تسجل أمجادا حربية الا فى القرن السابع عشر حين حارب الميچر « توماس ويثل » ، فى صفوف الملك اiban الحرب

الأهلية . وبعد مرور جيل أسند منصب العمدة في بلدة « ونشستر »
التي اتصلت بها الأسرة اتصالا وثيقا منذ القرن الخامس عشر ،
الى فرد من الأسرة باسم توماس ويثل ثان .

وبدأ اتصال الأسرة بالجيش ابان القرن الثامن عشر حين
انخرط جد صاحب الترجمة في سلك الجيش ووصل الى رتبة
« ميچر جنرال » . لقد كان أول فرد من أسرة ويثل يصل الى هذه
المرتبة التي أحرزها على التعاقب ثلاثة من أسرة ويثل . ولقد
كان هذا الرجل على كفاية ومقدرة ، تركت في نفس ويثل الحفيد
أعظم الأثر ، وأغلب الظن أنه تأثر به الى حد كبير ، فقد تلقى هذا
الجذ تعليمه في كلية « ونشستر » ثم خدم في الهند قليلا ، عاد
بعدها ليعمل في الجيش الاسباني برتبة « لفتاننت كولونيل » وكان
ملما باللغة الاسبانية كأحد أبناءها ، وحارب في صفوف الأسبان
ضد الفرنسيين ، في حرب « شبه الجزيرة » وأحرز أوسمة عدة .
ثم تاقته نفسه الى السفر الى نصف الكرة الغربي حبا في المغامرة
فرحل وظل عشر سنوات في خدمة الجيش الشيلي أولا ثم في الجيش
المكسيكي . وألف خلال ذلك كتبا قيمة في تعليم تكتيك المشاة
والفرسان ، ووضع رسالة عن تشكيل هيئة أركان الحرب . وكل
هذه التأليف باللغة الأسبانية . وظل يحرر بعد ذلك كتبا عسكرية ،
ويراسل جريدة « التيمس » حتى توفي عن ٧٥ عاما .

ولقد خدم أبناءه الأربعة في الجيش ، أولهم وصل رتبة
كولونيل ، والثاني ورث عن أبيه موهبة اللغات ، والولوع بالاسفار ،
فقد كان متفقا في اللغة العربية الى الحد الذي جعل العرب لا تشك

في عروبتة ، وهو الذي مر ذكره على لسان ويثل ، في بداية الكلام . ولقد نشر كتابا عن مكة : أسماء « الحج الحديث الى مكة » .

وأما النجل الثالث فقد بلغ أيضا رتبة الكولونيل أثناء خدمته في الهند ، وقد عرفت عنه البسالة والاقدام ، أما الرابع : « ارشيلد ويثل » والد صاحب الترجمة فقد خدم في آلاى « نورفلك » أثناء حرب « الزولو » ، عام ١٨٧٩ ثم نقل بعدها الى آلاى « الحرس الأسود » ، فأسس للأسرة بهذا الآلاى صلة ظلت مستمرة الى الآن . وخدم في حرب جنوب افريقيا ثم عاد الى انجلترا حيث تقاعد عام ١٩٠٢ وكان قد وصل الى رتبة « ميجر جنرال » وفي عام ١٨٨٠ كان قد تزوج من أسرة « برسيغال سيرنجفيلدز » ، فأنجب ولدا وبنتين ، ولاريب في أن الأسرة قد اتسمت بالولاء ، والشجاعة الأدبية ، والامتياز في خدمة الجيش ، وقد سافروا الى كثير من البلدان ، وتجلت فيهم جميعا موهبة اتقان اللغات الأجنبية ، والكتابة ، والتأليف .

طفولة ويثل

ولد صاحب الترجمة في ٥ مايو ١٨٨٣ ولقد سمي باسم (ارشيلد) عن والده ، و « برسيغال » عن والدته . وكانت والدته تتصف بعذوبة الطبع . وان لم يكن لها أثر يذكر في تكوين خلقه أو تثقيف ذهنه ، ولعل ذلك لأنها كانت تشكو داء التهاب المفاصل أو لأن الوالد كان هو المهيمن على المنزل ، المتصرف في شئونه حسب روح العصر « الفكتورى » .

ولما سافر آلاى « نورفلك » للخدمة فى الهند حسب دوره عام ١٨٨٩ سافرت الأسرة مع والد صاحب الترجمة ، حيث كانت أسر الضباط تتبع عائلها اينما ذهب . فشاهد ويقل الصغير هذه البلاد لأول مرة فى السادسة من عمره . وتعلم ركوب الخيل .

ثم صدر الأمر بنقل الآلاى الى بورما ، وكان جوها لا يناسب الأولاد ، فوجد الميجر ويقل نفسه ازاء مسألة طالما ضاعفت أعباء الضباط من ذوى العائلات وزادتها تعقيدا ، فقد كان على الزوجة أن تختار أحد حلين : اما ان تتركس نفسها لخدمة زوجها واما لأطفالها . ولكن لحسن الحظ كان موعد ترقى زوجها قد حل ، فأمكن مبادلة زميل له فى انجلترا يرغب فى الخدمة خارجها . فسافر ليتولى قيادة الكتيبة الثانية من آلاى « الحرس الأسود » الذى صدر الأمر حديثا بتعيين اللورد ويقل الابن كولونيلا بها ، ويخدم فيها الآن « أرشيبالد جون » الحفيد .

كلية ونشستر

ما ان عاد الكولونيل ويقل الى الوطن حتى بدأ يعد ابنه للالتحاق بكلية « ونشستر » سائرا فى ذلك على نهج الأسرة وتقاليدها .

وكان بين جوانحه هدف ثان هو اعداده للالتحاق بالجيش كى يخدم فى « الحرس الاسود » . فبدأ الصغير يدرس ، ويستظهر بسهولة ، دون أى رقابة أو ضغط عليه ، وقد أولع بقراءة الشعر

في هذه الفترة وكان يجد من نفسه ميلا الى استذكاره ، فاكتسب بذلك حافظة واعية كان لها أثر كبير في كفاياته المهنية فيما بعد .
وكلية ونشستر من أقدم ما يطلق عليه في انجلترا ، المدارس العامة ، وقد اشتهرت بتاريخها الحافل في خدمة العلم ، فكان خريجوها يشار اليهم بالبنان ، لثقافتهم ومقدرتهم . ويرجع اتصال أسرة ويثل بها في القرن الخامس عشر ، حين التحق بها أول فرد منهم الى أن تخرج منها عام ١٩٣٤ « جون ويثل » . وكان عدد طلابها خمسمائة طالب وشعارها الخالد هو « الخلق يصنع الرجل » . وقد ألقي ويثل نفسه سعيدا في هذا الوسط ، في وقت يمر فيه الأولاد بأدق دور في حياتهم ، ألا وهو زمن المراهقة .

الكلية الحربية

ولو أن والده كان يحب أن يسلك ابنه سبيله في الحياة ، الا أنه قد ترك له حرية الاختيار ، فلم يتردد ويثل في أن يتجه الى الجيش . ولكن ناظر المدرسة لم يرتض خدمة الجيش له ، فقد كان يعتقد أن مواهبه أسمى من أن يغض منها الطالب باتخاذ هذه الخطوة غير الموفقة ، فقد كانت الفكرة الشائعة في هذه الأيام أن الجيش ملجأ الحمقى ! والعجيب أن يصدر هذا الرأي عن رجال التعليم ! .
وكان ويثل خلال دراسته بونشستر ، حسن التفاهم مع زملائه يغلب عليه الحياء ، والتزام الصمت . وكان لاعبا وسطا في كرة القدم ، والكريكت .

وحين غادر هذه الكلية كان في السابعة عشرة من عمره ،

ولوحظ عليه في هذه السن المبكرة ذلك النقص في المزايا الاجتماعية ،
وعدم الميل الى التحدث مع أحد مالم تربطه به صلة وثيقة ...
وقد لازمه هذا النقص طوال حياته ، وكان فيه بعض الحرج
لأسرته .

واجتاز امتحان الدخول في « ساندهرست » مقتصدا عاما
أو عامين من وقته ومن عمره ، وتخرج منها ضابطا في مدى
سنة أشهر ، لأن الدورة في الكلية كانت لا تعدو العام والنصف
في الظروف العادية ، ولكنها اختصرت في حرب البوير الى
سنة أشهر .

الحرس الأسود

وتعين في الكتيبة الثانية من الحرس الأسود بعد احتفاله بعيد
ميلاده الثامن عشر بثلاثة أيام عام ١٩٠١ . وكان والده برتبة
كولونيل يخدم في جنوب أفريقيا ، وسافر الملازم ويقل للخدمة
في وحدته بالترنسفال ف اكتسب خبرة عملية في الحرب ، وكان
العدو ماهرا في « الاستتار » والمفاجأة ، واجادة الرمي ، فكان
« الكوماندوس » التابعون لهم يسيرون مسافات طويلة ليلا
ويضربون في الفجر دون أن يروا ، أو يعرف مكانهم .

وفي نهاية الحرب أصيب بكسر في عظم الترقوة . وسافر الى
انجلترا في أجازة مرضية عاد منها للالتحاق بوحده التي نقلت
الى الهند عام ١٩٠٣ . وكان من حظه أن اللورد كتشنر تعين قائدا
عاما في الهند فتناول التدريب العسكري بالتجديد والاختبار فكانت

الوحدات تمر في ظروف أشبه بحالات الحرب من جميع النواحي .
فأتيحت له فرصة لم تتح لزملائه في إنجلترا .

والصورة التي رسمها قائده عنه تدل على أنه ليس بالضابط
العادي بالنسبة لرتبته ، فهو دائب الاطلاع على كتب التاريخ
العسكري مسجلا كل ما يقرأ في ذاكرته قيل أن له مقدرة
على أن يتلو عليك أى قصة شعرية قراها مرة واحدة دون أن
يخرم منها حرفا . وله أيضا موهبة عجيبة على أن يفعل شيئين في
وقت واحد ! دخل عليه أحد زملائه ، فوجده متكئا على سريره
يقرأ كتابا باللغة الفرنسية ، وأمامه معلم اللغة الهندية ، يلقي درسه
له في صوت رتيب ، فعتب عليه الزميل لدفع أجر المعلم بينما هو
منصرف عنه في شيء آخر فكانت اجابته : « ان مطالعتي في الكتاب
الفرنسي هي السبيل الوحيد لابقائي يقظا كي أستوعب
ما يقول » .

كلية أركان الحرب

وأخذ بعد ذلك يعد نفسه للجلوس في امتحان كلية أركان
حرب في كامبرلي وكان الامتحان ينحصر في : الرياضيات ، والتاريخ
العسكري ، والادارة والتنظيم ، والاستراتيجي ، والتكتيك ،
والالمام بلغة أجنبية ، وأما أن يمتحن الطالب في الرياضيات العليا
أو لغة ثانية أجنبية ، وهذه المواد تقتضي الضابط العادي المراجعة
والاطلاع من عامين الى ثلاثة أعوام ، وسن الطالب ٣٢
أو ٣٣ سنة .

أما ويثقل فقد تقدم للامتحان بعد عام من دراسته ، ونجح في امتحان الدخول وكان أول الناجحين وحصل من الدرجات على ٨٥٪ فاغتبط والده لهذا النجاح الباهر . فكان في سن الخامسة والعشرين وله من الخدمة سبع سنوات ، وفي رتبة الملازم أول ، وتمثل جهده في تفوقه على نحو من أربعمئة طالب ، وكان يصغر أصغر ضباط في الكلية بأربع سنوات .

وكان من حظ ويثقل أن تعاقب على الكلية قائدان بارزان لهما أثر ملحوظ في أبناء جيلهما ، وإن اختلفا في عقليتهما ، وشخصيتهما وأسلوبهما . الأول الجنرال هنري ولسن ، وكان لامع الذكاء ، واسع الخيال ، فصيح البيان ، وكان رجلا سياسيا أكثر منه جنديا . وهو من المعجبين بالمارشال « فوش » . ولم تكن لولسن النظرة الشاملة التي امتاز بها خلفه . إلا أن أفكاره كانت تحلق في أجواء الاستراتيجية أكثر من التكتيك بعيدا عن مرمى الفكر من طلابه الضباط .

أما المارشال روبرتسن فيعد من أحسن القواد الذين رأتهم الكلية في جيلين : ذكاء ، وخلقا . ويختلف عن سلفه في الفكر والطبع ، وقد ترك أثره في مدى ستة شهور في عقول الضباط وبخاصة ويثقل .

ولعل أول لقاء بينه وبين ويثقل يوضح الفرق ما بين فكرة القائدين . كان على ويثقل أن يكتب « تقدير موقف » عن مشروع عملية حربية ضد عدو وهمي . ولما كان يدرك أن الجنرال ولسن ، هو الذي سوف يطلع على ورقته فقد توسع في النواحي السياسية

والاستراتيجية .. وكانت دهشته لاحد لها عندما طلبه الجنرال روبرتسن ، بل داخلته الرهبة حين وجد أن ورقته أمامه على المكتب ، مخضبة جميع فقراتها السياسية بالقلم الملون ، ثم نصح لويثل في صراحة حازمة كي لايشغل فكره بالأمر التي لا تخصه ... ثم قال في ابتسامة رقيقة : « وفيما عدا ذلك فهي ورقة ممتازة يا ويثل » .

وقد حصل ويثل عند تخرجه من الكلية على « درجة ا » وكانت ملاحظة روبرتسن عليه دليل بعد النظر : « أن ويثل خير الضباط الذين رأيتهم كفاية ومقدرة » .

روسيا

وقد أمضى ويثل عامين في الكلية في عمل متواصل حتى اذا انتهى منها اختاره قائد الكلية للسفر الى روسيا لمدة عام لتعلم اللغة الروسية . فأقام مع عائلة روسية في « سان بطرسبرج » وكان معلم اللغة سيدة روسية ، كان زوجها صديقا لتولستوى ، وكان الجو الذي يعيش ، ويسير فيه ، جوا أدبيا خالصا تعرف فيه بأدباء ، وأساتذة في الجامعات الروسية ، بجانب المؤلفين والفنانين . ثم طاف بالبلاد في رحلة دراسية وألحق لمدة أسبوعين بوحدة من مشاة الجيش الروسى .

وساعدته حافظته الواعية على استيعاب المفردات والنحو الروسى حتى أنه عاد بعد عشرة أشهر الى انجلترا ليحرز الجائزة الأولى في امتحان اللغات ، ونال جائزة مالية . مع وضع حرف « ل »

بعد اسمه في كشف الجيش ، دلالة على أنه يعرف لغة أجنبية .
مع أنه كان يجيد بخلاف ذلك : اللغة الفرنسية ، ولغتين هندية .
ثم عمل بعد ذلك في فرع التدريب بوزارة الحربية ، وهي خدمة
تزهد الروح ؛ إذ أن الضابط الذي تعود العمل في ساحة التدريب
حيث الهواء الطلق ، والحياة العاملة ، يجد نفسه فجأة وسط
الأضابير والملفات ، في غرف سيئة الإضاءة ، كثيفة الهواء . فعمل
على أن يقضى معظم وقته في المرور على الوحدات والمدارس ، وكان
عدد ضباط أركان الحرب أكثر مما ينبغي فلم يكن مرهقا . ولم يمض
في هذا المكتب طويلا حتى نقل الى قلم المخابرات لاملامه باللغة
الروسية ، وكان عمل أمثاله هو « القصاصات » الخاصة ببعض
البيانات أو المعلومات ذات الأهمية العسكرية التي تنشر في الصحف
الأجنبية والمجلات ، ثم يرتبونها في ملفات خاصة يوما بعد يوم .
ثم زار روسيا مرتين خلال تقلده هذه الوظيفة لمشاهدة المناورات
الروسية العسكرية . ففي عام ١٩١٢ حضر المناورة في « جبال
القوقاز » ملتحقا بفيلق قوقازي لمدة ثلاثة أسابيع . وكانت هذه
المنطقة منها مسرحا لقتال عنيف في خريف ١٩٤٢ . وزار روسيا
عام ١٩١٣ في مناورة في منطقة كييف ، وقد حدث له حادث سبب
له مضايقة ، اذ قبض عليه البوليس الروسى عند الحدود واعتقله
ولم يفرج عنه الا بعد اتصال السفارة البريطانية بالسلطات
الروسية ، التي اعتذرت للحادث المؤسف ، ولكن غضبه كان عظيما .
وكان يعد في ذلك الوقت من أقدر الخبراء في اللغة الروسية ،
فترجم لاحدى دور النشر كتابين عن « الأسرة القيصرية » الى

اللغة الانجليزية فمنحه قيصر روسيا ساعة ذهبية لعلها تتضمن أيضا الاعتذار عن الحادث .

فرنسا

وأعلنت الحرب العالمية الأولى ، وكان ويقل يعمل في قلم المخابرات « بالقسم الروسى » ، فتلقى أمرا في سبتمبر كى يقوم الى فرنسا ويقدم نفسه الى مركز الرئاسة العام . . وكان قد عقد خطبته على الابنة الوحيدة للكونونيل كيرك ، فسافر على يقين بأنه سيعود في عيد الميلاد ، ليتزوج . . فقد كان يشترك في التفاؤل الذى كان سائدا بأن الحرب سوف تنتهى في هذا الوقت .

لقد غادر منصبه في وزارة الحرية فرحا مبتهجا . أما شعور خطيبته ، ووالده ووالدته اللذين تقدمت بهما السن ، عند رحيله ، فليس في حاجة الى بيان . لقد كان على وشك الزواج ، بجانب أنه الابن الوحيد لأسرة ويقل .

وتعين قائد قسم المخابرات في الفيلق ، ولكنه لم يمكث طويلا ، لأنه كان يود أن يعمل في الخط الأمامى . فتحققت رغبته ، واختير ليعمل أركان حرب اللواء التاسع المشاة ، وكان برتبة كابتن ، واشترك في حرب الخنادق وقاسى عناء ، وكانت هذه أول خبرة له بالحرب الحديثة . ثم سافر الى انجلترا في اجازة قصيرة ليتزوج ، وعاد بعدها ليصطلى بنيران معركة اير الثانية التى استخدم فيها الألمان الغازات السامة ، فعملت المفاجأة عملها في فرقة فرنسية من جنود المستعمرات ، ولت الأدبار ، فتركت ثغرة أمام الجانب

البريطاني ، أما اللواء التاسع فقد سلم من الغاز ومن المعركة ، لأنها كانت في الجنوب الشرقي من اير ... ولكن مع هذا حدث أثناء المعركة لاستعادة موقع تكتيكي عند « بيلوارد » أنه وهو عائد الى مقر رياسته بعد أن أخفقت العملية وتكاثرت الخسائر أن أصابت شظية عينه اليسرى فأفقدتها الابصار ، وعاد الى انجلترا مريضا قلقا خشية ألا يتمكن من العودة الى الخدمة أو الى الحرب ثانية . ولكنه عاد بعد قليل الى فرنسا فعمل في مركز الرئاسة في فرع التدريب تحت رئاسة الجنرال « برنت ستيوارت » الذي عرفه وقدره حق قدره .

ثم استدعى للعمل في جهة القوقاز ليكون ضابط اتصال بالجيش الروسي ، ولكن عند نشوب الثورة الروسية عاد الى انجلترا .

فلسطين

رقى الى رتبة اللفئانت كولونيل الوقتية سنة ١٩١٦ وعين ضابط اتصال بين اللورد اللنبى ووزارة الحرب البريطانية ، وقد اغتبط لهذا التعيين لأنه كان من المعجبين بمواهب اللنبى منذ أن شاهد مناورة الفرسان التي أجراها الجنرال ابان وجوده في كلية أركان حرب . وكانت مهمته هذه ذات خطر إذ أن عليه أن ينقل ما يشاهد وما يكلف به بين القائد المحلي ورأسه الجيش في لندن بأمانة ونزاهة واخلاص فأدى عمله فيها أكمل أداء بجانب ما اكتسبه من الخبرة العملية في مسرح القتال ، فان الخداع الذي استخدمه اللنبى سنة ١٩١٧ بوضع الخيول الهيكلية في مرابط

وهمية قصد تضليل الأتراك عن مكان الهجوم الحقيقي اتبعه ويثقل
سنة ١٩٤٠ بوضع دبابات هيكلية في الصحراء الغربية •

وعاد ويثقل الى لندن ليرفع الى الجنرال روبرتسن تقريراً عن
الموقف العام عقب الاستيلاء على القدس ، فكلفه بحضور مجلس
الحرب الأعلى في فرساي حيث كانت تدور مناقشات بين
« الغربيين » الذين يقولون بتركيز الجهود في الميدان الغربي
لاحراز النصر بسرعة ، « والشرقيين » أصحاب الرأي القائل بأن
الفرصة متاحة لاحراز النصر في الشرق •

وتغلب رأى الشرقيين في هذا المؤتمر وكان على اللبى أن
يستمر في هجومه ومطاردته للأتراك حتى بلوغ النصر النهائي •

وكان ويثقل يستطيع أن يبقى في هذا الجو السياسى الذى يهيء
له الاتصال بالزعماء وأقطاب السياسة ومديرى دفة الحرب العامة
والسياسة العليا ، ولكنه لم يألف البقاء في هذا الجو فأثر العودة
الى فلسطين •

وعاد الى فلسطين رئيساً لهيئة أركان حرب الفيلق العشرين تحت
قيادة الجنرال « تشتود » برتبة كولونيل ، فنشط في تدريب
القوات واعداد الخطة للهجوم مما فصله ويثقل في كتابه عن « حملة
فلسطين » المعروف لنا جميعاً • وأحرز هذا الفيلق نجاحاً ملحوظاً
في الهجوم الناجح والمطاردة العنيفة ، وقد اكتسب منها دروساً
عملية طبقها بعد خمسة وعشرين عاماً في حربه في الصحراء
الغربية •

وسافر الى لندن في نهاية الحرب العالمية الأولى برتبة بريجادير
 وقتى ، ورتبة كولونيل محلى ، أو رتبة الميجر الأصلية في وحدته ،
 وكان عمره ٣٥ عاما . ولم يلبث أن عاد الى مصر مرة ثانية الى رئاسة
 أركان حرب الفيلق العشرين بمصر الجديدة ، وظل الى أن أعيد
 الى وحدته « كتيبة الحرس الأسود » برتبة ميجر . وخدم في
 الرين ، ثم عاد الى الخدمة في فرع ادارة الجيش . وطلبه الجنرال
 « برنت ستيوارت » ليعمل معه في ادارة العمليات والمخابرات .
 وأرسل في مهمة عسكرية خارج انجلترا في لجنة تحصين
 « سنغافورة » . وفي عام ١٩٢١ كان قد رقى الى رتبة كولونيل
 بحكم المدة اذ أن الفرصة لم تتح له لقيادة وحدته .

الاستيداع

وفي عام ١٩٢٦ أحيل الى الاستيداع ، فقد كانت رتبة الكولونيل
 في الجيش من الكثرة بحيث جعلته يتندر عليها بقوله : « الأربعة
 بقرش » !! .

فاقتضت الحال أن يحيلوا الضباط من هذه الرتبة الى الاستيداع
 ليظل به مدة تتراوح بين عام وأكثر حتى يتاح له منصب شاغر
 يعود ليشغله ، وكثيرا مايكون التنافس على ذلك المنصب حادا .
 وكانت هذه الفترة شديدة الوطأة عليه لأنه كان رب أسرة
 تتألف من زوج وأربعة أولاد . ومرتب الاستيداع لا يكاد ينهض
 ببعض مطالبه ، لأنه ينزل الى النصف من ماهية الرتبة بعد استبعاد

العلاوات الاضافية المتنوعة بجانب العسكى الخادم الذى يتمتع به الضابط فى الخدمة العاملة •

ومع هذا فقد كانت حالته أفضل من غيره ، اذ أن أباه كان موجودا ففكر أن يعيش معه فى الريف ، فأخلى منزله فى لندن واختزن أثاثه وصحب أسرته ليعيش مع والده • ولولا ذلك لتعسرت حالته مثل زملائه المستودعين الذين كثيرا ما يلجأون الى الاستدانة • هذا وقد استغل ما وهبه الله من مقدرة على الكتابة فأخذ يعد كتابه المعروف عن عمليات فلسطين • وكذلك كلفته « دائرة المعارف البريطانية » بكتابة فصول لها ، فكان له من هذا ما شغل وقته ، وزاد مورد رزقه •

اللواء السادس

ولكن مدة الاستيداع لم تطل لأكثر من تسعة أشهر ، استدعى فى نهايتها ليشغل وظيفة أركان حرب بالفرقة الثالثة التى كان قائدها الجنرال « برنت ستىوارت » •

وفى هذا الوقت ألحقت بهذه القيادة قوة ميكانيكية تتبع هيئة رئيس أركان حرب فى كل ما تخصها • ويقول المؤلف أن ويثقل لم يكن متحمسا لها تحمسه للسلاح الجوى •

وأسندت قيادة هذه « القوة المدرعة » الى الجنرال كولنز نفسه فتهيأت له فرصة الاتصال بويثقل ونشأت صداقة متصلة أثمرت تلك الترجمة الممتعة التى كتبها كولنز عن ويثقل عام ١٩٤٧ • وألغيت هذه « القوة المدرعة » بمجرد أن تغير رئيس أركان حرب

الامبراطورية ولم ترها انجلترا الا بعد عشر أعوام من هذا التاريخ .

واسندت الى ويشل قيادة اللواء السادس المشاة ، وكان أركان حربه الكبتن «دورمان سميث» ومن قواد كتائبه اللفتنانت كولونيل «جدوين أوستن» وكلاهما معروف في مصر لا سيما الثاني ؛ فقد كان ضمن البعثة العسكرية البريطانية في مصر وكبيرا للمعلمين في كلية أركان حرب بها عام ١٩٣٧/١٩٣٨ .

وتألق اسم ويشل في هذه القيادة في تدريب وحدات لوائه ، وبخاصة كتائب المشاة . وكانت تمرينات ويشل مثار النقاش في «الدرشوت» . وكانت هذه القيادة معملا لتطبيق نظرياته في تدريب المشاة على خفة الحركة والمرونة بطريقة أوفى . وأصر على أن كلمة «مشاة» ينبغي أن تكتب «بالثلاث» أو بالحروف الكبيرة ، اذ أنها أعظم سلاح في الجيش وأنفعه .

وكانت آراؤه التكتيكية في هذه الآونة مبنية على خبرته في عمليات فلسطين ودراساته العميقة الشاملة للحروب التي اشترك فيها ... فكان همه دراسة خصمه ومباغتته منذ البداية ، وذلك بامداده بالمعلومات التي يريده أن يلم بها بطريقة صحيحة أنا ، مزيفة أنا آخر .

أما عملياته وخطته واجراءاته فكانت جريئة الى حد التهور . فاذا أعمل الفكرة وعقد العزم بعد دراسة الخريطة ورؤية الأرض بنفسه ، قذف بقواته كلها غير مستبق شيئا أو قليلا من احتياطيهِ .

وقد اتسمت تكتيكاته بالتجديد غير المألوف ، وبالأسلوب غير المتوقع ، فإذا بدأت العملية ظل طواها هادئ الطبع ، ثابت الجنان ؛ لأنه كان قد اتخذ لكل شيء أهبته ... كان قد فكر ، وقدر ، وكان في تفكيره منطقيا .

وكان مرءوسوه يرون فيه الثقة كاملة ، والتقدير شاملا . فاكسب محبتهم وولاءهم ، فلم تحص عليه بادرة تدل على الغضب لخطأ ارتكب ، بل كان صبورا حلما مع المخطئ حتى يصحح خطأه ، فإذا تعثر هب لمساعدته ثم قال له : « ولكن ... تذكر ، أنه مهما وقع من خطأ في السلم فلن يقارن به الخطأ الصغير أبان الحرب » . وخلال هذه السنوات الأربع حاضر في موضوع « التدريب للحرب — في معهد الخدمات المتحدة الملكي » ووصف الجنرال « برنت ستيوارت » في حديثه بأنه « معلم الجنود الملهم الملهم » ولقد لقب ويثل « بمدرّب المشاة الفذ » . وخلال هذه الأحاديث ذاع تعريفه الطريف لجندى المشاة المثالي فقال : « انه يجب أن يكون مزيجا من ثلاث صفات ، أو بعبارة أخرى يتميز بصفات اللصوص الثلاث : « سارق الصيد ، واللص المسلح ، واللص المتسلق » يقصد بهذا أنه يجب أن يفكر لنفسه وبنفسه ، وأن يكون مأكرا ، حذرا ، ماهرا يقظا ، خفيف الحركة ، سديد الرماية في دقة وسرعة ، مخاطرا بحياته وحرته . ويعمل في الليل ويقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

الاستيداع ثانية

وهاجم في شجاعة « الطواير المنظمة » التي يقولون انها تدعم « الضبط والربط » وكان يرى التفكير في تدعيمه بمستوى

عال من التعليم العسكرى ، يبعث على خلق الروح العسكرية الحققة ، وقبل انقضاء السنوات الأربع المقررة لهذه الرتبة « البريجادير » ستة أشهر ، اجتمعت لجنة اختيار الضباط الصالحين للترقى لرتبة « ميچر جنرال » ، واتصل به أن اللجنة قد أوصت بترقيته لهذه الرتبة ، ولكن سروره لهذا النبأ كان مبتسرا ، لأن المقرر أن ترقيته لن تتم فعلا قبل مرور عام أو أكثر ، ومعنى هذا حالته على الاستيداع البغيض مرة أخرى . والاستيداع فى هذه المرة يجىء بمتاعب أقسى وأفدح من الناحية المادية ، فان والده كان قد توفى ، وليس هناك دار يأوى إليها هو وأولاده الذين كبروا ، فكثرت مطالبهم بجانب نفقات التعليم ، اذ بلغ ولده « ارشيلد چون » الثامنة عشرة وكان على وشك الالتحاق بالكلية الحربية « ساندهرست » ، لهذا فقد عزم على أن يشترك فى السكن مع صديق له هو « الجنرال فيسى » — وكان قد أحيل مثله على الاستيداع فى منزله بكمبرلى — ولقد شاء حظه السعيد أن يكلف ابان هذه الفترة بمأمورية استكشاف مدى ١٥ شهرا فى الشرق الأوسط ، ثم انتدب لحضور فرقة للضباط العظام بفرنسا . هذا الى أن شهرته الأدبية فى الكتابة العسكرية كانت قد تأكدت بعد ظهور كتابه « حملة فلسطين » فكلف رسميا بوضع الجزء الثانى من « قانون خدمة الميدان » ، واعداد أوراق امتحان التكتيك لكلية أركان الحرب بكمبرلى . فزاد هذا كله فى موارده المادية ، وان كان العمل مضنيا ، والبحث شاقا ، والمكافأة غير مجزية .

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٤ رقى الى رتبة « ميچر جنرال » ثم

انتدب والجنرال « مارشال كورنول » والجنرال « فريبورج » (المعروفان لنا في مصر) لحضور دورة خاصة عقدت لكبار القادة في كلية أركان الحرب الفرنسية بفرساي ، أو كما يطلق عليها الجيش الفرنسي « بمدرسة المارشالات » . وكانت لغته الفرنسية ، وإن طال عليها العهد ، جيدة ، وكانت انطباعاته العامة عقب هذه الدورة تدل على أن الفكر العسكري الفرنسي كان متخلفا يعيش بعقلية « خط ماجينو » .

الفرقة الثانية المشاة

وقد كان نجاحه في قيادة اللواء السادس المشاة ، هو نقطة التحول في حياته العسكرية ، إذ برزت كفايته الفائقة في آرائه المبتكرة العملية لتدريب الجنود ، وفي تكتيكاته .

ولقد كان هذا النجاح هو الباعث على اسناد قيادة « الفرقة الثانية المشاة » إليه . وهناك وجد في هذه الفرقة نخبة مختارة من الرجال تحت قيادته بينهم البريجادير ولسن « فيلد مارشال فيما بعد » ، وكلاقرنج ، وأرثر سميث ، وهؤلاء من الرجال الذين جاءوا للخدمة في الشرق الأوسط وبرزوا في الحرب الأخيرة ، والثاني كان رئيس البعثة العسكرية في الجيش المصري ، وفي هذا الوقت — سنة ١٩٣٥ — ألقى محاضرة عن « القيادة العليا » (رتبة ميجر جنرال وما فوقها) أثارت تيارات فكرية مختلفة في الدوائر الفنية ، فلما تلقى الدعوة من جامعة كمبردج ليحاضر بها ، وهو شرف عظيم ، عمد إلى هذه المحاضرة فأطال فيها ،

وزاد عليها ثم ألقاها في ثلاث محاضرات • وقد نشرتها جريدة « التيمس » تحت عنوان : « القيادة والقواد » • ولقد رفعت من شأنه أدبيا وفنيا بين الجمهور ، وعرض عليه منصب « مدير التدريب » في وزارة الحرب فرفض مفضلا عليه قيادة الفرقة ، فتعين بدله « البريجادير بروك » (فيلد مارشال رئيس أركان حرب الامبراطورية فيما بعد) وقيل انه لو عرض عليه منصب مدير العمليات لقبه •

استعداد الروس

ثم وقع عليه الاختيار في سبتمبر ١٩٣٦ لحضور المناورات في روسيا ، وصحبه الكولونيل « مارتل » وهو خير في الدبابات والملحق العسكري هناك ، فقابل المارشال « فورشيلوف » قومسيير الدفاع ، والمارشال « بوديني » • وكان يرى نتيجة لمشاهداته هذه أن عنصر الضباط يختار بعناية ، ولو أن مستواهم العقلي مماثل « لضباط الصف » الأصغر في الجيش البريطاني !! • أما الدبابات الروسية فهي في مقدمة دبابات جيوش العالم — كما يقول — ووجد ويثقل أن الروس من ناحية الإصلاح والصيانة قد سبقوا الجيش البريطاني بمراحل • ووجد أنهم تدربوا على بث الألغام المضادة للدبابات قبل الجيش البريطاني ، وكانت قواتهم الجوية تتدرب تدريبا خاصا على معاونة القوات الأرضية •

وأخيرا وليس آخرا وجد ويثقل أن الروس قد استخدموا « جنود المظلات » وأسقطوا بالفعل ١٥٠٠ جندي مشاة ، وسيارات ، ودبابات ٣ أطنان ، ومدافع ميدان خفيفة ، وسيارات مدرعة الخ • •

مع أن بريطانيا لم تبدأ في استخدام جنود المظلات الا في عام ١٩٤٠ ؛
أى بعد الروس والألمان بخمس سنوات •

وظل ويثقل في هذه القيادة يكتب ، ويحاضر ، ويدرب ، ويتفقد
الجنود ويعنى بهم ، ويبحث عن المواهب الجديدة بين الجيل الجديد
يشجعها ، ويوجهها ، ويسدد خطاها •

وكان يمتاز بالمقدرة على تمييز الضابط الجيد ، وكان يكرم
الطريقة المتبعة في امتحانات الضباط للترقى ، رتبة بعد رتبة ،
ويقول ان هذه الطريقة قد ساوت بين الغث والسمين •

فاذا طلبت اليه وزارة الحربية رأيه ومقترحاته في تحسين أساليب
هذه الامتحانات كانت اجابته : « ألفوها » !! •

فلسطين ثانية

وفي أغسطس سنة ١٩٣٧ أمر بالقيام الى فلسطين ليتسلم القيادة
من الجنرال « دل » فأخذ في اعداد حقايبه وترك أسرته وسافر
مع ياوره ، ووصل الى القدس فوجد الجنرال « دل » قد حجز له
غرفا في فندق « الملك داود » مقرا لرياسته • وكانت قيادته هذه
تتبع وزارة الحرب مباشرة • وكانت الاضطرابات بين العرب
واليهود قد بلغت أشدها حتى تطلب الأمر ابقاء فرقتين هناك ،
وكانت لجنة اللورد « بيل » قد افترحت التقسيم الى مناطق عربية
وأخرى يهودية • ولم يقبل زعماء العرب هذا الحل •
وكان أول ما فكر فيه ويثقل لدى وصوله هو ايجاد التناسق

بين السلطات المدنية والعسكرية ، وكان لسابق معرفته بالمندوب السامي « الجنرال سير ارثر ويكوب » أحد قواد كتيبة الحرس الأسود أثناء خدمته بها ، فضل تأييده في اتمام فكرته التي أثمرت في هذا الشأن .

وأخذ بعد ذلك في اعداد منزل لاقامة أسرته التي وصلت — حتى كلبها « كورني » أحد أعضاء الأسرة الأعزاء — فخفف « ويقل » لاستقباله بشخصه ؛ اذ كان وصوله عقب وصول زوجته وبناته الثلاث بقليل . أما الابن الملازم « أرشي جون » فقد جاء مع كتيبته « الحرس الأسود » التي نقلت للخدمة بفلسطين وقتئذ .

وتميزت قيادة ويقل بالأعمال الحاسمة ، فعقد محاكم عسكرية ، وأعد قولات مدرعة متحركة لأن القوة التي تحت قيادته خفضت الى فرقة واحدة ، ثم اختار الميجر « ونجت » ليقود جماعات الليل الخاصة ، (Special night squads) لمفاجأة العرب أثناء الليل ومطاردتهم ، وألفها من جنود يهود وانجليز ، واستخدم معها كلابا مدربين قادرين على تتبع رائحة العرب . وباعتراف الانجليز ، قد فرضت هذه الجماعات على البلاد « حكم الارهاب » فأدت الى قتل الكثير من الأعراب . ونال من أجل ذلك الميجر « ونجت » نيشان الامتياز ، ولكن العرب عمدت الى بث الألغام في طريقهم فسبب لهم خسائر كبيرة ، كان من بينها ابن ويقل نفسه ... أطلق العرب على الجنرال ويقل « الوافل في دماء

الشرق» بسبب هذه الأعمال حتى أصبح أمر حراسة ويقل نفسه كابوسا يحشم على أنفاس ضباطه •

وحاول ويقل القبض على الحاج أمين الحسيني الذي غادر البلاد متنكرا الى سوريا ومنها الى ألمانيا ، وكان ويقل يدرك مكاتته في نفوس العرب ، ومقدرته على اثارته • واستطاع ويقل أن يعيد الهدوء الى فلسطين وقتيا ، وأخذ في هذا الوقت في تأليف كتابه عن اللنبى ، وتصدر احتفالا لافتتاح حديقة تذكارية لألنبى في « جبل الكرمل » •

القيادة الجنوبية

وفي مايو سنة ١٩٣٧ أصبح هوربليشيا وزيرا للحربية ، وأخذ في اختيار ضباط عظام في سن مبكرة ليسند اليهم القيادات الكبرى الخمس في انجلترا ، ووقع اختياره على « ويقل » ليتولى « القيادة الجنوبية » • فعادر فلسطين فورا الى لندن •

فتسلم القيادة الجنوبية من الجنرال « برنت ستوارت » فشعر الجميع بالفارق بين الشخصيتين في بادىء الأمر ، اذ أن ويقل تعوزه بعض صفات سلفه الذي كان حاضر القول ، حسن الأداء ، يمتاز بشعور ناقد لا يخطئ ، مما جعل مؤتمراته حية ، أخاذة •

وقد امتدت تبعاته الى الوحدات الموجودة بقيادة «الدرشوت» ، الى الدفاع الساحلى ، والبرى عن بليموث ، وبورتسموث ، فاختر لقيادة اللواء الموجود بها الكولونيل مونجمرى (مارشال فيما بعد) •

وقد كان نشاطه مضرب المثل فى حضور المشروعات التكتيكية المختلفة ، وتدريبات التشكيلات الكبرى ، وتولى ادارة تمرين تكتيكي كبير بين القيادتين « الدرشوت ، والجنوب » نيابة عن رئيس أركان حرب الامبراطورية ، وعملية أخرى مشتركة بين الطيران والجيش بقصد اختبار مدى التعاون بينهما فى الحرب .

ولما كان العرف يقضى بأن يتلقى قائد هذه القيادة تحية الخريجين من الكلية الحربية « بساندهرست » فى الحفل العام الذى يعقد لذلك ، فقد حضر فى صيف عام ١٩٣٩ قبل نشوب الحرب ، وكان عليه أن يلقي خطابا ، فاختار موضوع الخطاب : « الولاء ، والطاعة » ، فترك أثرا عظيما فى نفوس سامعيه . ولقد كان ويقل نفسه مثال الولاء الصادق لقادته طوال خدمته .

قيادة الشرق الأوسط

وفى عام ١٩٣٩ أيضا أنعم عليه الملك بلقب « سير » . وتلقى فى يوليو من هذا العام ، أمرا كتابيا بالاستعداد للسفر الى القاهرة كى يتولى القيادة العامة هناك .

أما الأسباب التى أدت الى انشاء هذه القيادة الجديدة فهى الظروف والملازمات التى جدت فى السنوات الأخيرة ، من توقع نشوب الحرب ، الى ما تعلقه بريطانيا دائما على الشرق الأوسط من أهمية حيوية واستراتيجية بالنسبة لمواصلاتها الى الهند والشرق الأقصى ، وقد أسفرت المحادثات والاستشارات التى جرت بين « رئيس أركان حرب الامبراطورية » وقائد القوات البريطانية

في مصر عن اتخاذ الأبهة والاستعداد لما عساه يحدث من تطلع «موسولينى» بعد استيلائه على الحبشة الى الشرق الأوسط ، وتوقع الهجوم على مصر ، وطلب هذا القائد مضاعفة القوات . وتم اتفاق بين رئيس أركان حرب الامبراطورية من ناحية والجنرال « نوجيس » القائد الفرنسى فى شمال أفريقيا من ناحية أخرى على القيام بهجوم على ليبيا من ناحية الغرب فى حالة اعتداء الايطاليين على مصر . ثم رأى توحيد القيادات المترامية الأطراف ، واخضاعها لقيادة واحدة ، واختير لها الجنرال « ويشل » لما عرف عنه من خلق ، وخبرة ، ومقدرة .

وكانت تبعاته كثيرة ، اذ تمتد قيادته هذه من البحر الأبيض المتوسط شمالا حتى بحيرة فكتوريا جنوبا ، ومن حدود السودان الغربية ، الى خليج عدن ، وهى تشمل : مصر ، والسودان ، وفلسطين ، وشرق الأردن ، والعراق ، والصومال ، وقبرص .

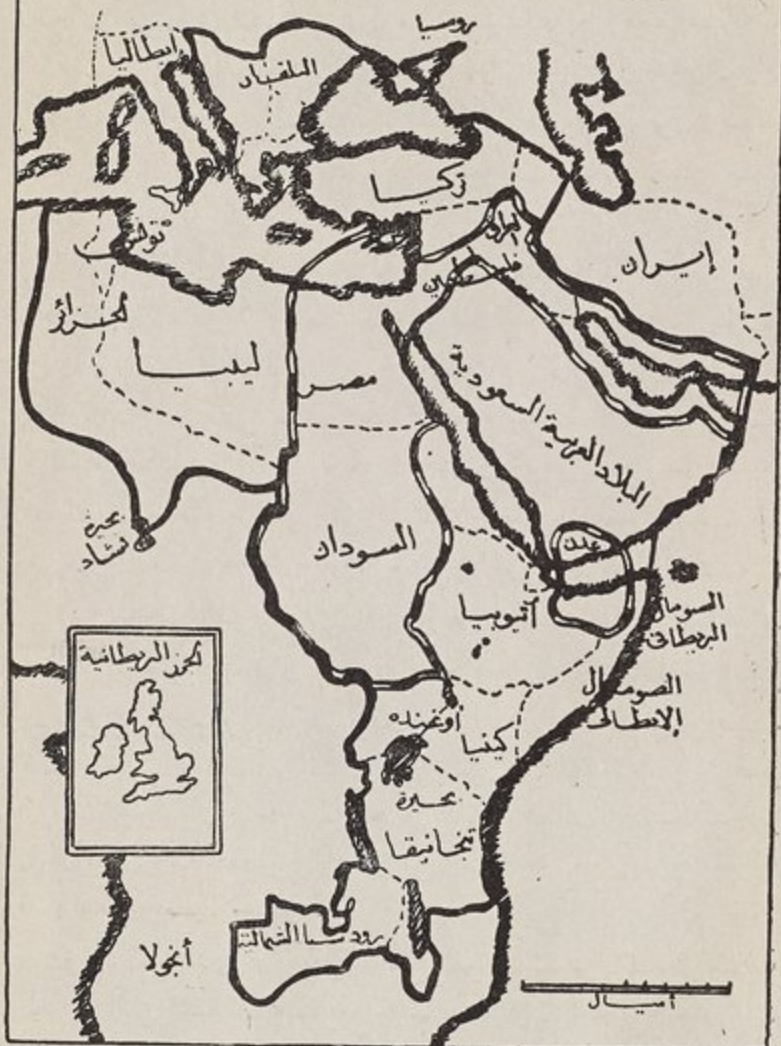
أو بعبارة أخرى ٣ مليون ميل مربع ... (انظر الخريطة) . وكان عليه أن ينسق الخطط مع قائدى البحرية والطيران ، بالشرق الأوسط ، والتعاون معهما ، بالمثل مع حلفاء بريطانيا فى الشرقين الأدنى ، والأوسط ، وشمال أفريقيا ، أو مع الفرنسيين فى شمال أفريقيا ، وسوريا ، والصومال ، ومع الأتراك ، واليونان .

وكان يعتمد فى مهمته الكبرى هذه على معاونة ثلاثة قواد ، سبقت له الخدمة معهم قبلا وهم : الجنرال « ولسن » فى مصر ، و « بلات » فى السودان ، و « جيفارد » فى فلسطين . وكان

رئاسة الشرق الأوسط

سبتمبر ١٩٢٤

فبراير ١٩٢٤



رئيس أركان حرب بل يده اليمنى ، الجنرال « آرثر سميث » •
الذى كان يخدم بمصر اذ ذاك منذ ١٩٣٨ •

وقد قيل له ان الشؤون الادارية الخاصة ، ستتعهدها وزارة
الحرب نفسها فى لندن وتكون من مسؤولياتها • وهذه المسألة ان
صحت نظريا فى السلم فلا يمكن أن تكون ميسرة أو عملية فى زمن
الحرب ، اذ أن العمليات الحربية والمسائل الادارية ، ينبغى أن تتمشى
معا ، جنبا الى جنب • وقد برهنت الحوادث فيما بعد على صدق
هذه النظرية •

وأخذ أركان حرب يعدون له تقدير موقف سديد عن سير الحرب
المحتملة فى الشرق الأوسط ، وتطوراتها المتوقعة • ودلت تنبؤاتهم
فى ذلك الحين على صدقها الى حد الدقة ، بل حتى أوقات وقوعها •
وكان همه — لكى يضمن حماية خط المواصلات الى الهند
والشرق الأقصى — أن يؤمن البحر الأبيض المتوسط وشمال
افريقيا • وذلك بالعمل على استمالة ايطاليا سياسيا والحرص
على صداقتها ، وجعلها محور السياسة البريطانية فى تلك الآونة •
أما موقف القوات التى لدى ويثل فضيل اذا قورن بقوات
ايطاليا الموجودة فعلا فى « برقة » • فقد كان لديها فى طرابلس
تسع فرق : خمس منها فى برقة ، أو ٢١٥ ألف جندى • فقد
كانت ايطاليا تحسب حساب الفرنسيين فى الجزائر ، والانجليز
فى مصر • ولو أن التعاون بين هاتين القوتين ليست له قيمة كبيرة ،
اذ أن ما بين حدود مصر والجزائر من مسافة هو ٨٠٠ ميل ، بيد أنه
قد وضع موضع الاعتبار •

ولم يكن لدى « ويثل » من القوات سوى الفرقة السابعة
المدربة التى اشتهرت فيما بعد باسم « جردان الصحراء » وكانت



الجنرال ولسن ، ومكريدي ، والنواء الزيدى باشا ، وويقل ، والنواء صادق باشا

غير كاملة ، ولواء من الفرقة الرابعة الهندية ، وصل حديثا من الهند ، وأربعة آليات مدفعية ، وكان في الطريق الى مصر لواء آخر من الهند ، فكانت النسبة بين قواته وقوات إيطاليا : واحد الى أربعة •

ويقول الجنرال كولنز في كتابه عن سيرة ويثل العسكرية ، « ان الجيش المصرى في سبتمبر سنة ١٩٣٩ كان قد بلغ ٣٠ ألف جندي ، وكانت معاهدة ١٩٣٦ تقضى بأن يكون تحت القيادة البريطانية في زمن الحرب ، للدفاع عن مصر ، ولكن عندما بدىء في اختبار كفايته ، بارسال قول متحرك منه الى واحة سيوه ، كشفت لنا التجربة عن مواطن ضعف كثيرة ، لا سيما في واجبات أركان الحرب ، والشئون الادارية ، هذا الى أن ثقلاتها ، (حملة السيارات) كانت ناقصة غاية النقص • لذلك رؤى أن من الأفضل أن يعهد الى الجيش المصرى بواجب حراسة الحدود ، وطرق المواصلات ، ومقاومة التخريب ، والأمن الداخلى • واستثنى من ذلك كتيبتا مدافع الماكينة التى عهد اليهما بالمساهمة فى الدفاع عن الحدود الغربية ، وكذلك الوحدات التى خصص لها واجب فى الدفاع الساحلى ، والدفاع ضد الطائرات فى الاسكندرية والقنال » •

ولعل هذا القول فيه اسراف ، بجانب بعده عن الانصاف ، فان البعثة العسكرية كانت قد قضت عامين ، ولم يتخرج من ضباط أركان الحرب سوى ستة عشر ضابطا ، كان لهم فى مناصبهم أسبوع واحد • وكانت البعثة البريطانية هى المسئولة عن تجهيز الجيش بالأسلحة والحملة والسيارات والذخيرة ولا شك ان التقصير يرجع اليها • هذا الى أن مصر لم تعلن الحرب بل وقفت موقف الدولة غير المحاربة •

وان كثيرا من مؤرخى هذه الفترة من الانجليز ، ومن مترجمى ويثقل خاصة ، قد اعترفوا بأن موقف مصر السياسى يختلف عن الحرب العالمية الأولى ، اذ أصبحت دولة مستقلة ، مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة ، ولكنهم أبرزوا الصعوبات الناشئة عن وجود جنسيات مختلفة فى مصر ، ووجود جاليات كبيرة من الايطاليين ، ومماليكهم وصعوبة تكتم الأخبار . ونوهوا بمساعدة البوليس المصرى وتعاونهم مع المخابرات البريطانية .

وان الجنرال **ولسن** قد اعترف فى كتابه : « ثمان سنوات عبر البحار » الذى صدر أخيرا ، بالمعونة القيمة التى أسدتها الحكومة المصرية لقضية الحلفاء ، وذكر أنه كتب الى على ماهر باشا رئيس الحكومة فى ذلك الوقت خطابا بهذا المعنى ٠٠ ثم أضاف بأن كتابه هذا قد أحدث **دويا** فى الدوائر الدبلوماسية البريطانية حين علموا به .

أما عن القوات الايطالية الأخرى التى كانت تواجه « ويثقل » فى اريتريا والحبشة ، فقدرها ب ٢٢٥ ألف و ٤٠٠ مدفع ، و ٢٠٠ دبابة خفيفة ، و ١٠٠ سيارة مدرعة . ولكن هذه القوات كان لا يحسب حسابها ، اذ استطاع عزلها عند اعلان الحرب ، وقطع مواصلاتها بايطاليا .

معركة مثالية

« لو اشتمل فن الحرب على مجرد تجنب المخاطر
لدان المجد لذوى المواهب المتوسطة جدا »
نابليون

الحرب العالمية الثانية

ونشبت الحرب ، وفي ٣ سبتمبر دخلت بريطانيا الحرب ضد ألمانيا ، واجتاحت ألمانيا بولندا ، وأخذت تبث « أشنع دعوى في الافتراء والبغض » — كما يسميها ويقل — كي تثير القلاقل في العالم الاسلامي ، وبخاصة فلسطين ، وفصمت الحكومة المصرية علاقاتها مع ألمانيا . وكانت الحالة في مصر هادئة ، وأخذ « ويقل » في الاتصال بالفرنسيين لتنسيق الخطط ، فطار الى بيروت لمقابلة الجنرال « فيجان » ، وبعد اتمام المشاورة عاد الى المطار ليركب طائرته القديمة العهد فوجد أنها قد عادت بالتالي الى مصر من تلقاء نفسها ، بعد وصوله مباشرة ، فوضع الجنرال فيجان طائرته الخاصة الفخمة (De LUXE) تحت تصرفه فاستقلها عائدا ، أما ياوره الذي كان مسئولا عن هذا الحادث ، وكان يتوقع تأنيبا عنيفا فقد دهش حين قال له ويقل وقد استقر في كرسيه المريح : « جورج . . دعنا نعيد طائرتنا بمجرد وصولنا المرة القادمة . . »

ولقد كان تقدير « فيجان » لويقل عظيما ، حتى انه اقترح أن يعمل تحت قيادة « ويقل » في حالة الحرب مع أنه أقدم منه في الرتبة .

وأخذ « ويقل » في تنفيذ الخطط التي وضعت للدفاع عن الاسكندرية ، وقال السويس . فتحركت الجنود الى مواقعها المرسومة لها احتياطا لما عساه يحدث من هجوم ايطالي مفاجيء . .

وكان هو والأميرال «كاننجهام» يخشيان كثيرا أن يعمد الايطاليون الى اغراق باخرة من بواخرهم التى كانت تمر فى القنال تحت ستار الحياد فى ذلك الوقت ، فتسبب لهم متاعب خطيرة فى هذا المكان الحيوى للمواصلات •

التجهيز للمعركة

وبدأت تتدفق القوات من المستعمرات فوصلت الى بورسعيد الفرقة الاسترالية الأولى ، وحضر لاستقبالها نيابة عن الحكومة البريطانية المستر «أنطونى ايدن» وزير المستعمرات ، فاصطحب «ويقل» ، ولم يكن الرجال قد التقوا مطلقا قبلئذ ، فقرأ «ويقل» رسالة الملك التى حملها معه «ايدن» ، فكان لها وقع حسن فى نفوس الجنود •

وبدأت القوات تصل بعد ذلك من جنوب افريقيا ونيوزيلندا ، وغيرهما من بلدان «الدومنيون» فأخذ «ويقل» فى اعدادهم للمعركة بالتدريب على استخدام أسلحتهم الجديدة ، وتزويدهم بالمعلمين من الوحدات الأخرى ، وارسالهم الى المدارس العسكرية فى حيفا ، وغيرها ، ثم تنظيمهم ، واستكمال حاجتهم من الفنيين والاختصاصيين •

وسافر الى انجلترا فى نوفمبر ، وعرج على فرنسا • وعاد بعد أن وافقت وزارة الحرب على أن تعهد اليه بادارة شئونه الادارية ، فاختر لها ضابطا ممتازا فى شخص الجنرال «هتشيسن» ليحمل عنه عبء الامداد والتموين ، والخدمات الطبية ، والمهمات ،

والصيانة • وصادقت له الوزارة على الاعتماد المالى اللازم لانشاء ادارة كبرى مستقلة للمخابرات كى تنهض بالأمور السياسية ، والشئون العسكرية للأسلحة الثلاثة (طيران ، وبحرية ، وجيش) بعد أن كانت الاختصاصات فيها موزعة بينه وبين حلفائه الفرنسيين فى البحر الأبيض المتوسط •

ولقد أتاح له الركود فى مسرح العمليات بأوروبا فرصة رتب فيها أموره ، فتوفر على تدريب القوات ، وتحسين الدفاعات فى الدلتا ، ووجد أن « العلمين » هى خير مكان لمقابلة أى هجوم من الغرب ، ولقد أسماها بحق الجنرال « برنت استيوارت » منذ سنوات حينما كان قائدا للقوات البريطانية فى مصر « بوابة طريق اسكندرية » وكان رأى هو تحصينها ، ولكن الجنرال « فنلايسون » قائد القوات البريطانية عام ١٩٣٨ ، كان قد قرر أن تكون المعركة بعيدة عن ذلك ، ولقد أقره « ويثل » على رأيه ، فأعدوا نقطا خارجية عند « السلوم » بقصد اجبار العدو على « الفتح » ومنعه من الحصول على مياه من « بقبق » •

وأخذ بعد ذلك فى تمرين الجنود على الصحراء ، فأرسلت الضباط ، فى مأموريات استكشاف الى سيوة ، والبحرية ، وكذلك أرسل آلاى استكشاف الفرقة السابعة المدرعة لاجتياز الصحراء ، والتعرف بها ، حتى ألفت الجميع العمل فيها ، وأضحوا لا يخشون المقام بها أو السير فى أنحائها • وأعدت الخطط ، واخرائط ، وسار التدريب سيره الحميد ، خلال فترة الانتظار هذه •

ولو أن ويثقل كان مضطرا الى اتخاذ خطة « الدفاع » بعض الوقت ، الا أن روح خطته كانت هجومية ، تلعب فيها « خفة الحركة » دورا هاما . فاتخذت الأهبة لاعداد قوة صغيرة ، يسيرة التوزيع ، خفيفة الحركة ، لا تتجاوز مع أسلحتها المعاونة مجموعة لواء . للقيام بالهجوم ، حالما يعرف اتجاه ايطاليا .

ولقد حالف تكتيكاته التوفيق التام ، لافى نتائجها العملية فحسب ، ولكن في أثرها المعنوى ، القوى ، على العدو .

وأدرك « ويثقل » أهمية اعداد قسم مخبرات للميدان ، أمنا من المفاجأة . ولكى يمد القواد فى الميدان بالمعلومات ، أولا فأولا ، عن تحركات العدو ، ودفاعاته الخ . . طلب قائد مدرسة المخبرات فى لندن للقيام بهذه المهمة فحضر بالطائرة وفى صحبته عدد من الضباط اختارهم لمعاونته .

وكان من خطة ويثقل أن يثير القلاقل فى الحبشة فى نفس الوقت الذى تقوم فيه القوات بالدفاع عن الخرطوم ، والعطبرة ، وبور سودان ، فأرسل اليه من لندن الكولونيل « ساند فورد » ليمده بالمشورة ، لخبرة الأخير بشئون الحبشة ، ولصداقته الشخصية بامبراطورها . فاتصل لدى وصوله باللاجئين الأحباش بمصر ، وفلسطين ، والخرطوم ، لتنظيمهم ، واعداد جماعات الثوار ، كى تعاون الجنرال « بلات » فى خطته عند سnoch الفرصة .

واستمر « ساند فورد » ملحقا برياسة « ويثقل » حتى أعلنت

إيطاليا الحرب ، فانتقل الى الخرطوم ، ليرأس البعثة الحبشية
البريطانية ، وليكون مستعداً لشن حرب العصابات .

ونقل قائد الطيران وتعين مارشال الجوِّ « لونجمور » مكانه .

ثم قدمت أسرة ويقل ، الى مصر ، وأقامت معه في منزل الجنرال
« ولسن » الذى لم يتسع للأسرة كلها ، فاختارت بنتاه ، ومريبتها
العجوز « بنسيونا » للإقامة فيه .

الموقف العام

وزادت التبعات ، وتضاعفت الأفراد في مكاتب رئاسة « ويقل »
وعهد الى الجنرال « هتشيسن » تقسيم رياسته « الادارة والامداد
والتموين » الى قسمين : الأول لامداد الجيش بما يحتاجه من
صيانة وتموين يوما فيوما ، والثانى لاعداد الخطط الادارية التموينية
المقبلة حتى يستطيع أن يوضح لويقل العدد الذى يمكن اعاشته من
الجنود في مسرح معين ، والى أى زمن ، والى أى مسافة يمكن
أن يتقدموا مع استطاعته اعاشتهم ، وامدادهم في نفس الوقت :
بالذخيرة ، والبترول ، والمهمات ، والمياه ، والغذاء الخ ...

ولولا أن ويقل قد اختار رجلا ذا كفاية لشؤنه الادارية لما
أحرز في عملياته أى نجاح . فان زمن المعجزات قد انتهى ،
ولا توجد عصا سحرية في الحرب الحديثة ، تحيل رمال الصحراء ،
الى بترول أو ماء . وانما هو التفكير المبكر ، ومواجهة كل مسألة
بالحل المناسب لها . ثم علاج كل شئ وتجهيزه بعناية ، حتى يمكن
للجنود أن تتقدم الى العدو ، وتحرز الانتصار عليه .

وقد كان ويقل كثير النشاط ، فهو يطير الى جنوب أفريقيا يقابل سمطس ، ثم يسافر الى حلب لحضور مؤتمر يبحث مسألة امداد تركيا بالقوات لمواجهة خمسين فرقة للالمان ينتظر أن تواجهها في الربيع . ولكن هذا المؤتمر انتهى دون نتيجة ما لأن «ويقل» قرر صراحة بأن مساعدته لتركيا واليونان ، ستكون محدودة ازاء موقفه من قوات ايطاليا في الصحراء .

وقدر ويقل في هذه اللحظات الحرجة ، أن العالم الاسلامي سيظل محايدا ، ان لم يكن حليفا ، ولن يشترك في أعمال عدوانية ضد الامبراطورية البريطانية . . ولو أن هذا التقدير يظنه البعض جريئا على ضوء ما حدث من قبل في فلسطين ، ولكن الظروف قد دلت على اصابته ، فيما عدا « العراق » وهي حالة واحدة قد جابهت « ويقل » بمسألة شائكة في وقت حرج .

ولكن الذي لم يتأت توقعه أو يدر في خلد أي ضابط أركان حرب مهما كان بعيد النظر ، هو ما حدث عقب انهيار فرنسا ، من وقوف قواتها في سوريا ، والصومال الفرنسي ، موقف العداء السافر ، مما زاد تعقيد الأمور ، وصعوبة المشاكل .

انهيار فرنسا

وأسفرت معركة فرنسا عن انهيارها ، وخروجها من الحرب نهائيا ، ودخول ايطاليا ، وتولية تشرشل مكان شامبرلين رئاسة الوزارة البريطانية ، ومناشدته الامبراطورية كي تواصل الحرب ،

وندائه ، بوجه خاص ، الى المستعمرات يستحثها على بذل المعونة
للهوض بأعباء الحرب •

وكانت القوات التى لدى « ويثل » قليلة وتكاد تفتقر الى كل
ما هو حيوى من معدات الحرب وعتادها ابان هذه الأسابيع المليئة
بالكوارث : سقوط هولندا ، واستسلام جيش بلجيكا ، واقتحام
خط ما جينو ، والانسحاب من دنكرك ، وتقهقر الجيوش الفرنسية
وانهيارها • وكانت تمر به الحوادث كما يمر بالناعم كابوس مريع
وقد شاهدت دول البلقان وتركيا والشرق الأوسط عاقبة كل من
يجرؤ على الوقوف فى سبيل ألمانيا •

وكان الأثر المعنوى الذى خلفته هذه الحوادث ، فى تلك البلدان
عظيما • فقد أدى انهزام بولندا وانهار فرنسا الى تحسين موقف
ألمانيا الاستراتيجية فى أوروبا ، اذ أخلت الطريق أمام جناحيها
الأيمن والأيسر •

وضاعف موقف « ويثل » حرجا اعلان موسوليني الحرب فى
١١ يونيه ١٩٤٠ فكان الأخير قد وقع أمر اعدامه ، وفناء امبراطوريته ،
لقد دخل الحرب — كما يروى شيانو — مدفوعا بكرهه لفرنسا ،
وسعيا وراء اقتسام الغنائم ، دون المساهمة فى الأخطار •

موقف ويثل

وكان يواجهه جيش المارشال جرازيانى العاشر وقوامه
٢٠٠ ألف رجل فى برقة ، « قوة الصحراء الغربية » ، التى ألقتها

ويقل تحت قيادة الجنرال « أوكونر » من الفرقة السابعة المدرعة ، عدا آلايين مدرعين ، أو ثلث الفرقة • والفرقة الرابعة الهندية عدا لواء ، أعنى ثلث المشاة • بجانب النقص العام في المدفعية ، وبخاصة المضادة للطائرات ، ازاء تفوق الطيران الايطالى • أضف الى هذا اللواء المشاة الثالث عشر ، ولواء الحرس الثانى والعشرين •

وأخذت طلائع القوة الخفيفة تراقب الحدود ، ومن ورائها سائر الفرقة ، وكان عند « بقبق » اللواء الخامس الهندى ، مدعماً بفصائل مصرية من مدافع الماكينة يعاونها آلاى مدفعية ميدان • وفى مرسى مطروح ، لواء الحرس الثانى والعشرين ، وكتيبتا مدافع الماكينة المصرية ، مع آلاى آخر من المدفعية • أما من مرسى مطروح الى الاسكندرية ، فتوجد فصائل من كتيبة بريطانية ، وشرقى مرسى مطروح كانت تتجمع الفرقة الرابعة الهندية • وأعطيت التعليمات لقواد الوحدات الأمامية كى تقاتل راجعة فى ببطء ، عاملة على انزال أفدح الخسائر بالعدو ، دون أن تعرض نفسها لخسائر كثيرة •

وأخذ « ويفل » فى اعداد القوات الاحتياطية التى بدأت تقدر الى مصر وفلسطين والتى بلغت فى مجموعها نحو ٣٦ ألف رجل يضاف اليها ٣٠ ألف فى مصر ، وهذه القوات لاتعد صالحة للقتال ، اذ لم تنظم أو تدرب بعد •

أما فى السودان فقد كانت « كسلا » تقع قرب الحدود

الحبشية ، وكذلك « القلابات » ، فصمم ويشل على أن يتخلى
عنهما ، مع ما يترتب على هذا العمل من أثر معنوى ، وذلك لكى
يحتفظ بالخطوط بالنسبة لقلّة قواته ، والنقص فى معداته ، وبعد
المسافة ، وصعوبة المواصلات ، ونقص المياه •

ولما كان الموقف الإدارى مازال يعوزه بعض وحدات
التموين ، والمهمات ، والإصلاح والصيانة ، بجانب النقص الخطير
فى السيارات ، فإن مرونة القوة ، وخفة حركتها كانت محدودة ،
فلا تستطيع الفرقة السابعة المدرعة لنقص خط الحملة الثانى ،
أن تعمل أبعد من مسافة ١٠٠ ميل • ولكن « ويشل » رجل
موفق محظوظ لأن أعداءه ايطاليون وليسوا بألمان !! أما قوة
الطيران التى لدى مارشال الجو « لونجمور » فكانت ضئيلة
جدا • وبسقوط فرنسا انتقل الأسطول البريطانى فى البحر
الأبيض المتوسط الى الاسكندرية ، وتحولت القوافل التى كانت
تأتى من بريطانيا الى طريق الرجاء الصالح ، ضمنا للأمن ، ومعنى
هذا أن النجديات التى كانت تصل فى مدى أسبوعين أصبحت
تقطع المسافة فى ثلاثة أشهر ، وهذا يؤدى الى البطء ، أو الى
مضاعفة عدد السفن — وكانت قليلة •

الاسكندرية والسويس

ومن ناحية أخرى أصبح للاسكندرية والسويس أهمية
كبرى ، تتطلب الدفاع عنهما جويا ، وبحريا أيضا • وقواته

في الطيران والمدفعية غير كافية من البدء • فكان الموقف العام
« لويقل » مما لا يغبط عليه •

ولما كانت البحرية بقوتها العظيمة في الاسكندرية ، رؤى أن
تكون تحت قيادة ضابط بحرى ، فقد كانت قاعدة الأسطول
الأساسية ، وكذلك تقوم بتموين قوات الصحراء بحريا • وقد تقرر
ضمانا للأمن من الجاسوسية ، ووقاية من التخريب ، بالنسبة
لوجود جالية ايطالية كبيرة تقيم بها ، أن يعتقل جميع الشبان
الصالحين للخدمة العسكرية ••

ولقد عاونت الحكومة المصرية معاونة صادقة على اعتقال
سبعة آلاف ايطالى أرسلوا الى معسكرات الاعتقال ، ولم يرتفع
للإيطاليين صوت بعد ذلك ، فقد التزموا الهدوء فيما عدا طائفة
من النساء المتطرفات اعتقلن بعدئذ •

أما في السويس فكان الشغل الشاغل هو الخوف من تعطيل
الملاحة في القنال ، اما باسقاط الألغام من الطائرات ، أو وقوع
الحوادث العارضة مثل حادث السفينة اليونانية التى اعترضت
المروور مدة ثلاثة أسابيع •

ولما كان الأسطول يعتمد في وقوده على البترول الذى يرد
من الخليج الفارسى بالسفن ناقلات الزيوت ، فقد اتخذت الخطوات
لمد أنابيب من السويس الى الاسكندرية ، وقد قام بهذا العمل
سلاح المهندسين الملكى فى الحال •

ولما كان موظفو القنال منذ أيام « دلسيس » معظمهم من
الفرنسيين ، فقد خشى أن ينسحبوا من العمل ، كمواطنيهم ،

لخوفهم على مستقبلهم ، ومعاشاتهم ، بجانب انتشار روح الهزيمة بينهم . ولذا فإن أمر معاملتهم ومراقبتهم كان يتطلب عناية خاصة . ولو أنه كان لا يخشى من قيامهم بالتخريب إلا أن مجرد تغييبهم عن العمل كان كفيلا بعرقلة العمليات الحربية التى كان ويقل يجمع القيام بها فى شمال شرق أفريقيا .

وبمجرد اعلان الحرب على ايطاليا ، اعتقل البوليس المصرى « قلم المخابرات الايطالى » فى مصر ، وبعد قليل سحبت الامتيازات الدبلوماسية من المحايدين — غير الحلفاء — ويقول كولنز : « انه على الرغم من وجود جمعيات مصرية أو مسلمة « هدامة » فانه لم يعتد على ويقل أو أحد من الانجليز البارزين » . وعل ذلك الزعم بسخافة أخرى ، هى أن العناصر المتطرفة الوطنية كانت لا تريد اضعاف موقف الانجليز لخوفهم من ألمانيا وايطاليا ؛ ثم عقب على هذا الهراء بتناقض غريب هو قوله : ومن الانصاف أن نقول انه لم تظهر حركات هدامة ذات خطر أثناء وجود « ويقل » ، أو حتى أثناء طرق رومل أبواب مصر عام ١٩٤٢ ، لقد كان ويقل يكره الحراسة ويضيق بها حتى ان ضابط المخابرات كان قد أصر على أن يتبع ويقل حرس مسلح ... ولكن ويقل اعترض على ذلك ، ونبه الضابط الى انه لا يرغب فى هذا الحرس ... فتجاهل الضابط الأمر . ولكن حدث لسوء الحظ أن ويقل كان يقوم باداء زيارة لصاحب السمو الملكى الأمير محمد على فاذا به يرى فى أعقابها داخل فناء القصر سيارة بالحراس المدججى السلاح . فأعطى أمرا صريحا قاطعا بالغائهم ، فأصبح البوليس المصرى هو المنوط بحراسته بعد ذلك .

تقرير للوزارة

ورأى ويثقل أن من واجبه أن يعرض على وزارة الحرب في لندن موقفه رسميا • ويبين لها في غير مبالغة ، خطورة النقص في كل فرع : في الرجال والعتاد ، وقلة حملة السيارات التي تعوق حركته وبخاصة الفرقة السابعة المدرعة ، وطلب أن ترسل اليه مباشرة فرقة مدرعة ، وثلاث فرق مشاة ، بجانب الأسلحة المعاونة اللازمة لها • فكان الرد عليه من الوزارة حاسما ، موجزا ، وفي الموضوع بأن لا نجدات قبل شهرين ! •

ولقد كانت خطة ويثقل في الدفاع عن الشرق الأوسط تتضمن معاونة السلاح الجوي ، والبحرى ، والبرى الفرنسى • ولكن الموقف الآن قد تغير • اذ أن الجنرال « نوجيس » الفرنسى قد اتخذ موقفا سلبيا ، ولذا فإن الجيش الايطالى كله الموجود بليبيا قد أصبح في حرية مطلقة لتركيز هجومه على مصر • وكذلك كان موقف الجنرال الفرنسى « متلهوزر » الذى تسلم القيادة من الجنرال « فيجان » •

هذا هو مجمل الحالة التى كان يجب أن يواجهها « ويثقل » بقوات تفوق قواته في العدد بنسبة ٥ الى ١ بجانب ما بها من نقص في كل شئ : ذخيرة ، ومعدات ، وعتاد ، وحملة سيارات ، وكان موقف الطيران أيضا موقفا ضعيفا جدا ، مع هذا الخط الطويل من المواصلات الذى يصله بالقاعدة في انجلترا وبالجملة كان يعوزه كل شئ يجب أن يحصل عليه الجيش الحديث لكى يقاتل • لقد كان الموقف كافيا لأن يهتز له أقوى القلوب •

ومع هذا ، فانه عندما تسلم برقية انهيار فرنسا — وهو يلعب الجولف فى نادى الجزيرة بمصر — قال : « أظننى لا أستطيع أن أفعل شيئاً بهذا الخصوص » وبعد يومين أنبأ جنوده فى أمره اليومى بهذه الكارثة :

« حلفاؤنا الفرنسيون الشجعان ، قد غلبوا على أمرهم ، بعد نضال يائس ، وأجبروا على التسليم • أما الامبراطورية البريطانية فستواصل القتال طبعاً ، حتى احراز النصر ••• وسننقذ أوروبا ثانية من الظلم كما فعلنا من قبل • أمامنا أوقات عصيبة ، ولكننى أعرف أننا سنواجهها بنفس الروح ، روح الثقة الرصينة ، التى قابلنا بها أمثال هذه الأزمات فى الماضى • سوف نقف ثابتين مهما حدث •

« وسيفنى الدكتاتوريون ، أما الامبراطورية البريطانية فلن تموت » •

ليس هذا مجرد كلام منمق ولكنه صوت يقينه الذى لا يتزعزع • ولقد أشاعه فى كل من يخدم فى الشرق الأوسط ، ولقد كان الأميرال « كاننجهام » أحد المعجبين بشجاعة ويثل ابان هذه الأزمة • حتى انه حين التقى به بعد أربع سنوات من هذه الحوادث فى انجلترا ، ذكره بثقته الكاملة بأن الامبراطورية ستعيش بعد هذه المخاطر المهلكة التى مرت بها ، فكان تعليق ويثل : « نعم ! ولكنى لا أستطيع أن أعرف السبب الآن » ! •

خطة الصحراء

لقد حاول ويقل أن يقنع الجنرالات الفرنسيين الثلاثة في سوريا ، والجزائر ، والصومال الفرنسي ، بانضمام قواتهم في الميدان ، الى جانبه ، فلم تفلح محاولته ، فأخذ يعمل لكسب الوقت سيما وفي الصحراء متسع للمناورة . فكان عليه أن يتخلى عن الأرض في سبيل كسب الوقت ، فيعمل بذلك على تقصير خطوط مواصلاته واطالة مواصلات العدو .

فقد كان أمامه عدو يفوقه في المعدات والسيارات الحديثة ، والطائرات ، فكان لزاما عليه أن يتجنب القتال العنيف في هذه الحالة وأن يقتصد ما استطاع في حملته ، وفي سياراته المقاتلة .

ولقد حاول ضباط ويقل الاداريون أن يحصلوا على سيارات للنقل محليا فلم يفلحوا ، ف بجانب قلة الطرق الممهدة في مصر فان « اللوريات » تكاد تكون معدومة . أما « الأتوبيسات » القليلة في مصر والاسكندرية فكانت في حالة سيئة بحيث لا تصلح للعمل في طريق مرسى مطروح . ولقد ظل هذا النقص يشل عمليات ويقل الهجومية طوال قيادته .

أما اصلاح السيارات في مصر فتعوزها الأيدي العاملة . فان الصحراء قاسية على ماكينة السيارة ، وهزازاتها ، واطاراتها ، وقلة السيارات تؤدي الى زيادة أحمالها ، ومضاعفة تشغيلها . . . وقلة صيانتها يضيف السيارة الى قائمة الخسائر ، وقلة وجود

« قطع الغيار » يجعل السيارة نفسها عرضة لاختلاس أجزائها واستخدامها في سيارة أخرى •

وقد رت هيئة أركان حرب « ويقل » أن جرازىانى لن يستطيع التقدم بأكثر من فرقتين فى الخط الأمامى بالنسبة لحالة المواصلات •
والتموين فى الصحراء •

وكان واجب الآلاى طليعة الفرقة المدرعة السابعة ، أن يزعم ويربك القوات الايطالية المتقدمة مسببا لها الخسائر ما استطاع ، حريصا على تجنب الخسائر لنفسه ••• وصلت داوريات العربات المدرعة الى خط الحدود عند دخول الليل من يوم اعلان الحرب ، واخترقت السلك الشائك ، وأوقعت الرعب فى الوحدات النظامية الايطالية ، وجنود المستعمرات • وأزعجت القوافل المختلفة دون أن تلحقها خسائر فى الرجال أو العربات ، وكانت المفاجآت كاملة ، حتى أن بعض الأسرى لم يكن يدرك أن هناك حربا ، وأسرت الدوريات فى مدى أسبوع ٢٥٠ أسيرا و ١٧ دبابة خفيفة و ٥٠ سيارة و ٥٠ طائرة • فكانت هذه بداية موفقة ، أدت الى انسحاب الايطاليين مؤقتا من خط الأسلاك ومن قلعة « كابتزو » فرفعت هذه الأنباء من معنوية الجنود بالصحراء • ولقد قدر المارشال « جرازىانى » قوات ويقل بفرقة ميكانيكية ، وثلاث فرق مشاة ، ولواء هندی مشاة ، ولحسن الحظ أنه قدر الجيش المصرى أيضا بثلاثين ألف مقاتل •

خطة السودان

أما فى السودان فقد كانت الظروف التى تجابه القوات البريطانية هناك أشد قسوة من الصحراء الغربية ، فقد قدرت المخابرات

البريطانية قوات العدو بخمسين ألف مقاتل ، فرقة ميكانيكية و ١٠٠ دبابة خفيفة و ٦ بطاريات مدفعية و ١٠٠ طائرة • ولم يكن أمامهم في السودان سوى اثنتى عشرة سرية من مدافع الماكينة المحملة بالسيارات ، والمشاة من قوات الدفاع السودانية ، وثلاث كتائب بريطانية أو حوالى سبعة آلاف جندى منهم ٢٥٠٠ بريطانى • وليس لدى القوة سوى حفنة طائرات ، وليس لديها مدفعية • وكانت أهداف الهجوم الايطالى : الخرطوم — وهى العاصمة — والعطبرة ، ملتقى السكك الحديدية ، وبورت سودان ، على البحر الأحمر ، وليست لهذه البلدان فى الواقع أهمية حيوية فى حرب عالمية • ولو أن الاستيلاء على مدينة الخرطوم يكون معناه سقوط معظم السودان بجانب أنه ضربة عنيفة لهيبة بريطانيا •

وكانت الخطة التكتيكية تقضى بأن يعهد الى الكتائب البريطانية الثلاث الدفاع عن الثلاث البلدان المشار اليها • أما الوحدات التابعة لقوات الدفاع السودانية ، فتقاتل « بمطلق الحرية » فى المنطقة الأمامية لكسلا • وكانت مهمتها ، بالمثل كما فى الصحراء الغربية ، ازعاج تقدم الايطالين ، وتكبيدهم خسائر ، واستغلال الصعوبات الطبيعية التى تواجه العدو ، الى أقصى حد • أما كسلا التى تبعد ٢٠ ميلا عن حدود أرتيريا ، وكذلك القلابات ، فانه ارتأى ألا يتمسك بهما ، وأن أثر ذلك الاجراء فى هيبة بريطانيا •

محاولات أخرى

عاد ويقل مرة أخرى الى بذل محاولات شخصية لدى الجنرالات الفرنسيين الذين رفضوا أن يستجيبوا له وظلوا على ولائهم لحكومة المارشال « بيتان » . وقد كشفت محاكمته الأخيرة عقب الحرب ، أن بغضه للانجليز منذ الحرب العالمية الأولى ، هو الذى جعله يبذل أقصى جهده ضدهم ، الى حد اتهام القواد الفرنسيين السيء الحظ بأنهم يتزعمون العصيان والتمرد ضد فرنسا ، ولذا فان ويقل حين طار لمقابلة « متلهوزر » فى بيروت وجده قد فقد أعصابه ، لخوفه من « بيتان » .

أما فى الصومال فقد كان الجنرال « جنتيوم » القائد الفرنسى قد عاهد « ويقل » على أن يستمر فى الحرب ، ولكنه لم يستطع أن يفى بعهده ، لأن رؤسياه من ضباط وجنود ، قرروا القاء السلاح ، حرصا على أسرهم فى فرنسا وعلى معاشاتهم ، وولائهم للمارشال « بيتان » فأخرج ذلك موقف القوة البريطانية فى الصومال . وبعد قليل أمر « بيتان » بالقبض على الجنرال « جنتيوم » ولكنه هرب الى بربرة ، ومنها الى القاهرة لىخدم تحت لواء « ديجول » .

ولقد زاد موقف « ويقل » تعقيدا ، شروط الايطاليين فى عقد الهدنة مع الفرنسيين الذين كان عليهم نزع السلاح على الحدود من ناحية ليبيا ، والصومال الفرنسى .

ولقد انضمت بعض الوحدات الفرنسية التى عبرت الحدود

من سوريا الى فلسطين ، وكذلك اللواء البولندي الذى كان هناك مشكلا من اللاجئين ، الى قوات « ويثل » بفلسطين ، فاختار لهم الجنرال « المارشال كورنوال » رئيس البعثة العسكرية البريطانية الأسبق فى الجيش المصرى ، كى يقوم بتنظيمهم ، وتدريبهم ، لمقدرته ، ولباقته ، ولاتقانه عدة لغات .

اجتماعيات

لقد رزق الله « ويثل » مظهرا لا يشى بما فى باطنه ، ووجهها غير معبر يطلق عليه « وجه لاعب اليوكر » فان الأنباء كانت تترى عليه كل وقت بكارثة جديدة ، أو مشكلة شائكة فى هذه الأيام ، ومع هذا فكان يركب جواده كل يوم قبل الافطار الى « الجزيرة » ولم ينقطع هو وزوجه « الليدى ويثل » عن الاجتماع بالناس ، فكان لديهما دائما مدعوون للغداء أو العشاء ، وكانا يقيمان حفلة مرطبات « كوكتيل » فى يوم الأحد أسبوعيا ، وكان يبدو فيها ويثل فى أحسن حال .

أما فى ولائم الغداء فكان يجلس أثناءها مشغول الخاطر ، صموتا ، كعاداته . ومن الطرائف التى تروى أنه ابان احدى حفلات الغداء فى منزله : قالت له سيدة عاطفية — وهى تتأهب للجلوس الى جواره على المائدة — : « انى سعيدة الحظ يا جنرال « ويثل » بالجلوس الى جوارك . الآن يمكنك أن تحدثنى عن الحرب ، وعن سيرها ... » فكانت اجابة ويثل بابتسامته الجذابة : « لعلك

تعليمين أنى شديد الأسف ، لأن نشرة أخبار الساعة الواحدة ،
قد فاتتني » ...

وحدة جديدة بالصحراء

وفي نهاية شهر يونيه ، ألف «مجموعة الصحراء البعيدة المدى» واختار لها قائدا خيرا بالصحراء في سنوات قبل الحرب وهو الكولونيل « باجنولد » ، وأمدّها بسيارات ومدافع ماكينّة ولاسلكى ، وجنود نيوزلنديين بدأ في تدريبهم « باجنولد » على العمل فى الصحراء ، ومهمتها هى الاستكشاف ، وجمع المعلومات عن الأماكن الصحراوية غير المطروقة من قبل . ثم أمكن بعد ذلك التوسع فى هذه المجموعة وكان من مهامها إثارة الاضطراب فى ليبيا وبخاصة فى واحة « الكفرة » التى استولوا على قلعتها بعد ذلك بمساعدة القوات الفرنسية بقيادة الجنرال « ليكلرك » ، التى أزججت المارشال جرازيانى أثناء تقدمه الى مصر .

كسلا والصومال

وفى هذه الأثناء تقدم الايطاليون صوب كسلا واستولوا عليها ، وخسروا نحو خمسمائة رجل مقابل عشرة من « فرقة العرب الشرقية » . وبذلك تعذر استعمال الخط الحديدى — بور سودان — كسلا — الخرطوم . وكان هذا الانسحاب وفق خطة ويقل التى أشرنا اليها .

أما فى الصومال البريطانى فقد قرر ويقل أن يبقى ، ولعل

الخير كان فى الانسحاب — كما ظهر فيما بعد — فلما دخلت الدوريات الايطالية فى أغسطس ١٩٤٠ أراضى الصومال كان «ويقل» قد سافر الى انجلترا ، وترك هذه المسألة الشائكة للجنرال «ولسن» كى يجد حلا لها . ولكن بعد ثلاثة أيام من دخول الدوريات ، بدأ الغزو الرئيسى بثلاثة قولات يتألف كل منها من مجموعة لواء ، الأول وجهته زيلع ، والآخر الى بربره ، وهناك لواء رابع فى الاحتياط . فلم يستطع القائد المحلى بريجادير «شاتر» أن يوقف هذه القوات الكبيرة بوسائله المحدودة جدا . فأرسل الجنرال «جدون أوستن» من القاهرة على وجه السرعة ليتسلم القيادة هناك ومعه أركان حرب ، فوجد هذا الموقف اليأس . وبعد دراسة الموقف بنفسه ، بعث بتقرير يقترح فيه أحد حلين : اما قتال للنهاية ، واما الانسحاب بما يمكن انقاذه من الجنود ، وقدرهم بستين فى المائة من القوة ، اذا حالفه التوفيق . وأوصى بقبول الحل الأخير . فوافق ولسون ، وقرر سحب القوات الباقية والسيارات الممكنة ، فتعاونت البحرية مع آلاى «الحرس الأسود» الذى قام بعمل المؤخرة وأمكن انقاذ مائة فى المائة من القوات ، أما المهمات والحملة كلها فاضطروا الى تركها كما فعلوا قبلا فى «دنكر» .

تشرشل وويشل

وشاهد ويشل بعينى رأسه معركة بريطانيا ، أثناء تقدمه الى الحكومة بطلب الامدادات للشرق الأوسط . والتقى بتشرشل رئيس الحكومة اذ ذاك ، ولم يكن الرجلان قد تقابلا قبلئذ ، لأن

ويشل ، على تمتعه بالشهرة في الأسلحة الثلاثة ، لم يكن له اتصال بالدوائر السياسية .

ولقد يظن أن هذه المقابلة لم يكن لها في نفس تشرشل وقع ملائم أول الأمر ، كما هو معروف عن ويشل من التزام الصمت ، وأسلوب حديثه الذي لا يؤثر في النفس ، وعادته في تناول مسأله بايجاز لا يشفى . ومهما يكن من الأمر ، فإن ادراكه للموقف الحربى بصفة عامة شاملة كان لاشك من المزايا التى حسبت له . لقد أوضح لتشرشل أن حاجته مهما كانت ماسة الى امداد لكى ينهض بالمهام المنوطة به ، الا أنه يرى أن المعركة التى تدور رحاها فى أرض الوطن ، هى المعركة الحاسمة فى هذا الوقت ، وأنه يجب عليه اذن أن يعمل بما يمكن أن يستغنى عنه من هذه العملية . ومع هذا فقد تقرر أن يزود بالايين دبابات « كروزر » وآلاى دبابات مشاة ، ترسل بطريق البحر الأبيض المتوسط مهما كانت الأخطار ، فوصلت الى بور سعيد فى آخر أسبوع من سبتمبر .

اننا نتكهن فقط عن مدى أثر هذه المقابلة الأولى فى نفس كل من تشرشل وويشل ، ولكن المؤكد أنهما أصبحا بعد ذلك أوثق معرفة بعضهما ببعض ، وأن مقدرتهما وتمكنهما من اللغة التى تبدت فى برقياتهما واقتباسهما من الانجيل فى رسائلهما لتدل على ما بين الرجلين من تقارب وتفاهم .

سبتمبر ١٩٤٠

وعاد ويشل من انجلترا فوجد الموقف على ما هو عليه ، ليس خيرا مما تركه ، أو شراً منه . ولكنه وجد على مكتبه فى انتظاره

فى موضع بريد « العرض » أكواما مكدسة من تقارير القواد
وملخصات المخابرات فى سائر الميادين ، ورسائل السفراء وبرقيات
عدة من رئيس أركان حرب الامبراطورية ، ومن رئيس الوزارة
نفسه ، فاستعان على ذلك كله بمواهبه الفذة التى تمكنه من
التفكير فى شئين فى وقت واحد ، وقد أشرنا الى أنها كانت موضع
تندر زملائه الضباط فى أيامه الأولى فى كتيبته « الحرس الأسود »
فكان يصغى الى حديث ضابط يعرض عليه مسألة ، على حين يكون
مشتغلا بالنظر فى موضوع غيره دون أن تفوته نقطة هامة فى
كلتا الحالتين ... لقد حباه الله قلبين فى جوفه على عكس غيره من
الناس ... هذه الكفاية المزدوجة فى استيعاب المعلومات قد وفرت
عليه وعلى مرءوسيه وقتا كبيرا .

ولم يتناول خططه الأساسية التى رسمت لملاقاة الهجوم الايطالى
فى الصحراء الغربية بأى تعديل سوى أنه ضاعف الدفاعات عند
مرسى مطروح ، وعند معاطن باجوش ، التى هى مورد المياه فى هذه
الناحية ، خشية أن يثبت العدو قوات مرسى مطروح ، ويتجه
جنوبا . وقوى الدفاعات غرب الاسكندرية ، أمنا من اغارة
الدبابات أو انزال جنود بالطائرات .

ولقد تناهى اليه وهو فى لندن ، أن الفرقة الخامسة الهندية
قد تلقت التعليمات بالسفر وسوف تصله فى مدى ثلاثة أسابيع ،
فبادر فى الحال بالكتابة الى الجنرال « بلات » ينبئه بأنه قد خصص
هذه الفرقة له ، وطلب اليه أن يعد خطته للقيام بالهجوم فى أقرب
وقت مستطاع .

ثم جدّ « ويقل » في التوسع في القاعدة ؛ لكي تكفل اثنتى عشرة فرقة بدلا من ست • وان كان العامل المسيطر كان يتجلى في نقص أدوات البناء ، والأيدى العاملة ، في الفنيين ، والجنود اللازمين لمراقبة الأعمال المحلية ، والاشراف عليها •

وبدأ في عمل استكشاف ادارى في العراق ، وتركيا ، واليونان ، احتياطا لما عساه يحدث من امتداد الحرب الى هذه الجهات • كذلك أنشأ قاعدة ثانوية شمال الخليج الفارسى •

وكان شغل ويقل الشاغل ، وما زال : النقص في الحملات الميكانيكية • فان عمر السيارة في الصحراء ، يقدر بثلاث المدة التى قدرها خبراء وزارة الحرب ، ويأتى بعد ذلك في الأهمية مسألة نقل المياه الى الجنود ، ويستخدم في نقلها أيضا بالحملة الميكانيكية ، فأدرك ويقل من بادىء الأمر أن الماء قد يكون عاملا حيويا في عمليات الصحراء ، فعمل على مد الأنابيب من الفرع الغربى للنيل الى مرسى مطروح •

هجوم

في منتصف سبتمبر تناهى الى ويقل أن الايطاليين عبروا الحدود المصرية ، وكان ذلك وفق تقدير « الجنرال أرثر سميث » اذ هجموا بقوة قوامها فيلق ، وكان الضباط والجنود قد دربوا على مشروع تكتيكى في ربيع عام ١٩٣٩ طبق هذا التقدير على وجه الدقة ، وكانت الأوامر معدة ، والخطة مرسومة ، والعملية مهيئة لمواجهة الموقف دون اضافة شىء ، أو تعديل أمر •

ومن خصال ويقل البارزة ثقته التامة بمروءيته ، الذين يوالونه أيضا ثقتهم ، فاذا أدلى اليهم بفكرته العامة ، فانه يترك لهم الحرية التامة في العمل دون أن يتدخل في أمرهم اطلاقا .

وكانت الخطة هي الانسحاب الى مرسى مطروح والاحتفاظ بها ، لموارد مياهها . فتنسحب الفرقة السابعة المدرعة الى مكان أعد لها ، جنوبي مرسى مطروح كي تكون على استعداد لتسديد الضربات الى جناح الايطاليين في حالة تقدمهم . وقد استغل الجنرال « ولسن » أساليب الخداع لتضليل الايطاليين عن مكان الفرقة المدرعة ، وعن قوتها الحقيقية لأنها كانت تنقص لواءين .

ولقد كانت خسائر الايطاليين فادحة اذا قيست بخسائر البريطانية ، ويعتقد ويقل أن هجوم الايطاليين تجلت فيه العزيمة ، ولكن كانت تعوزه المهارة التكتيكية ، والجرأة . بل كانت المشاة تسير تحت وقاية الدبابات والمدفعية بنوعها : ميدان ، ومضادة للدبابات .

توقف

ولقد كان وقوف الايطاليين عند سيدى برانى مفاجأة للبريطانيين ، واختلفت الآراء في تعليل الأسباب التي أدت الى وقتهم هذه ، اذ لم يكن من اليسير استنتاج مبرراتها : هل كانت لسبب النقص في المياه ، أو الحملة الميكانيكية ؟ أو لأن جناحه الأيسر معرض لمدافع البحرية ؟ أو خشية انقضاء الفرقة المدرعة على جناحه الأيمن ؟ .

ان المارشال جرازيانى نفسه يقول انه كان ينتظر اتمام أنابيب المياه التى تمتد من البردية * ولكن لعل المعلومات التى لديه عن قوات البريطانيين لم تكن دقيقة ، بالنسبة لما اتخذوه ويقل من وسائل الخداع التى أتقنها لتعمية العدو عن وسائله ، وقواته : من وضع طائرات خشبية فى المطارات ، واحداث آثار كثيرة على الرمال .. الى غير ذلك من الوسائل التى لم يزل بعضها سرا الى الآن ... لقد خدع حتى قواده الأقربين فى فلسطين فى مبدأ الأمر ، فلم يدركوا نواياه الحقيقية ، فهو يؤمن بأن القائد الذى يكون قادرا على التحكم فى أعصابه حتى ليخدع صاحبه ، فانه لا ريب سيخدع العدو ، وعملاءه السريين .

تموين الشرق الأوسط

وكان الموقف الادارى فى الشرق الأوسط دقيقا ، خطيرا ، للنقص فى السفن ، وققل طريق البحر الأبيض المتوسط ، واعتماد القوات فى الشرق الأوسط كله على أمريكا وانجلترا فى اعاشتها ، وسائر مطالبها ، من عتاد ، وامداد ، وتموين ، وان كانت الهند تساهم فى انتاج الخشب ، والملابس ، وبعض ألواح الصلب . وكان كل هذا مايمكن استيراده من الشرق * ولهذا فقد وضعت سياسة عامة تتلخص فى :

١ - العمل على زيادة الانتاج المحلى فى الشرق الأوسط الى أقصى حد .

٢ - تبادل أهم الشرق الأوسط الفائض من منتجاتها قبل طلب أى شئ من الخارج .

٣ — تفحص الطلبات الخارجية مركزيا ، وتنسق ، وتخفض ،
إذا أمكن ، وترتب بالأولوية •

وبناء على اقتراح ويثل ، ألفت وزارة الخارجية لجنة
برئاسة ضابط من الجيش ومنسوب من كل دولة في الشرق
الأوسط ، فأمكن بذلك تخفيض الأعباء عن السفن ، وزيادة
المطالب العسكرية في الرجال والعتاد •

هذا يوضح لنا كيف نشأ « مركز تموين الشرق الأوسط »
الذي تولى رئاسته وزير بريطاني للإشراف على نشاطه بعد ذلك •

بدء الهجوم

وفي نهاية أغسطس ١٩٤٠ طلب ويثل من الجنرال « بلات »
أن يعد تقريرا للموقف عن الوسائل ، والسبل المؤدية الى غزو
(ارتيريا) • وفي بداية سبتمبر أخذ يفكر في اعداد خطة يقضى
بها على جرازياني •

ولا تزال هناك بعض النظريات القائمة حتى اليوم ، خاصة بمن
كان له الفضل ، بداءة ذى بدء ، في ابتكار الهجوم في الصحراء
الغربية ، أو بعارة أخرى في معركة « سيدى برانى » • ولكن
لاشك في أن الفضل في هذا يرجع الى « ويثل » • أن كثيرين
من قواده الرؤسين ، أمثال : الجنرال « ولسن » ، و « أوكونر » ،
و « برسفورد — بيرس » ، و « كراى » على الخصوص ، كان
لهم دور هام في تحسين الخطة ، وتنقيحها ، ولكن الفكرة الأصلية
قد ابتكرها وأوحى بها « ويثل » •• اذ بمجرد علمه بالقوان

التي سوف توضع تحت تصرفه ، ابان زيارته للندن ، طلب ، قبل قيام جرازيانى بهجومه ، من هيئة أركان حربه ، اعداد خطة لغزو ليبيا فى نهاية سنة ١٩٤٠ •

ولكن عندما وجد أن جرازيانى ظل ساكنا ، بدأ ويقل يستعد لهجوم • وأخذ يدرس ، كما هى عادته ، مواقع عدوه على الخريطة الكبرى المواجهة لمكتبه ، فوجد أن قوات جرازيانى موزعة على مسافات شاسعة ، فى سلسلة معسكرات حصينة ، تجعل تبادل المعاونة بينها عسيرا ، فكانت خطته فى بداية الأمر هى تسديد الضربات الى كل من طرفى خط الجبهة الايطالية التى تشغل مسافة قدرها ثلاثين ميلا من الصحراء ، فتهجم الفرقة السابعة على معسكرات العدو فى « صفافى » الى الجنوب الغربى ، والفرقة الرابعة الهندية تهجم على معسكراته شرق « سيدى برانى » • فاذا نجح الهجوم تقدمت الفرقة المدرعة لاستغلال النجاح شمالا ، والفرقة المشاة الى الساحل غربا • وبعد ذلك بأسبوع أمر الجنرالان « ولسن » و « أوكونر » بأن يفكرا فى امكان القيام بهجوم على معسكرات العدو الأمامية •

أما موعد الهجوم الذى يجب أن يتم فى ضوء القمر ، فقد تقرر تحديد مواعده فى الأسبوع الأول من ديسمبر ، بدلا من نهاية أكتوبر ، وذلك كما رأى قائدى الفرقة المدرعة ، والفرقة الرابعة الهندية حيث أن بعض الوحدات لم تكن قد استكملت التدريب والتسلح ، ولحاجة السيارات الى الاصلاح •

وقد وضع الجنرال « أوكونر » خطة شبيهة بخطة « ويثل » مع تعديل طفيف ، اذ كان يفضل الهجوم على معسكرات الوسط ، لأن معسكرات « صفافى » قوية تستعصى على الهجوم الأمامى ، مع تثبيت المعسكرات التى على الجانبين بقوات صغيرة • فوافق « ويثل » على الخطة وترك التفاصيل التكتيكية ليقوم بها الجنرالان « ولسن » و « أوكونر » بمعاونة الجنرال « كراى » ، و « برسفورد بيرس » قائدى الفرقة السابعة المدرعة ، والرابعة الهندية ، اللذين سوف ينهضا بالأدوار الرئيسية لهذا الهجوم وكان يطير من وقت لآخر لمناقشتهم والاشراف على العمل •

هذه قصة الخطة التى أطلق عليها بعد ذلك « عملية البوصلة » وبالنسبة لتفوق العدو عليه فى العدد ، صمم « ويثل » على مفاجأة العدو ، لذلك كان عليه أن يلتزم الكتمان مع خداع العدو وتضليله ، فلم يكن يعرف الخطة من بين رؤسياه أكثر من ستة أفراد • حتى أن مدير الخدمات الطبية لم يكن يعلم من المعركة شيئاً قبل وقوعها بيوم واحد •

السودان فى اكتوبر ١٩٤٠

وفى ٢٦ اكتوبر رقى « ويثل » الى رتبة جنرال ، فكانت لفتة مشجعة • وبعدها بأيام قليلة سافر الى الخرطوم مع « ايدن » وزير الحربية لمقابلة الجنرال « بلات » وامبراطور الحبشة الذى كان قد وصل قبلهما ، وكانت قد وصلت أيضاً الفرقة الخامسة الهندية ، ولكن الجنرال « بلات » كان يرى أن القيام بهجوم

هناك على نطاق واسع ليس يمكننا لنقص الامدادات ، ولقوات العدو الكبيرة في « ارتيريا » .

ونظر ويثل أيضا في أمر استغلال كراهية الألباش للايطاليين . الذي أوفد من أجلها الكولونيل « ساندفورد » . وقد نجح في تنظيم عصابات العصاة في شمال الحبشة . وكان على استعداد لبدء في عملياته لولا أن « بلات » عارض وطلب أن تسير عملياته مع الجيش البريطاني خطوة بخطوة . فوافق « ويثل » على ذلك . وفي أثناء اجتماعه بالامبراطور الذي استحثه في سرعة تسليح العصاة ، فكر في أن يستغل مواهب الكولونيل « ونجت » الذي درب متطوعي اليهود في فلسطين ، فحضر وعهد اليه بجمع الألباش اللاجئين ، وتنظيمهم ، وتدريبهم ، وليوزع على الوطنيين السلاح ، والمهمات ، والمال . وليكون على اتصال بمنظمات « ساندفورد » وليمندها بالتموين . وكان يساعده ثلاثون ضابطا وخمسون ضابط صف بريطاني في مهمته ، وكان يفيض المال كالماء من بين يديه ، وقد قيل ان المال المخصص لونجت بمفرده قد بلغ مليون جنيه ، ولكن نشاط الوطنيين في الحبشة جعل الايطاليين يستبقون قوات كبيرة فيها بدلا من تعزيز جيشهم بأرتيريا في اللحظة الحاسمة .

غزوة اليونان

وفي ٢٨ أكتوبر ، أعلن موسوليني الحرب على اليونان ، فزاد موقف « ويثل » تعقيدا ، اذ كان لا يستطيع تقديم معونة من موارده التي لا تكاد تكفيه . أما مارشال الجو « لونجمور »

فقد بعث بسرب مقاتلات ، دلالة على رغبة بريطانيا في مساعدة اليونان ... ووافقت الحكومة البريطانية على هذا الاجراء ، وطلبت ، بجانب ذلك ، ايفاد ثلاثة أسراب أخرى ، ومدفعية مضادة للطائرات ، ومشاة لحماية المطارات .

وبعد أسابيع قليلة كان في اليونان ، من قوات « ويشل » الضئيلة نحو ثلاثة آلاف مقاتل . فآثر ذلك في قوة السلاح انجوى بالصحراء ، بالإضافة الى العبء الجديد الذى ألقى على عاتق السلاح البحرى في نقل هذه القوات . ولقد أبلغ « ويشل » وزير الحرية البريطانية ، أثناء وجوده بالقاهرة ، حاجته الى امداد وبخاصة في الطائرات ، لكى يبدأ في تنفيذ « العملية بوصلة » فوعده خيرا .

شرق افريقيا

وعين الجنرال كاننجهام « شقيق قائد الأسطول فى البحر الأبيض المتوسط » قائدا لشرق افريقيا ، وزوده رئيس أركان حرب الامبراطورية ، قبل سفره الى مقر منصبه ، برأيه فى أمر الاستيلاء على ميناء « كيسمايو » فى نهاية جنوب الصومال الايطالى ، لأن الأعداء يستوردون منها الاطارات ، والبترول . ولدى مرور كاننجهام بالقاهرة وجد أن ويشل يوافق على هذا الرأى رغبة فى تقصير خط المواصلات المحلى وتخفيف الضغط فى تقلبات « كينيا » .

وبمجرد أن وصل الجنرال الى « نيروبي » أخذ فى دراسة الموقف بقصد الاستيلاء على « كيسمايو » ولكنه وجد أن

ما يواجهه من العدو فيها لا يقل عن فرقتين ، بخلاف غير النظاميين ، بجانب دفاعاتها القوية ومناعتها الطبيعية . ورأى أن القوات التى لديه ينقصها الكثير من الأسلحة والمركبات ، والمهمات . وليس لديه من الأولوية الستة التى قدر الخبراء أنها أقل ما يكفى للقيام بهذه العملية سوى أربعة . . تنقص الكثير من المدفعية والأسلحة المعاونة ، بجانب أن العمليات الحربية فى افريقيا يتحكم فيها العامل الادارى أكثر من العامل التكتيكى ، وفى هذه الحالة بالذات توجد ثلاث مسائل ادارية : **الطرق ، والحملة ، والمياه** . لهذا أرسل الجنرال « كاننجهام » يقول انه يأسف لأن ليس لديه القوة المناسبة ، ولا الموارد الادارية الضرورية ، التى تكفل له القيام بالهجوم . . . فوافق ويثقل على قراره وأوصاه بأن يضيق المسافة التى بينه وبين العدو فى الشقة الحرام ، وأن يعمل على رفع الروح المعنوية بعمل داوريات ، واغارات هجومية ، وانشاء طرق الى چوبا ، مع تحسين موارد المياه .

فى الصحراء الغربية

وفى نوفمبر ١٩٤٠ أقلع الألمان عن غزو بريطانيا ، واتجهوا الى شرق أوروبا : اليونان ، ورومانيا ، وبلغاريا . فخرج بذلك الموقف فى البحر الأبيض المتوسط . ولكن الأميرال « كاننجهام » قام بالهجوم على الأسطول الايطالى فى « تورنتو » ففضى على نصفه واختبأ النصف الآخر فى « نابلى » . واعتقد ويثقل أن هذه الأنباء قد تثبط عزم عدوه « جرازيانى » ، فلا يستأنف الهجوم .

وضاعف ويثقل داوريات الاستكشاف أرضيا ، وجويا ، فعلم أن العدو قد أجرى تحصين ثلاث مجموعات من المعسكرات في جهة سيدى برانى تسير بانحراف • مبتدئة من «المقتلا» في الشمال الشرقي قريبا من الساحل ، الى «نبيعه» في الوسط ، ثم الى «صفافى» في الجنوب الغربى ، وقد حصنت المعسكرات بحقول الألغام ، والأسلاك الشائكة ، والحفر المضادة للدبابات • واكتشف الجنرال «أوكونر» بعد دراسة الأرض ومن تقارير المخابرات ما سمي فيما بعد بـ « ثغرة عنبه » وادرك أهميتها التكتيكية العظيمة واستغلها في حططه الى أقصى حد • فأمر أن تمر منها وحدات الفرقة الرابعة الهندية ، تستولى على المعسكرات الشمالية من الخلف متجنبة بذلك خطر الهجوم عليها مواجهة خلال حقول الألغام • وكلفت الفرقة المدرعة بأن لاتسمح للعدو بانشاء نقطة في « ثغرة عنبه » وابقائها مفتوحة • فلما حاول العدو اجراء ذلك في منتصف نوفمبر ، أجبر على الانسحاب تاركا للبريطانيين السيطرة عليها •

وفي نهاية نوفمبر أجرى تمرين تكتيكي على معسكرات هيكليّة، صنعت قريبا من مرسى مطروح ، مطابقة تماما لمعسكرات «نبيعه» و « وطمار » ، واشتركت في الهجوم عليها الفرقة الهندية الرابعة ودبابات المشاة ، ولم يعرف أحد من الجنود سر هذا التمرين الا عدد قليل جدا • وأصدر الجنرال ولسن عقب التمرين مذكرة عن «الهجوم على المعسكرات» فيها بعض الملاحظات ، ثم ختم المذكرة بقوله أنه سيجرى هذا التمرين مرة أخرى في تاريخ يحدد فيما بعد • وساعدت داوريات المشاة التى قامت بها الفرقة المدرعة على

رسم خريطة دقيقة للمنطقة التي تقرر الهجوم عليها • ولحسن طالع البريطانيين أن الاهتمام ببث حقول الألغام ، وحفر الدبابات كان في مواجهة المعسكرات فقط أما حولها من الأجناب والخلف فكان خاليا • ولقد استكشف الموقع قواد الأولوية المنوط بهم الخطوات الأولى في المعركة قبل العملية بأسبوع ، دون أن يعرفوا سر الخطة الا في الساعة الأخيرة •

خطوة جريئة

وحين اطمأن ويثقل على خطط معركة سيدى برانى • راح يفكر في المستقبل ، فبدأ في املاء تعليمات للجنرال ولسن لكى يبذل أقصى جهده في استغلال الفوز في المعركة المقبلة • انه يقصد مطاردة العدو مطاردة لا هوادة فيها • ولكنه حين رجع الى أركان حربه في الادارة الجنرال « هتشيسن » ، والى أركان حربه في العمليات الحربية الجنرال « ارثر سميث » أكدا له بأن المطاردة لا يمكن اجرائها الا لمدة أربعة أو خمسة أيام على الرغم من تحسين موارد المياه والبترول والمركبات والذخيرة في المنطقة الأمامية • ولكن هناك أمل في الانتفاع بما يستولى عليه من العدو ، فأصدر أمره باستغلال الغنائم الى أقصى حد •

ثم بدأ يفكر في سحب الفرقة الهندية الرابعة التى هى رأس الحربة في معركة سيدى برانى ، وارسالها الى كسلا عقب احراز النصر مباشرة على أن تحل محلها الفرقة الاسترالية السادسة •

ولاشك أنها خطوة استراتيجية جريئة ، اذ كان عليه أن يسحبها بعد ٤٨ ساعة من الهجوم حتى تصل في الوقت الذى

حدده في أوائل العام الجديد • وعلل ارساله هذه الفرقة بالذات ،
رغبته في أن تكون الوحدات في السودان متجانسة اذ بانضمامها الى
الفرقة الخامسة الهندية هناك يكونان فيلقا هنديا • فضلا عن أن
الفرقة الاسترالية تحتاج الى مطالب أكثر في النقيات والاقامة
والاعاشة أو (السوقيات Logistics : أى أصول اطعام وايواء
الجنود في الميدان) من الفرقة الهندية •

ديسمبر ١٩٤٠

وكان ويشل يعقد مؤتمرات كثيرة لا يحضرها سوى كبار القواد
من البحرية ، والطيران ، والجنرالات : ولسن ، وبلات ، وكاننجهام ،
وبلايمى ، ومع كل من هؤلاء ضابط من كبار ضباط أركان حربه
لكى يضمن بهذا : الكتمان ، مع استمرار العمل ، في حالة اصابة
القائد ، ولم يبح لهم في مؤتمر أول ديسمبر بأى شىء يدل على
الهجوم الذى قرره في الصحراء في ١٠ ديسمبر وانما تحدث
اليهم في عملياته المقبلة ، لهزيمة الايطاليين واخراجهم من ارتيريا
والحبشة ، والصومال في خريف ١٩٤١ •

وقرر بالاتفاق مع بلات بأن يبدأ هجومه في اجلاء الايطاليين
عن كسلا في ٩ فبراير ١٩٤١ حيث تكون قد وصلت الفرقة التى وعده
بها عقب نجاح معركة سيدى بران ، ثم أخبر الجنرالات : بلات ،
وكاننجهام ، فقط ، على انفراد ، بهجومه القادم في الصحراء
الغربية •

وفي يوم ٤ ديسمبر ، عقد مؤتمرا ضم : المارشال لونجمور ،
الأميرال كاننجهام ، والجنرال « أوكونر » لبحث خطة سيدى برانى

وتولى الأخير الأدلاء بتفصيلاتها، ثم شرح مندوبو البحرية والطيران الدور الخاص بهما في هذه المعركة • فكان على البحرية أن تبدأ ضرب سيدى برانى في الليل قبل الهجوم •

ونظراً لتفوق العدو في الطائرات المقاتلة بنسبة ٤ : ١ فقد تقرر المبادرة بضرب طائرات العدو وهى جاثمة في المطارات ، حتى يجبر العدو على اتخاذ خطة الدفاع • ثم ازعاج حركة العدو : جنوده ، وسياراته ، خلف خط الجبهة •

وخلال هذه المؤتمرات ، أذاع ويشل خطته لمعاركه الثلاث في أفريقيا ، مع تفوق العدو العددي عليه بنسب متفاوتة كانت : ٤ : ١ في الصحراء الغربية ، و ٧ : ١ في السودان ، و ١٠ : ١ في شرق افريقيا • ولرغبته في سحب الفرقة الهندية من الميدان وترحيلها الى السودان ، فقد أكد للجنرال « ولسن » ضرورة القيام بعمليات الصحراء بكل جرأة قائلاً في نهاية تعليماته : « ولو أنى لا أعلل النفس بالآمال المسرفة عن العمليات المقبلة ، الا أنى أرجو ، أن تكون على يقين ، من أن جنودك على استعداد : ذهني ، ومعنوي ، وإداري ، حتى اذا لاحت لهم فرصة مؤاتية انتهزوها الى أقصى غاية » •

ولاشك أنه يرمى الى المطاردة وملاحقة العدو بكل شدة كما استفاد من دروس « النبي » عام ١٩١٨ في فلسطين • ولم يغفل العامل الإداري الهام الذي يتجلى في معارك الصحراء •

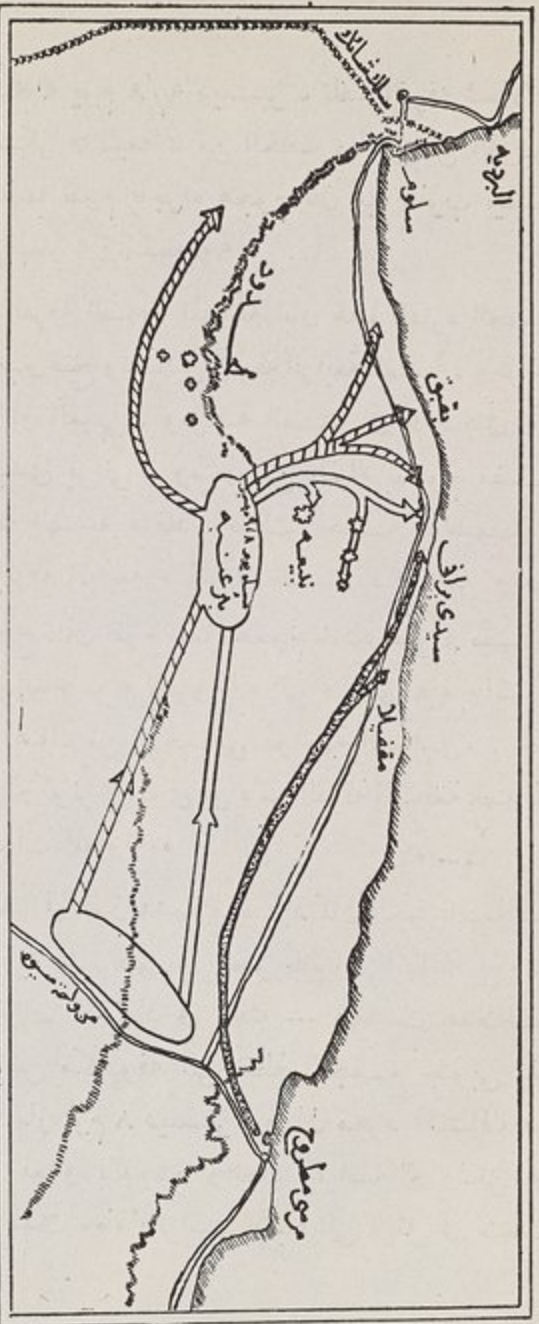
معركة سيدى برانى

ان قوة العدو كانت تتألف من أربعة فيالق : الفيلق الليبى ومهمته الدفاع عن المعسكرات الشمالية ، ورياسته فى سيدى برانى • الفيلق الحادى والعشرين ، وجنوده نظاميون ، وضع فيلق منه فى معسكرات « صفافى » ، والآخـر بصفة امداد للفيلق الليبى ، ومقر رئاسته فى بقبق ، والفيلق الثانى والعشرون « قمصان سود » وموقعه بالحلفاية على الحدود ، أما الفيلق الثالث والعشرون فقد كان فى طريقه ، بعد أن أتم تغييره فى الجبهة الى الاحتياط • أما قائد الجيش العاشر « المارشال جرازىانى » فكان مقر رئاسته فى « برديا » ٥٠ ميلا الى الـوراء •

أما فى المعسكرات التى هى أهداف الهجوم فكان يوجد فى « مقتيلا » ٥٠٠٠ ليبى و ١٥٠٠ ايطالى ، و « نبيعه » — أهم موقع — كان بها ٢٥٠٠ ليبى ، بقيادة الجنرال « ماليت » من أبرع القواد الايطاليين ، وفى معسكرى « طمار » والنقطة ٩٠ ، كان يوجد ٦٠٠٠ ليبى ، و ١٠٠٠ ايطالى ، وفى « صفافى » يوجد ٧٠٠٠ من القوات المختلطة ، ومائة دبابة متوسطة وخفيفة ، وكانت روحهم المعنوية جيدة •

أما الخطة البريطانية فهى بسيطة ولكنها جريئة الى حد المجازفة • اذ تتطلب ضبط المناورة ، فى صحراء مكشوفة مع توخى الدقة التامة فى تنفيذ المواعيد المرسومة لسير الاقتراب ، وللفتح والتشكيل الفعلى للمعركة • وتقوم الخطة أساسيا على الهجوم بلواءين من الفرقة الرابعة الهندية ، تعاونها كتيبة دبابات • وبعد

معركة سيدى راف



تجمعت « قوات وقل في الصحراء الغربية » بقيادة « أوكر » بنو بى غرب « مرسى مطروح » في جنح الظلام ، وطى العاصفة الرملية . . ثم زحفت في وضع النهار ، مدى خمسين ميلا ، كي تحتشد عند « بئر عتبة » أى بين فكي العدو تماما . وتقدمت قوة صغيرة من « مرسى مطروح » رمزها [] لتناوش العليان عند « مقتيلا » ، ولتطاردهم حال انسحابهم ، بينما قام « برسفورد - بيرس » بالدبابات الثقيلة ، المدافع ، ومشاة الهنود (رمزها []) وشرق طريقه شمالا ليستولى على معسكرات العدو من الخلف . واندفع « كراى » جدرعائه ، ودباباته السريعة الحركة ، (رمزها []) شمالا غربا الى الساحل لقطع مواصلات العدو ، وهب سسم منها لطاردته تجاه معسكر « صفاني » .

اجتياز « ثغرة عنبه » يوم ٨/٩ ديسمبر ، تلف الفرقة شمالا ثم شرقا لاقتحام معسكر « نبيعه » من الخلف ، أعنى من الغرب ، وبعد الاستيلاء عليها تقوم بأجراء هجوم ثان من الغرب أيضا على معسكرى « طمار » والنقطة ٩٠ •

وكان واجب الفرقة السابعة المدرعة ابان هذه الفترة الحاسمة من الهجوم ، هو ستر فتح وتشكيل الفرقة الرابعة الهندية ، وحراسة جناحها الخارجى أو الغربى ، ومراقبة العدو فى « صفافى » ، وتثبيت حامية سيدى برانى ، ومنعها من القيام بهجوم مضاد على الفرقة الرابعة الهندية • فاذا أخفقت الخطة ، عليها أن تستر انسحاب الفرقة الرابعة • أما فى الشمال فكان من واجب قوات مرسى مطروح ، أن تقوم بعمل هجوم خادع على « مقتيلا » فى موازاة الطريق العام من « مطروح » الى « بقبق » • وابتدأت المعركة ولم يكن هناك من الاحتياطى لمواجهة الطوارىء ، تحت تصرف الجنرال « أوكونر » سوى لواء من الفرقة السابعة الهندية ، وسربين من الطائرات المعاونة •

ولقد كان القدر فى عون هذه القوة ؛ اذ كان الجو عاصفا مليئا بالغبار حجب الرؤية فلم تظهر فى الجو طائرات ايطالية — ولعل الهجوم على المطارات قد أفاد فى ذلك — فتقدمت هذه القوة ستين ميلا فى أرض مكشوفة الى نقطة التجمع جنوبى ثغرة عنبه ، فى ضوء النهار يوم ٨ ديسمبر ، وكان مجرد اكتشاف هذه التحركات نذيرا للعدو بالهجوم واتجاه أغراضه • ولكن هى يد القدر التى ساعدت ... وترامت الأنباء الى ويشل فى منتصف



الجنرالان : ويقل ، وأوكونر ، في يناير ١٩٤١

الليل بأن قواته قد باتت في خط الهجوم ، دون أن يدرى العدو عنها شيئاً •

أما الجنود فلم يدركوا حقيقة مهمتهم الا في ليلة ٨ ديسمبر وكانوا يظنون أنها تمرين تكتيكي آخر • فقرأ عليهم أمر « ويثل » اليومى يستحثهم على هزيمة الايطاليين هزيمة فادحة • وكذلك رسالة تشجيع من رئيس الحكومة •

وظل « ويثل » يترب أنباء المعركة التى وصلتته بشائرها فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهو يلعب الجولف فى نادى الجزيرة عن سقوط معسكر « نبيعه » ، ولكن لم يطمئن باله الا بعد أن أبلغ أن الفرقة السابعة المدرعة قد بلغت « بقبق » على مدى ٢٥ ميلا ، مما ابتدأت • أما عملية المطاردة فقد عاقها قليلا تقلب الجو فى صالح العدو فى ليلة ١٠ ديسمبر ، وان أخذت الأسرى والغنائم من مهمات ومركبات ، وبترول ، ومياه تكثر فى أيدي البريطانيين ساعة بعد ساعة ، وكان جرازيانى يتقهقر بجيشه العاشر تلاحقه الفرقة السابعة المدرعة فى أعقابها ، وفى نهاية الأسبوع كان قد وصل الى ليبيا منهوك القوى بعد أن خلف وراءه من الأسرى ٣٨ ألفا بينهم قائد فيلق ، و ٤ قواد فرق ، و ٢٤٠ مدفعا ، و ٧٠ دبابة بجانب المركبات ، والبترول ، والمواد الأخرى • ولم يفلت من قبضة الفرقة المدرعة سوى فرقة واحدة •

ولاشك أن معركة سيدى برانى هى أول فوز للبريطانيين فى الحرب العالمية الأولى ، وكانت نتيجة عمليات هجومية جريئة بل من أجراً ما سجل التاريخ • ولاشك فى أن فضل الجنرال

« أوكونر » واضح في اقتراح الهجوم على وسط الخطوط الإيطالية الممتدة ، بدلا من توجيه الهجوم على طرفي المعسكرات كما أشار « ويثل » ، وكذلك اكتشاف « الثغرة » وفي التدليل على أنها نقطة ذات أهمية تكتيكية حيوية . وفي التجهيز لاجتيازها بقواته ، بل وفي قيادة هذا الهجوم الناجح تحت امرة الجنرال « ولسن » . وكان فضل ويثل في ابتكار الخطة ، وفي توجيه الفكرى خلال ذلك ، حتى جعل المفاجأة حقيقة ممكنة بالكتمان ، والاصرار على أن يتم سير الاقتراب للمعركة بسرعة ، وفي يوم واحد . ولاشك في أنه جازف في هذا الأمر ، ولكن « يد القدر » قد هيأت له أفضل جو يستر سير الاقتراب ، في الوقت الذي يكتنفه الخطر أثناء ساعات النهار ، فتمت المفاجأة التي كان يتوقف عليها الفوز .

في أمسية المعركة أرسل ويثل برقية شفرية لرئيس الحكومة ينيئه عنها بقوله : « انها اغارة على نطاق واسع » ، فلما ترامت اليه الأنباء عن نجاحها الرائع هنأه وأوصاه بالمطاردة الى أقصاها . ولكن « ويثل » ، كانت حاجته الماسة الملحة هي الطائرات المقاتلة البعيدة المدى ، فلما بعث تشرشل اليه ، ابان هذه الأيام المشيرة عقب فوزه ، ومطاردته للعدو من سيدى برانى الى بنغازى ببرقيته الشهيرة التي اقتبسها من الكتاب المقدس بقول فيها : « انجيل متى ، الاصحاح السابع ، الآية السابعة » . يقصد ما ورد بها وهو : « اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم » وكان قد علم ويثل وقتئذ أن الطائرات التي طلبها أرسلت ، فرد عليه بقوله : « رسالة يعقوب ، الاصحاح الأول ، الجزء الأول

من الآية ١٧ » ونصها : « كل عطية صالحة ، وكل موهبة تامة ،
هى من فوق » • ثم أضاف الى برقيته قوله : « حاجتنا الماسة
هى الطائرات ولقد أمددتنا بها » •

يناير ١٩٤١

وفى بداية العام الجديد تغير اسم « قوة الصحراء الغربية »
فأصبح : « الفيلق الثامن » • ولقد أحس ويثقل بالخرج فى هذه
اللحظة من ناحية شئونه الادارية ، بالنسبة لوجود الفرقة المدرعة
تطارد العدو فى برقة ، بل ووجود الفرقة الرابعة الهندية ، والفرقة
السادسة الاسترالية التى ستغيرها ، فى المنطقة الأمامية ، قد ضاعف
مشكلة التموين ، بجانب الأسرى الذين لولا معونة البحرية الملكية
فى اخلائهم لمات معظمهم من العطش • هذا الى أن انجلترا وقد
انتشت بخمر الفوز ، بعد حرمان طويل ، كانت تلح فى تعليماتها
لويثقل كى يستمر فى مطاردة العدو فى برقة ، دون أن يصرفه عنها
هدف آخر • ولكنه أجاب بأن « العامل الادارى » لا يسمح
له باعاشة فرق أكثر من الفرقة المدرعة ، وفرقة المشاة : اما الهندية
واما الاسترالية • ولهذا تمسك بخطته الأصلية فى « السودان »
وشرع فى اصدار الأمر للفرقة الرابعة لكى ترجع وتسافر الى
السودان بمجرد الاستيلاء على طبرق ، كما أشار عليه قواد
الأسلحة الثلاثة •

برديا

وفى هذه الأثناء كان لواء الفرقة الاسترالية قد وصلا
« برديا » فاستحث لواءى المؤخرة للاسراع فى التقدم ، ولما علم

أن هذه المدينة قوية التحصين يدافع عنها ٢٠٠ ألف رجل ، بجانب الصعوبة الادارية التى بدأ يعانيها الفيلق الثامن ، فان وسائل النقل التى لديه لم تكن تكفى لنقل أكثر من لواء واحد الى الأمام ، هذا الى تفوق الايطاليين فى الجو . لم يشأ ويقل أن يخاطر بالهجوم عليها قبل تمام الاستعداد ، ولذا قد أمرت الفرقة السابعة المدرعة لكى تتفادى « برديا » ، وتتجه الى « طبرق » ، لقطع الطريق بين الاثنين . وأمرت البحرية ، والطيران ، بذلك دفاعات « برديا » .

وفى ٣ يناير قامت الفرقة الاسترالية بالهجوم لأول مرة لها فى هذه الحرب ، ولكن الهجوم أوقف فى المرحلة الثانية ، بعد نجاحه فى الأولى ، وتكدت الفرقة خسائر جسيمة ، بسبب تأخر دبابات المشاة التى تعزز الاقتحام ، وأعيدت الكرة ثانية فى اليوم التالى وسقطت « برديا » بما فيها من موارد المياه ، والبترول ، والأسرى . وكانت دفاعاتها غير عميقة اذ بمجرد اختراقها ، لم يكن شئ وراءها الا القليل .

وكان « ويقل » قد أعد الخطة للاستيلاء على طبرق حتى قبل سقوط « برديا » ، ورغم أن خط المواصلات قد امتد فأصبح ١٥٠ ميلا من « مطروح » ، ومن ثم الى القاعدة الأساسية فى الاسكندرية . ولكن أمرت البحرية الملكية بالمساعدة فى تخفيف الضغط عن الحملة الميكانيكية .

وكانت مشكلة « البترول » أعقد من وسائل النقل بل أشد خطورة . فان البترول كان يوضع فى صفائح رقيقة ، رخيصة ، سعة أربعة جالونات . وكانت هذه الصفائح تفقد نصف ما بها بعد

نقلها من القاعدة الى الخط الأمامي ، مع ضياع الجهد في الشحن ، والنقل ... اذ كان معدل الضياع في النقل ١٪ في كل عشرة أميال مما فيها ، نتيجة الرشح من الاهتزاز في الطرق الصحراوية . ولكن اقتباس « العلبة الألمانية » (Jerrican) كان حلا موفقا لهذه المشكلة التي كادت تشل المطاردة .

في السودان

أما في السودان فقد وردت أنباء طيبة ، اذ أن القائد الايطالي الجنرال « فيروتشي » قرر الانسحاب من « كسلا » ، فاحتلها أنجنرال « بلات » . وقد يكون باعث انسحابه الأنباء التي ترامت اليه عن كارثة شمال افريقيا وألبانيا ، أو تحركات جنود الفرقة الرابعة الهندية في طريق النيل والبحر الأحمر الى السودان . وكان المفروض أن تبدأ العمليات ضدهم في ٩ فبراير ، ولكن هذا الانسحاب المبكر ، اضطر الجنرال « بلات » أن يدفع بالفرقة الرابعة في العملية قبل أن تستكمل وسائلها الادارية مما سبب لها متاعب كثيرة ، جاعلا هدفه من « كسلا » شرقا الى « أسمره » . وكان قد عبر الحدود الحبشية «امبراطور الحبشة» في ١٥ يناير . الى أديس أبابا يحرسه البريجاديير « ونجت » ، وكتيبه من قوة السودان وكثير من الوطنيين الأحباش .

في اليونان

وفي يناير بدأ « هتلر » في تعزيز سلاح الطيران الايطالي في البحر الأبيض المتوسط بعدد كثير من سلاح الطيران الألماني ثم دأبت

الاشاعات بأن قوات ألمانية عبرت الحدود الايطالية بجانب نشاط جنوده في رومانيا ، وبلغاريا • وتلقى « ويشل » في منتصف يناير أمراً ليقوم الى « أثينا » لعرض المساعدة البريطانية على الحكومة اليونانية ، فاذا قبلتها أرسل اليها قوات مدرعة ، ومدفعية متنوعة للدفاع عن « سلانيك » و « مقدونيا » ضد الاعتداء الألماني • فسافر على قلق ، لأن هذه القوات بالذات كان هو في أمس الحاجة اليها • فان الفرقة السابعة المدرعة قد انخفضت الى النصف في قوتها عقب هذه المعارك • وليس لديه سوى حفنة من دبابات المشاة • أما الفرقة السادسة الاسترالية فكانت تتجمع للهجوم على « طبرق » في هذا الوقت • بجانب مشروعاته الهجومية الأخرى ، التي شرع في القيام بها في السودان ، وشرق افريقيا ، ضد عدو متفوق عليه للغاية ، ولم يكن لديه من القوات غير فرقة واحدة مسلحة ومدربة وهي النيوزيلندية ، ولديه الفرقتان الاستراليتان السابعة والتاسعة ، وفرقة الفرسان الأولى وهم غير مجهزين •

ولكن ويشل قد تنفس الصعداء حين رفض الجنرال ماتكساس رئيس وزارة اليونان ، وكانت أسباب الرفض معقولة ومنطقية ؛ اذ أن المساعدة البريطانية في هذه الآونة سوف تستنز الألمان دون أن تكفى لصد اعتدائهم لا سيما وأنهم ما يزالون بعيدين عنهم الى الآن ••

ولو قد قبلت اليونان ، عرض البريطانيين ، لوقفت معارك الصحراء عند « طبرق » •

الموقف العام

واحتلت الفرقة الاسترالية طبرق ، ولقد ساعدها في هذا النجاح دبابات المشاة القليلة العدد ، فقد خسر الايطاليون ٢٥ ألف أسير ، و ٥٠ دبابة ، وخسر البريطانيون ستمائة رجل • وقرر ويقل ، بعد استشارة قائده في الميدان الجنرال « أوكونر » ، أن يكون الهدف الثاني هو « درنه » ، التي تبعد عن طبرق ١٠٠ ميل • ثم طار الى السودان ، وقابل الجنرال « بلات » في مقر رئاسته الأمامية ليشاهد أرض المعركة ، فوجد أن أسمره ، عاصمة ارتيريا تحميها تلال « كيرن » وهي تبدو حائطا عاليا منيعا • ولعله لم يختبر في الليل أهمية هذا الحصن الذي كان على الفرقتين الهنديتين القيام باقتحامه •

برقة

وكان « ويقل » قد قرر قبل سفره الى السودان أن ينفصل فيلق « أوكونر » الثامن ، عن قيادة الجنرال « ولسن » قائد القوات البريطانية في مصر ، ويكون تحت امرة القيادة العامة في الشرق الأوسط • ليتفرغ الجنرال « ولسن » الى الأعمال التي نشأت عقب النصر ، ولتنظيم خطوط المواصلات ، ويشرف على تحركات الجنود ، والامدادات بصفة خاصة • ووضعت تحت أمر « أوكونر » ، قوة تكتيكية صغيرة من سلاح الطيران •

وأصبحت الآن قوات « أوكونر » التي تطارد الايطاليين عند

مفترق طريقين : الأول طريق الساحل الممهد ، بين ساحل البحر وتلال الجبل الأخضر ، والذي يصل الى « بنغازى » .

والثانى يقع على زاوية قائمة من « الميكلى » وهى ملتقى هام للدروب الصحراوية فى الجنوب الغربى . ثم يسير منها مخترقا بقعة جرداء لا ماء فيها ، فى محاذاة سفح الجبل الأخضر الى « اجدابية » حيث تتصل بالطريق الساحلى من بنغازى الى طرابلس . والمسافة التى بين هذين الطريقين أكثر من مائة ميل .

وكان الجيش العاشر الايطالى يتراجع سريعا بغير انتظام فى الطريق الساحلى ، فرؤى أن من الأفضل أن يقطع عليه خط الرجعة جنوب بنغازى ، بدلا من الضغط عليه ، وكيل الضربات له على الطريق الساحلى بكل قوة . فتابعه « أوكونر » بالفرقة الاسترالية ، وأرسل الفرقة السابعة المدرعة الى « الميكلى » ، ثم سمح لها بأسبوع تستجم فيه ، وتصلح سياراتها ، وتتأهب بعد التموين للعمل . واستعرض مرة ثانية خطة العملية فوجد أنه لو وصلت قوة صغيرة الى « اجدابية » قبل الايطاليين المتراجعين ، وقبل أن تصلهم نجدات من « العقيلة » أمكن احراز نتائج باهرة . ولكن البت فى ذلك القرار فى حاجة الى قائد مغامر مجازف بل مقامر ، ولحسن الحظ كان لدى البريطانيين ثلاثة قواد قد اتسموا بصفة « الشجاعة الأدبية » التى هى من مقومات القائد المظفر . فأرسل ولسن برقية انى ويثل لكى يحضر مؤتمرا يقرر فيه الخطة المقبلة . وجاء ويثل ، وبعد اجتماعه بولسن ، وأوكونر ، وبعد أن استمع الى مدير المخابرات الذى أبدى مخاوفه من

الطريق الصحراوي الذي لا يعرف عنه شيئا • ثم استمع لأركان حرب الشؤون الادارية ، الذي أوري بأن العملية غير ممكنة اداريا • قال ويقل معقبا : « حسنا : سوف نقوم بالعملية » •

كانت مجازفة خطيرة ، ولكن الخطة كانت غاية في البساطة • اذ كان على الفرقة المدرعة أن تسير في طريقها الصحراوي ، وتلتقي بطريق الساحل المتجه الى طرابلس ثم تتجه شمالا الى بنغازي ، أما الفرقة السادسة الاسترالية فتسير في طريق الساحل في اثر الايطاليين بكل قوة •

وبعد مضي أربع وعشرين ساعة من اتخاذ هذا القرار كانت الفرقة السابعة المدرعة في طريقها ، ورأى الجنرال « كراي » اذا حالفه التوفيق أن يتخذ قرارا على مسؤوليته ، بأن يسير جنوبا وليس شمالا كي يستطيع أن يزيد من أسرى الايطاليين • واشتبكت الدبابات في معركة يائسة مع العدو عند « بدافوم » وكذلك وقف « لواء البنادق » ففقل الطريق الساحلي الموصل الى طرابلس ، فقضى بذلك على مقاومة الايطاليين ، فاستسلموا •

ان الفضل في هذا النصر الحاسم يرجع الى الفرقة السابعة المدرعة ، وقد كتب ويقل الى قائد الفرقة الجنرال « كراي » كتابا بخط يده يعرب له فيه عن اعجابه بروحهم مدى تسعة شهور مستمرة يقاتلون في الخط الأمامي • وقال : « انه ما زار مرة الفرقة السابعة المدرعة الا وعاد من زيارتها فخورا مغتبطا معجبا بتلك الروح العالية » • ثم أنهى خطابه بقوله : « ان تلك الروح مدينة بالكثير الى تدريبك وشخصيتك وبالمثل لكبار ضباطك •• اني لأشكرك

وأشكر الرتب الأخرى جميعا في الفرقة لكل ما قاموا به وأتمنى لكم النجاح مستقبلا » •

ولقد أضفى على هذه الفرقة شرف عظيم لم ينله من قبل تشكيل آخر ، ألا وهو منحها شرف الدخول الى برلين عام ١٩٤٥ في مقدمة القوات البريطانية •

أما الفرقة السابعة الاسترالية فقد استولت على بنغازى فى ٦ فبراير ، وجمعت من الأسرى ألفى رجل • بينما استسلم للفرقة السابعة المدرعة ، ٢٥ ألفا ، و ١٢٥ مدفعا ، ودمر نحو مائة دبابة • وهكذا دانت « برقة » لويشل ، بعد محو الجيش العاشر ، وأسدل الستار على معركة الصحراء الأولى •

تعقيب موسوليني

لقد كان ما أحرزه الفيلق الثامن البريطانى ابان المعركة أكثر من ١٣ ألف أسير و ١٢ ألف مدفع ، ٤٠٠ دبابة ، ٤٥٠ طائرة ، مقابل خسارة قدرها ٢٠٠٠ رجل من قوته التى لم تعد الثلاثة والثلاثين ألف أو ما يتمثل فى فرقتين ، فاستطاع الفيلق بهذه القوة من التغلب على أربعة فيالق ايطالية ، قوامها تسع فرق • وهو عمل ليس باليسير •

لقد تم هذا الفوز العظيم على الرغم من المصاعب والعقبات التى واجهته ، من نقص فى الرجال ، والمدافع بأنواعها ، والدبابات والعربات ، والأجزاء الاحتياطية ، والاستعواض فى الذخائر ، والمهمات ، حتى ان منظمة مخابراته لم تكن تامة •

ولكن الفضل يرجع الى قرارات ويثقل الحاسمة اللامعة ،
العاجلة ، والى عزمه وحزمه ، وقوة دفعه ، وشجاعته الأدبية ، التى
تقدر وتحسب أولا ثم تجازف وتخاطر المرة بعد المرة • نعم يرجع
الفضل الى شخصيته ، والى موهبة قيادته ، لقد ألف بين وحدات
قوته ، حتى أصبحت وحدة لا يمكن التغلب عليها ••• وان للجنرال
ولسن ، بل والجنرال أوكونر القائد الفعلى ، فى الميدان ، لفضل
عظيم أيضا •

ويكفى أن نسجل هنا تعقيب موسولينى ، على هذا الانتصار ،
مشدوها من وقع الكارثة ، أو صريحا على غير عادته ، لقد
أجمل الموقف قائلا : « لقد محى الفيلق العاشر ، وسرب « رچيا »
الجوى من الوجود » • وكان قوام السرب الايطالى اربعمائة
أو خمسمائة طائرة •

السودان

وكانت العمليات تسير فى السودان وشرق افريقيا سيرا حسنا ،
فلما تلقى من الجنرال « بلات » برقيته التى يخبره فيها بسقوط
« أجوردات » على مسيرة ٩٠ ميلا فى « أسمره » مستوليا على
سبعة آلاف أسير ، رد عليه « ويثقل » مهنتا مختتما برقيته بقوله :
« هيا الآن وخذ كيرن فأسمرة » •

وكذلك فى شرق افريقيا ، ثالث العمليات الهجومية التى رسمها
ويثقل للقضاء على الايطاليين فى افريقيا ، جاءت منها الأنباء بسقوط
« كيسمايو » فى أيدي قوات الجنرال كاننجهام •

يوم مشؤوم

وترامت الأنباء بأن تجمعات ألمانية كبيرة من سلاح الطيران في إيطاليا وصقلية ، بجانب النشاط الدبلوماسي الظاهر في أوروبا . فتوقع « ويثل » تدخل ألمانيا في جنوب أوروبا ، لأنها لا ترضى بهزيمة حليفها إيطاليا ، وردا على تدخل الحلفاء بارسال ثلاثة أسراب جوية الى اليونان ، وكانت الحالة في رومانيا سيئة الى الحد الذي دفع الحلفاء الى فصح العلاقات الدبلوماسية معها وأعلنت حالة الحصار على تلك الدولة .

ولكن الخبراء قدروا بأن ألمانيا لن تقدم على غزو اليونان قبل شهر مارس اذ أن الثلوج تعيق الحركة . وبينما كانت العمليات تسير الى نهايتها الموفقة في شمال أفريقيا ، وقع أمر ليس له أهمية ظاهرة ، لأول وهلة ، ولكنه كان له رد فعل خطير بالنسبة لويثل . ذلك الحادث هو أن الجنرال « ماتكساس » رئيس الحكومة اليونانية مات فجأة ، عقب زيارة ويثل له في يوم ٢٩ يناير . وقد انتهر دعاة الألمان هذه الفرصة ، فأذاعوا في اليونان وفي الصحافة بالخط العريض :

« موت ماتكساس الغامض ، عقب مقابلة « ويثل » ، وأضافوا بأن « حالة الجنرال ساءت عقب مشادة حادة بينه وبين « ويثل » اعتكف على أثرها ثم مات بعد ٤٨ ساعة !! » .

وفي الواقع أن وفاة الجنرال « ماتكساس » ، كانت شؤما على ويثل ، بل وعلى البريطانيين في الشرق الأوسط . فاذا رجعنا الى الوراء لوجدنا أن نجم ويثل ، في الشرق الأوسط قد أفل منذ

ذلك اليوم • لقد كان التوفيق حليفه ، ولكنه تحول عنه بوفاة ماتكساس ، فقد توالى عليه الكوارث اثر الكوارث ، ولم يعد يعرف معنى لراحة البال ، أو اطمئنان النفس ، الى اليوم الذى تخلى فيه عن قيادة الشرق الأوسط نهائيا ، بعد مرور ستة أشهر من هذا التاريخ •

بداية المتاعب

كانت وزارة الحربية قد وجهت الى ويثل تعليمات تقول له فيها أولا : ان عليه أن لا يقوم بهجوم غرب برقة ، ثانيا : أن يدافع عن برقة بحيث يضمن سلامة القاعدة الأساسية « مصر » بالحد الأدنى من القوات ، وثالثا : أن يبعث بأكبر عدد ممكن من القوات الجوية والأرضية لمساعدة اليونان • ولاشك أن هذه التعليمات قد أخرجت قواد الأسلحة الثلاثة فى الشرق الأوسط ، لخطورة توفير هذه القوات وإيجاد السفن لها وحراستها عبر البحر الى اليونان ، ورابعا : أن يعمل على الاستيلاء على جزر الدوديكانيز • ثم أضافت الوزارة بأن : دل ، وايدن ، فى طريقهما اليه لاتخاذ قرار فى أمر القتال فى اليونان •

فأخذ ويثل فى استعراض الموقف فى سائر الميادين حتى يستطيع تنفيذ هذه التعليمات ، ولكنه لم يشأ أن يصيخ — ازاء هذه الظروف الجديدة الخطيرة التى تواجهه — الى ما يساوره من مخاوف ، فيعدل عن عملياته فى السودان وشرق أفريقيا حتى يوفر القوات لمهامه الأربع ، وبخاصة لمساعدة اليونان •

ثم قدر ويثقل بأن أقل ما يكفي لتأمين مصر من القوات هو :
لواء مدرع ، وفرقة مشاة • فلا يستطيع حينئذ أن يسحب شيئا
من القوات الموجودة في برقة • أما الفرقة السابعة المدرعة فلم تكن
موجودة الا اسميا ، فليس بها دبابات ، اذ خرجت من آخر معاركها
بعشرة فقط صالحة للسير من ٣٥٠ كانت لها • أما جنودها فكانوا
مكلفين في مهام لا تمت الى القتال بصلة : اما في حراسة مخازن
الذخيرة ، واما في دوريات على قتال السويس ، أو في الأمن الداخلي .
وكان قد وصلت الى مصر الفرقة الثانية المدرعة ، والفرقة النيوزلندية .
أما الفرقتان السابعة والتاسعة الاستراليتان فكانتا في فلسطين •
أما الفرقة الثانية المدرعة فكانت حالتها غير مرضية ، أرسل منها
لواءان لاستكمال الفرقة السابعة المدرعة أثناء المعارك • وحالة
دبابات الفرقة في حاجة ماسة الى الاصلاح الكامل ، وجنازيرها
غير صالحة •

وعقب استعراض الحالة قرر ويثقل أن أكبر قوة يمكن ارسالها
الى اليونان هي : لواء من الفرقة الثانية المدرعة ، وثلاث فرق
مشاة : السادسة والسابعة الاستراليتان والفرقة النيوزلندية ،
ثم اللواء البولندي ، وقد بلغت هذه القوة نحو ١٠٠ ألف رجل
و ١٥٠ دبابة و ٢٠٠ مدفع • ولقد استخدمت وسائل الترقيع : أعنى
كانت تكمل الوحدات المسافرة على حساب الوحدات الموجودة
في مصر • فمثلا لكي تكفل اللواء المدرع النهوض بعملياته ،
مستقلا عن الفرقة ، جردت الفرقة من معظم مدفيعتها ، ورجال
الاشارة بها حتى أصبحت الفرقة الثانية المدرعة ذاتها ، فرقة

صورية . فاذا أريد اضافة بطارية مدفعية مضادة للدبابات ، جمع رجالها من الجرحى أو الناقهين ، وتسلموا مدافع جديدة بمجرد تفرغها من السفن في السويس ، ولم يكونوا قد تدربوا على اطلاقها بتاتا . فتصدر الأوامر قبل سفرهم بساعتين لكى يمارسوا الضرب بها في الصحراء ، فى طريقهم الى الاسكندرية .

والواقع أن الفرقة السابعة الاسترالية ، واللواء البولندى كانا سيرسلان بعد سفر هذه القوة ، ولكنهما لم يرسلوا اطلاقا .

الخطـة

وصل الجنرال « دل » ومستر « اتونى ايدن » بعد أن تأخرا خمسة أيام عن موعد وصولهما لتأخير الطائرة فى الطريق بسبب نفاذ البنزين . فأخبرهما ويثل بأنه قام بتنفيذ سياسة الحكومة بخصوص اليونان ، وكل شئ فى طريقه اليها .

وبعد أن تباحثا مع ويثل بشأن الموقف ، طار كل من : دل ، وايدن ، وويثل ، ولونجمور ، الى اليونان ، يوم ٢٦ فبراير . وتلقى ولسن برقية تكلفه بمقابلة القائد العام فى مطار «العضم» . ولدهشته نزل من الطائرة ايدن ، ودل ، وضباط عظام من الطيران والبحرية فقال له ويثل : « نحن فى طريقنا الى أثينا ، لبحث ارسال قوات لليونان . فاذا تقرر ذلك فستتولى قيادتها ، ولكن لا تبح بشئ عنها ، قبل أن أخبرك ثانية » ثم طارت الجماعة فى طريقها الى أثينا ، وعاد ولسن الى برقة .

وكان قد احتاط كل من « دل » ، و « ويثل » فأحضرا معهما

معطفا مدنيا وقبعة مراعاة للكتمان ، ولكن وجود حرس الشرف اليوناني في المطار بجانب جم غفير من الضباط أركان الحرب ، جعل الاحتياط لا غناء فيه . وحضر الجميع مؤتمرا في قصر « شاتوى » قرب أثينا ، وكان ملك اليونان حاضرا ، وترك المستر ايدن مجال الكلام لويثل الذي بدأ يبحث مسائل استعداد القوات اليوغسلافية للقتال مع اليونان ، والى أى حد ستعاون بلغاريا الألمان . ثم لم يطل هذا المؤتمر اذ قد صار الاتفاق على الخطة ، بعد استعراض الحالة من جميع الوجوه وهى الدفاع فى خط التلال غرب نهر « فاردار » وفى محاذاة نهر « الياكمون » على مسير ٥٠ ميلا جنوب غربى سالونيك ، وعلى مسافة ٢٠٠ ميل شمال غرب أثينا ، وميناء « بيريه » . واحتلال هذا الخط يقتضى انسحاب الجيش اليونانى من مقدونيا ، وباقى جيش اليونان فى ألبانيا وعدده ٢٠٠ ألف . ولكن هذا الخط ، على مناعته فى صد الهجوم من الشمال الشرقى ، الا أنه من اليسير التغلب عليه من الغرب ، اذا سمح للألمان باجتياز يوغوسلافيا لغزو اليونان عن طريق ثغرة « مناستر » . وتم الاتفاق على هذه الخطة على أن يسحب الجيش المقدونى لاحتلال هذا الخط فورا . وكانت نقطة الضعف فى الخطة هى نقص الطائرات ، ومع هذا فقد صدرت الأوامر للتجريدة البريطانية بالسفر الى اليونان وقدر لها أسبوعين لاحتلال خط « الياكمون » .

وعاد « ويثل » الى القاهرة ، ليعد القوات اللازمة لتنفيذ تعليمات وزارة الحرية للاستيلاء على جزر « الدودكانيز »

فاستقدم « ويثقل » الجنرال « ايفتز » من الهند ليتولى قيادة الفرقة السادسة البريطانية ، الذى أصيب بصدمة حينما علم أن عليه تجهيز هذه الفرقة المدرعة للاستيلاء على « رودس » أهم جزيرة فى « الدودكانيز » ... ولكن عملية « رودس » لم تبدأ ، لأن هذه الفرقة قد اشتبكت فى حرب الصحراء بعد ذلك .

تركيا

وعقد مؤتمر فى أثر مؤتمر ، صباحا ومساء ، وكان قد بلغ بالقيادة الجهد والاعياء ، ولا بأس من ايراد مثل انساني على لسان « لونجمور » يقول : « كان ايدن يملئ برقية يبعث بها الى مستر « تشرشل » فى منزل ويثقل فى منتصف الليل ، فأرسل يوقظ ويثقل ، ودل ، من نومهما ليستشيرهما ، فحضرا « بالبيجامة » وجلسا على مقعد متجاورين يغالبان النوم ، بينما كان الوزير ، وهو أصغر منهما سنا يذرع البهو جيئة وذهابا ، ويملى رسالته ، وعلى حين غرة سأل الجنرالين عن رأيهما .. فطلبوا اليه أن يعيد قراءتها .. لقد كان واضحا ، ان لم يكن قد غلبهما النوم ، فلا يستطيعان أن يلما بالرسالة كلها ، فأعيدت القراءة ووافقا عليها » .

ولبعد ويثقل عن مجرى الحوادث فى مسارح الحرب الأخرى ، بقى فى القاهرة كى يلم بها . أما المستر « ايدن » فقد طار الى تركيا ومعه الجنرال « آرثر سميث » لبحث مدى المساعدة التى يمكن لها أن تعاون حليفتها بريطانيا التى تربطها بتركيا معاهدة صداقة . فرحبت تركيا بارسال مساعدة من بريطانيا ، لأن

سوء تسليح جيشها لا يسمح لها بمساعدة اليونان • ولعل دخول
الألمان بلغاريا يوم ١٥ مارس هو الذى حفزها الى هذا الموقف •

تعديل الخطة

وسافر « ولسن » ليتولى قيادة القوات التى فى خط
« الياكومون » ، أما القيادة العليا فقد أسندت مجاملة للجنرال
« باباجوس » • ولم تسمح الحكومة اليونانية بفصم علاقاتها مع
ألمانيا ، فقد كانت السفارة الألمانية تعمل فى أثينا ، ولم يأذن
للجنرال « ولسن » بعمل استكشاف حيوى لمسرح القتال ،
وألحّت على أن يكون مرتديا ملابس المدنية ، فنزل فى فندق
« بأثينا » تحت اسم مستعار « مستر واتس » ، وان كانت حقائبه
ما زال عليها الحرف الأول من اسمه كاملا •• وتداول الناس
فى اليونان يوم وصوله مجلة « باريد » الانجليزية ناشرة صورته فى
صفحتها الأولى ، ومع هذا فقد قيل ان السفارة الألمانية لم يكن
لديها علم بوجوده !!•

وبعد أيام قليلة زار المستر « ايدن » والجنرال « دل » اليونان
فى طريقهما الى لندن فعلما بالأزمة الناشئة بين ولسن ورئيس أركان
حرب الجيش اليونانى « باباجوس » الذى رفض سحب قواته
من مقدونيا الى مواقعهما فى خط « الياكومون » طبقا للخطة المتفق
عليها سابقا ، وطلب ويثقل على عجل للاستشارة وحاول ويثقل مدى
يومين أن يقنع الجنرال « باباجوس » لسحب الثلاث فرق من
مقدونيا ، ولكنه وعد بأن يعمل ما يستطيع لكى يؤلف فرقتين

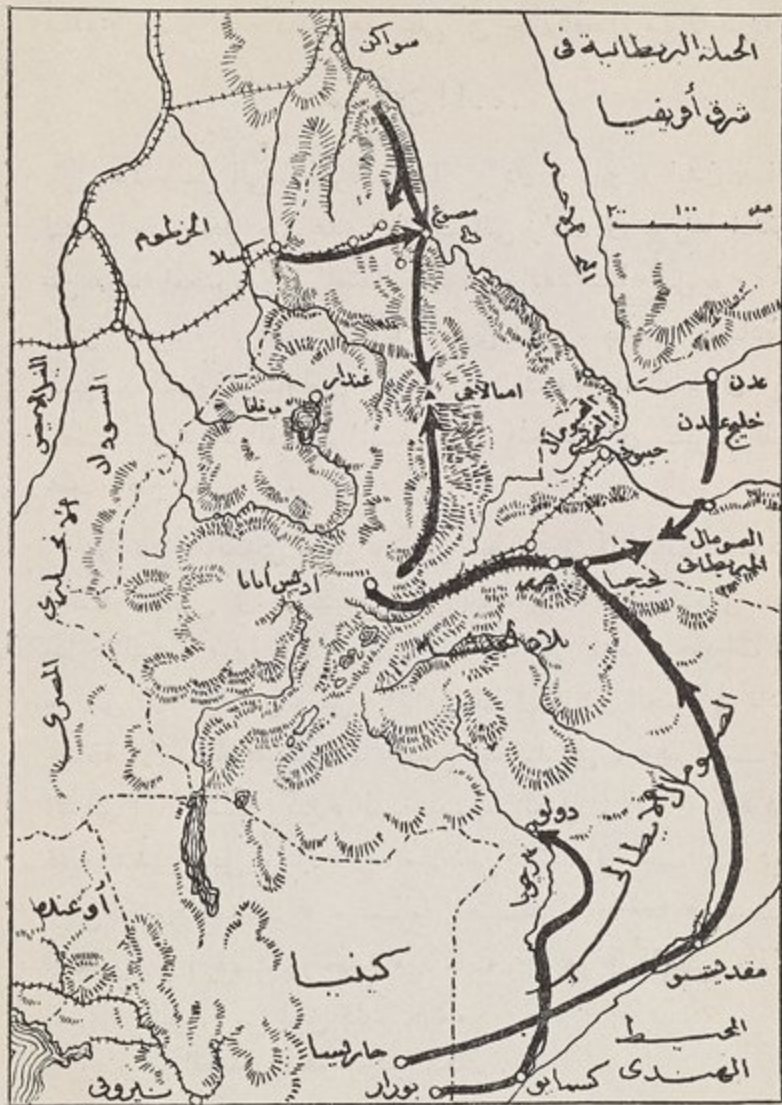
جديدين لتأخذا مكانهما في خط الياكمون الى جوار البريطانيين تحت قيادة « ولسن » • فكان هذا على أى حال أفضل من لا شيء •

مسكين !! ...

وعاد ويثقل الى القاهرة ، وطار « دل » ، و « ايدن » الى لندن ، ولم يتخل حتى هذه الظروف التي زادت في توترها شدة ، عن هويته المحبوبة وهي امتطاء صهوة جواده ، صباح كل يوم ، الى نادى الجزيرة الرياضى • وكان يغشى داره ، بحكم العادة ، ضيوف كثيرون يتناولون الغداء أو العشاء وقد اعتاد في أيام الصيف الشديدة القيظ ، المليئة بالعمل المجهد ، أن يستريح قليلا عقب طعام الغداء •

وكانت « الليدى ويثقل » تعمل متطوعة في كاتينات الجنود ، وابنته الكبرى فى مستشفى مصر الجديدة ، أما الصغرى ففى ادارة الشفرة • وابنه « جون » كان سكرتيرا لمدير المخابرات — ويروى أن « الليدى ويثقل » أثناء عملها فى كاتين الجنود فى نادى حديقة الأزبكية قد قال لها جندى اسكتلندى ، وهو يتناول الشاي : « ألسن كبيرة السن لهذا العمل يا أماه ؟ » فردت عليه الليدى ويثقل فوراً : « أوه • لا أظن ذلك ، انى أحب أن أؤديه ، وانى لكثيرة النشاط » • فسألها الجندى : « وما هو عمل العجوز ؟ » (يقصد زوجها) • فأجابته : « هو فى الجيش مثلكم قد غادر الوطن من أجل ذلك » • •
فأجابها الجندى وهو يغادر المكان :
« ياله من مخلوق مسكين » ! •

الحملة البريطانية في
شرق أفريقيا



اسمرة واديس ابابا

وطار ويقل الى السودان وهبط في مقر رياسة « بلات »
الأمامية لكي يعرف بنفسه عدد القوات التي يمكن الاستغناء
عنها ، ووقت الحصول عليها ، وكانت الفرقتان الهنديتان الخامسة
والرابعة — بعد وقعة دامت شهرا — قد عاودتا الهجوم مرة ثانية
على ارتفاعات « كيرن » هجوما مباشرا ، فلم ينجح الهجوم نجاحا
كليا ، ولكن استولت هذه القوات على موقع هام يعد بمثابة
مفتاح الموقف وهو قلعة « جولوجورودوس » وحاول الايطاليون
استرداده أكثر من مرة . وعندما وصل ويقل كان لا يزال مصير
الموقع في يد القدر ، وأخبر « بلات » بأنه لن يطالبه بجنود قبل
سقوط « كيرن » .. ثم قرر البقاء الى اليوم التالي .

فلما رجع في الصباح الى نقطة الملاحظة حياه الجنرال « بلات »
قائلا : « أظن أن كل شيء يسير على ما يرام » فأجابه ويقل :
« ماهو » ؟ قال « بلات » : « أظننا قد استولينا على كيرن »
فسأله ويقل : « ومتى تعرف ؟ » ثم ركبا سويا الى مقر الرياسة
الأمامي ، فخرج اليهما من الخيمة أركان حرب يفيض وجهه
بشرا وقال لهما : « ان « كيرن » قد سقطت ، والايطاليون
يستسلمون » . فالتفت ويقل الى « بلات » ، وقال : « ما رأيك
في تناول الافطار ؟ » وكان هذا كل ما فاه به .. لقد بدأ فكره
يشغل بالمستقبل . واتفق مع « بلات » ، على ارسال الفرقة
الرابعة الهندية الى مصر عن طريق البحر الأحمر . وكانت خسارة
الجنرال « فيروتشي » الايطالى حسب تقاريره نحو ثلاثة آلاف

قتيل ، وان كانت خسائر البريطانيين لم تكن هينة فقد قتل منهم خمسمائة ، وجرح ثلاثة آلاف جندي ، ونصف هذه الخسائر كانت نتيجة الهجوم على « كيرن » .

وبالاستيلاء على « كيرن » كان قد تقرر مصير « أسمرة » التي سقطت في أول ابريل ، ودخل الجنرال « كاتنجهام » أديس أبابا -- ٤٥٠ ميلا الى الجنوب -- واستسلم له خمسة آلاف جندي ايطالى دون قتال تقريبا . ثم سقطت بعدها « مصوع » فى مدى أسبوع على أثر هجوم الفرقة الهندية السابعة ، وبعد دكها بسلاح الطيران . وكان يظن أنها منيعة التحصين . وبذا أمكن تطهير اقليم « كسلا » ، و « ارتيريا » من الايطاليين فى مقابل خسارة قدرها ستة آلاف فى جانب البريطانيين ، واستسلم ٤٠ ألف أسير ايطالى ، وتقهقرت فلول الجنرال « فيروتشى » جنوبا صوب الحبشة . وفى يوم ٥ أبريل - الذى سقطت فيه « أديس أبابا » - انسحب الايطاليون منها شمالا وغربا .

معارك خاسرة

« القادة هم الذين يكسبون المعارك
أو يخسرونها ، وليست جنود الصفوف »
فوش

مفاجأة « رومل »

وذاعت الاشاعات على وجود « الفيلق الأفريقي الألماني » في طرابلس ، ولكن لم يكن لدى ويثل أنباء يعتمد عليها في هذا الشأن ، فقد كان يفتقر البريطانيون الى أداة مخابرات بارعة ، تكون لها شبكة من الأعوان والمخبرين في طرابلس ، كي تزود القائد بالأنباء التي يريد أن يستوثق منها عن القوات الموجودة على الحدود ، والقواد ، ونواياهم . لقد فوجئ البريطانيون بهجوم « رومل » في « برقة » ، وهم في الظلام ... فكانوا لا يعلمون شيئا عن موعده ، ولا عن مبلغ قوته ... نعم كانت صدمة مريعة للبريطانيين حين عرفوا مبلغ كفاية جنود رومل الفنية ، وامتيار تدريبهم ، ومهماتهم ، وسياراتهم ، وسرعة اجتيازهم الصحراء ، سيما ولم يسبق لهم عهد بممارسة فنون القتال في الصحراء .

ولو أننا لا نستطيع التكهن بأغراض « رومل » من هذه العمليات ، الا أنه قد يقصد مؤازرة الايطاليين بعد هزيمتهم في شمال أفريقيا ... أو بالأخص لتدمير دباباتهم في معركة « بنغازي » التي كان لها أثر معنوي في نفسى « هتلر وموسوليني » أو قصد مغالبة المدرعات البريطانية ... ولو بمجرد الدفاع عند الحدود بالفرقة المدرعة الوحيدة التي أعطيت له ، والتي سميت « الفرقة الأفريقية الخامسة » ولعله حين وجد السبيل ممهدا ، والمقاومة ضعيفة في البر والجو ، تجاوز تعليمات رياسته فتقدم .. ثم تقدم ..

كبار القواد أسرى

وقبل تقدم « رومل » بثمان وعشرين ساعة ، كانت قيادة القوات البريطانية في برقة لا تعلم بأن هناك تشكيلات ألمانية اطلاقا على مقربة منهم .

وتقدم رومل بقواته المتفوقة في كل شيء : برا ، وجوا ، حتى أجبر القوات الضئيلة التي أمامه على التراجع السريع : وطار ويقل الى برقة ليتفقد الموقف بنفسه ، وبعث الجنرال « أوكونر » ليقوم بمساعدة قائد بنغازي « الجنرال نيم » ، وقرر أن يخلي الميناء بعد تدميرها ، ولما كان من مبدئه دائما عدم التخلي عن الأرض والحرص على الاحتفاظ بها مثل المارشال « فوش » سواء بسواء ، فقد قرر أن يتخير موقعا في أرض حاكمة حتى يستطيع منه الدفاع عن ميناء بنغازي . . ولكن الحوادث كانت تتوالى بسرعة في هذا الوقت ، لأنه ما كاد يصل الى مقر رياسته بالقاهرة حتى أصدر الجنرال « نيم » أمرا بالانسحاب الى خط « درنة — ميكيلي » ، فكانت قفزة الى الوراء تبلغ مائة وخمسين ميلا . وكان واجب الفرقة الثانية المدرعة ستر انسحاب الفرقة التاسعة الهندية ، ، أثناء سيرها على الطريق الساحلى الى مواقعها الجديدة وذلك بالعمل على الجناح الأيسر ، جنوب الجبل الأخضر .

وفي يوم ٦ ابريل تبين أن رومل كان متقدما بثلاثة قولات عبر الصحراء ، يسير قولها الأوسط في اتجاه « الميكيلي » قاصدا بذلك قطع خط انسحاب البريطانيين على الطريق الساحلى — كما يبدو — ان لم يكن يرمى الى الاستيلاء على طبرق .

وترامت الى ويقل الأنباء المذهلة ، ولعل أشدها وقعا على نفسه ،
كان نبأ وقوع ثلاثة من خيرة قواده في الأسر : الجنرال أوكونر ،
ونيم ، و « جمبير — پارى » ، وهو فى أشد الظروف حاجة الى
خدمتهم ، وخلفوا له حمل العبء المضى بمفرده •• ولا ريب فى أن
نجم ويقل هذه الليلة قد هوى الى الحضيض •

قرارات

ازاء هذا الموقف الشائك ، اجتمع القواد الثلاثة : ويقل ،
والأميرال كانجهام ، ومارشال الجو لونجمور ، للتشاور • وكان
هناك أربعة ميادين قتال رئيسية : اليونان ، وبرقة ، والحبشة ،
وارتيريا ، بجانب المتاعب التى بدأت تظهر بوادرها فى العراق ،
وسوريا • ومع هذا فان تقدم رومل فى برقة كان له الأهمية
الأولى ، لأنه خطر مباشر يهدد القاعدة الرئيسية • فكان عليهم أن
يبتوا فى مسألة تعزيز قوات الصحراء بالفرقة السابعة الاسترالية
التى كانت على وشك الابعار الى اليونان ، حسب القرارات
السابقة ، فتقرر أن لا ترسل الى اليونان ، وتعزز قوات الصحراء ،
لأن للشرق الأوسط أهمية حيوية تفوق مسألة اليونان •

ثم تقرر أيضا الانسحاب من برقة ، والقيام بالدفاع عند
مرسى مطروح ، مع الاحتفاظ « بطبرق » كى تكون شوكة فى
جنب العدو على الدوام ، ولم يرتض ويقل التراجع الى خط
العلمين ، والقيام بالدفاع عنده ، بل فضل الوقوف عند

مطروح • وقرر تعيين قواد آخرين فى مناصب من أسروا ، ثم بدأ
فى جمع الامدادات •

وطار الى الصحراء الغربية ليتصل بالقواد ، وليؤكد لهم
ضرورة الاحتفاظ بطبرق ، وتحسين الدفاعات التى اتخذها
البريطانيون حول طبرق ، ثم قرر ارسال دبابات اليهم بطريق
البحر لتعمل فى الدفاع معهم ، فكان للدبابات بعد ذلك دور هام
فى الاحتفاظ بالمواقع • ولا ريب فى أن ظهور ويقل فى هذه
الأوقات العصبية أمام الجنود قد سما بروحهم ، وأوحى اليهم
بالثقة ، لما فى مظهره من رزاق ، واتزان •

هبوط اضطرارى

وحدث عندما كان عائدا الى القاهرة ، أن أصاب طائرته خلل
اقتضى النزول فى مطار طبرق لاصلاحه ، وكان الوقت متأخرا
فى المساء ، والجو عاصفا ، رديئا الى أقصى حد ، فما ان أصلح
الخلل ، حتى عاد ويقل الى مقعده فى الطائرة ، فاذا بالطيار يخبره
مرة أخرى بأن ضغط الزيت قد هبط الى الصفر ، وأنه سيجاول
السير بماكينه واحدة ، فيجيبه ويقل اجابته المشهورة حين تتعقد
الأمور : « مفع...مهوم » ، وبعد قليل قال له الطيار انه قد يضطر
الى الهبوط حالا ، فشد الجميع الأربطة حول أجسادهم اتقاء لصدمة
الهبوط ، وهمس ويقل : « مفع...مهوم » • وما ان تمس الطائرة
الأرض حتى ترتطم وتدور ، ويراق البنزين ، وينفصل جناح
الطائرة ، وذيلها ... ولكن لحسن الحظ لم تحترق ، ولم يصب

أحد بسوء • وذلك فى بقعة صحراوية تبعد عشرين ميلا جنوب — غرب السلوم — فقرر ويقل البقاء حيث هم ، بدلا من السير الى أن ينبج الضوء ، وأخذوا فى ايقاد النار لصنع الشاى ، بالمعدات الموجودة دائما مع الطيار ، فبعد قليل شاهدوا ضوءا لسيارة متجهة اليهم ، وخوفا من أن يكون بها عدو لاصديق ، سيما وقد أسر جنرالات قبل ذلك ، وقف ويقل بعيدا ، وتصدى أحد صغار الضباط للسيارة ، حتى اذا كان عدوا بادره بطلقة من طبنجته ، كى يمهّد لويقل سبيل الهرب ، ثم وقفت السيارة ، ونزل منها ، على بعد ٥٠ ياردة منهم ، جندى قد شهر بندقيته وعليها قد ركب « السونكى » ثم عارضهم بلغة لا يعرفونها ، وكانت تسير خلفه السيارة لتستره أثناء تقدمه اليهم ، فاذا به جندى مصرى من عساكر الحدود المصرية فاغتنبوا وركب معهم ويقل وساروا به الى « السلوم » التى بلغها الساعة الأولى صباحا ، وفى الصباح طار الى مقر قيادته فى القاهرة الذى كان قد بدأ يساورهم القلق عليه •

ومما له اتصال بهذه الحادثة ، قصة الورقة « السرية للغاية » التى افتقدوها فى رياسته وتعبوا فى البحث عنها والتتقيب عليها لأهميتها الكبرى ، فلما دخل الجنرال « سميث » رئيس أركان حربه ليجمع اليه الواقعة قال له : « ... لقد حرقها عندما تحطمت بنا الطائرة فى الصحراء ، منذ ليال قليلة » •

اليونان في ابريل ١٩٤١

طار ويثقل الى الصحراء الغربية مرة ثانية وتفقد الخطوط
الأمامية ، التي بدأت الأمور تسير فيها سيرا سيئا ، ثم الى
مرسى مطروح ، ومنها الى اليونان ليخبرهم بأنه أوقف ارسال
الفرقة السابعة الاسترالية ، وقد بدأ ويثقل يحس بالتعب ، مع
قوة احتماله وجلده ، وصلابة عوده ، فان الاجهاد — البدني
والعقلي — قد أربى على الغاية ، فبدأت تظهر أعراضه في أعصابه ،
وفي هيئته ، مع ماهو عليه من قوة حديدية • لقد كان يخزن
في رأسه ، معارك خمساً ، تدور رحاها ، هو عقلها المدبر ،
وفكرها الموجه •

ولقد قال « ولسن » — وهو أكثر معرفة بويثقل من أى شخص
آخر — : « هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أرى التعب فيها
يبدو على « ويثقل » ، لقد كان في الواقع مجهداً ، فاذا عرضت عليه
مهام العمل العاجلة وأنجزها ، غلبه النوم في الحال على مقعده
في الخيمة قبلما يصل الى سريره » •

وقد كان الموقف في شمال أفريقية مدى أسبوعين ليس فيه
الا الاخفاق ، والأنباء المثيرة ، وكذلك كان الموقف في اليونان
لا يبعث الا مايسوء ساعة بعد ساعة ، فقد زحف الألمان واكتسحوا
المواقع اليوغوسلافية ، وتحطم جيشها في ظرف عشرة أيام ،
فاستسلمت • وهكذا وصل العدو الى ثغرة موناستر ، بوجه
السرعة ، وأصبح يهدد المواقع التي في خط الياكمون بالتطويق ،

ودخل العدو « سلانيك » • وفصلوا القوات اليونانية التي في شرق قاردار وأجبروها على التسليم •

ولما كانت الجبهة ممتدة فسيحة ولا تناسب مع القوات القليلة الموجودة ، قرر « ولسن » بالاتفاق مع ويقل ، الانسحاب الى الوراء لتقصير خط الدفاع ، وضاعف أهمية ذلك ما كان لتفوق سلاح الطيران الألماني من أثر في العمليات ؛ فقد أصاب إحدى المراكب البريطانية فغرقت أثناء تفريغها شحنتها في ميناء « بيريه » وهى الميناء الوحيدة في اليونان ، التى أصابها أيضا بعض التدمير ، فجعلها غير صالحة مدى أسبوع •

ووافق الجنرال « باباجوس » على الانسحاب الى خط « ترومويل » ١٥٠ ميلا جنوبا ، ولو أن الجنرال اليونانى قد اقترح أن تنسحب التجريدة البريطانية كلها من البلاد لتجنبها الدمار •

والآن تتناول هذا الاجمال بشئ من التفصيل :

استسلام يوغوسلافيا

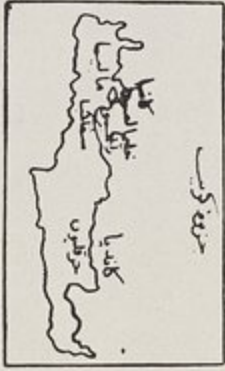
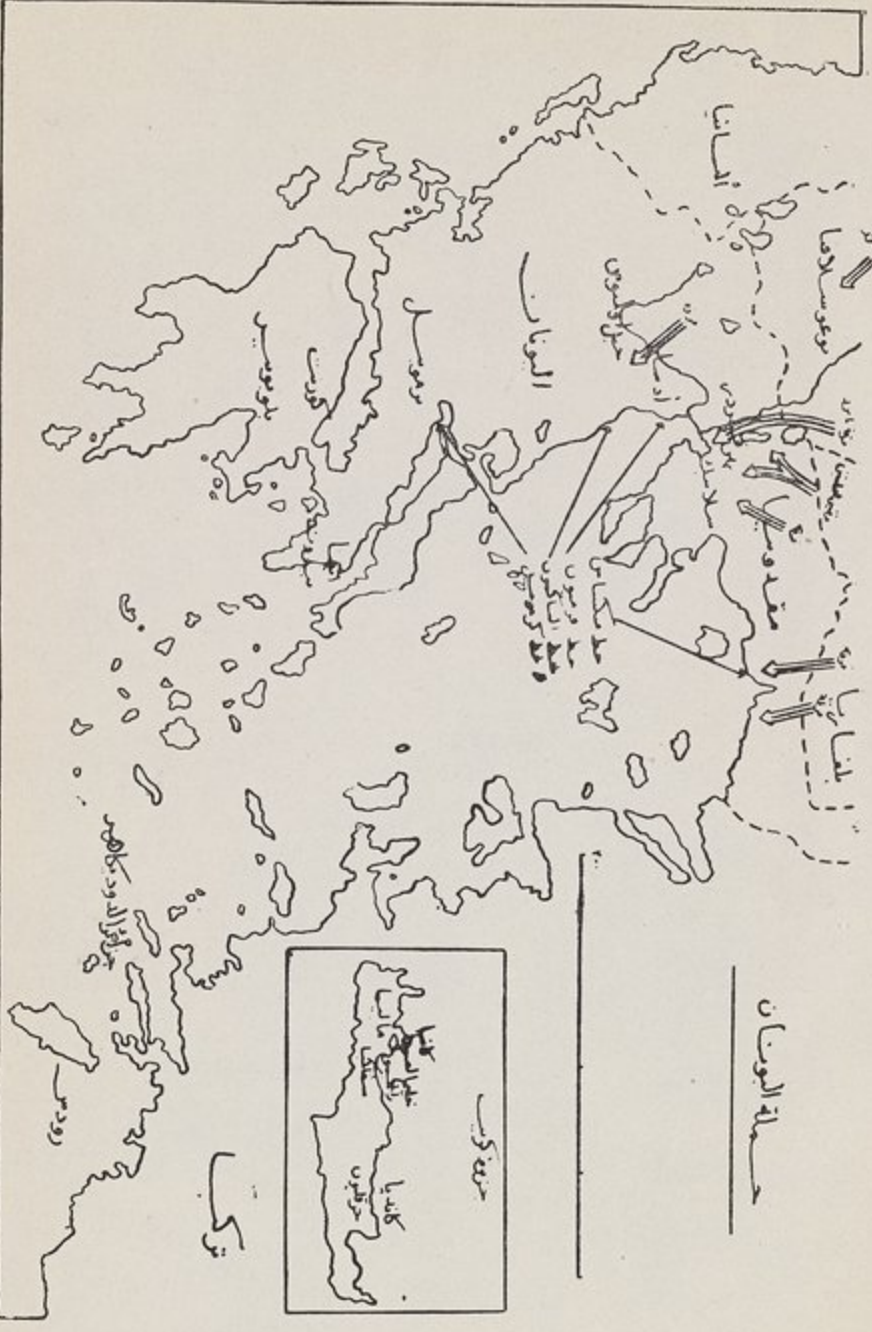
بدأ الهجوم الألمانى على يوغوسلافيا فى ٦ أبريل ١٩٤١ ، وكانت ظروف الدفاع لا تبعث على الأمل المطمئن ، بل طرأ عليها الضعف الخطير بسبب أوضاعها • فقد تناولت الاقليم الدانوبى الذى اقتطع من هنغاريا فى الحرب السابقة ، وهذه منطقة لا يمكن اندفاع عنها ضد قوات مجهزة بالأسلحة الحديثة ، وأسباب خفة الحركة المتفوقة ، كما كانت عليه حالة القوات الألمانية المهاجمة •

وكانت غالبية القوات اليوغوسلافية منتشرة في هيئة نطاق (كردون) على طول حدود ألمانيا ، وهنغاريا ، ورومانيا ، وبلغاريا :
منها مجموعة جيش على الجبهات الشمالية والشمالية الغربية ،
ومجموعة أخرى على الحدود الهنغارية ، ومجموعة ثالثة — وهي
أكبر المجموعات وكانت عبارة عن ثلاثة جيوش مؤلفة من نحو
١٥ فرقة في مواجهة جبهات : رومانيا ، وبلغاريا ، وألبانيا •
ومن المجموع وهو ٢٨ فرقة مشاة ، وثلاث فرق فرسان ، لم
يحتفظ بغير فرقة واحدة فقط ، في الاحتياط الاستراتيجي •

وكان لدى الألمان نحو ٣٣ فرقة ومن ضمنها ست فرق مدرعة •
وكان زحفها في صورة متتابعة ، كل منها مؤلف من ستة قولات
قوية ، فاكستحت المواقع اليوغوسلافية في الشمال الغربي وفي
الشرق ، وشقت طريقها عبر الممرات بأقل ما يمكن من الصعوبة •
وقد دار المهاجمون حول حصون يوغوسلافيا التي في الجبهة
الهنغارية ، وطوقوها • وكانت الطريقة التي توصلوا بها ،
الافتحام عن طريق بلغاريا • ودقت الطائرات المدن اليوغوسلافية ،
وعلى الأخص بلغراد ، بالقنابل ، وساهم الطليان الذين لم يعملوا في
الحرب على الأرض الا القليل ، بهجمات جوية ثقيلة الوطأة على
المواصلات اليوغوسلافية • وانقسم القائمون بالدفاع الى
جماعات صغيرة أمام جزء من قواتهم قبل اشتباكهم اشتباكا مباشرا
في القتال •

وهكذا تحطم اربا جيش عظيم من أحسن القوات المقاتلة بأوربا
في مدى عشرة أيام ، واستسلم اليوغوسلافيون في ١٧ ابريل •

حملة اليونان



ترك



قواد الشرق الأوسط : الجنرال ويقل ، وهارشمال الجرو لو نجومور ، والأميرال كاننجهام

معركة اليونان

عبر العدو الحدود اليونانية في ٦ ابريل ، فالتزم اليونانيون الحكمة ، وتراجعوا ، وأخلوا تراقيا الغربية ، عدا نقط الحدود . وتخصصت ثلاث فرق للدفاع عن سلايك ، والحدود من قاردا الى مستا . وخصصت فرقتان أخريان لتكونا حلقة اتصال بين القوة البريطانية والقوة اليونانية في أيروس . وكانت القوة البريطانية ، كما قدمنا ، تتألف من :

١ — اللواء المدرع الأول .

٢ — الفرقة النيوزيلاندية الثانية .

٣ — الفرقة الاسترالية السادسة .

وكانت الأوضاع موزعة توزيعا أفضل مما كانت عليه القوات اليوغوسلافية ، ولكنها مع ذلك لم تنج من الخطأ ، فانها لم تحسب حساب سرعة انهيار القوات اليوغوسلافية انهيارا تاما حاسما ، وان التعديل الذى أدخل على الأوضاع لم يكن الا جزئيا فقط . ان الباب الحيوى للدخول الى بلاد اليونان هو « ثغرة موناستر » ولم تعد القوة الكافية للقيام بالدفاع عن هذه الثغرة .

الانسحاب

اخترق الألمان ثغرة موناستر بوجه السرعة ، ودخلوا سلايك وفصلوا القوات اليونانية التى فى شرق قاردار ، وأجبروها على

التسليم ، فأصدر الجنرال ولسون الأوامر بالانسحاب الى خط أوليمبوس ، والدوران حول جنب الجبل ، والمرور عبر بلاد السرب ، وحول منعرج نهر الياكومون ، فتم ذلك في ١٣ ابريل . ولكن ابان هذه الفترة ، كانت القاذفات الألمانية قد دقت اليونان يقنابلها دقا عنيفا ، ولم يكن لدى اليونان الوسيلة لمقاتلتها بالمثل أو الاشتباك معها ، وكانوا اذ ذاك قد اقتربوا من نهاية استمساكهم بالمقاومة . وكان اللواء البريطاني المدرع ، قد أمسى قوة غير مقاتلة ، وكان الخط الجديد أطول من أن يتيسر الدفاع عنه بالقوة الموجودة ، وكان الألمان يتلمسون طريقهم في المناطق الواقعة بعد الأوليمبوس للدخول في مضيق بانايوس . لذلك تقرر التراجع الى ممر ترموييلا ، تحت ستر حرس مؤخرة القوة الاسترالية والنيوزيلندية . وقد قامت هذه القوة بدفاع مجيد حقا ضد فرقتين ألمانيتين .

وضعت القوة في خط ترموييلا يوم ٢٠ ابريل ، وفي هذا اليوم تسجل تاريخ آخر معركة للسلاح الجوى الملكى في اليونان . وصار منذ هذا التاريخ في استطاعة الألمان أن يستخدموا الطرق الواقعة وراء مرمى مدفعية الحلفاء بالحرية التامة كما يشاؤون . فحشدوا قوات كبيرة ، تصحبها الدبابات ، وكان ذلك في متناول النظر من مواقع المدافعين ، ولكن بعيدا عن مرماهم . وفي الوقت نفسه كانت فرق ألمانية أخرى ، تتسابق في طريقها الى الساحل الغربى لقطع طريق التراجع الى كورثيا . ويقول ولسن في كتابه : « ثمان سنوات عبر البحار » : « ان عمليات الانسحاب ، وكثرة

تنقل مقر رئاسة الوحدات ، بجانب الخل في جهازات الراديو منذ البداية عاقه عن الاتصال بويقل ، أو تشرشل ، كى يجعلهما على علم بتطورات الأحوال ، لأن التقارير لم تكن تصل اليه ... الأمر الذى آخذه تشرشل عليه .

الجلاء

وصل ويقل الى اليونان فى هذا الوقت ، فتوالت عليه الأنباء السيئة ، من انتحار رئيس الحكومة اليونانية ، الى نقص الطعام ، وتردد الشائعات والأراجيف ، وكان آخرها نبأ استسلام الجيش اليونانى يوم ٢١ ابريل بعد أن قاوم الى النهاية ، ضد قوات متفوقة عليه .

ازاء هذه الظروف ، وبعد موافقة ملك اليونان ، والجنرال باباجوس ، أمر ويقل الجنرال ولسن لكى يستعد للجلاء ، حالما ترتب له البحرية الملكية ، أمر السفن اللازمة لذلك . ثم بعث اليه ضابط أركان حرب ممتاز هو « الميچر دى جنجان » (لفتنانت جنرال فيما بعد) ليضع مشروع الجلاء ، فتقرر أن يبدأ بعد ستة أيام ، ويتم فى ثلاث ليال فى سواحل اليونان كلها ثم تنقل بالمراكب الى كريت مسافة ١٠٠ ميل ، اقتصادا فى الوقت والنقل ، ومن ثم الى الاسكندرية مسافة (٤٠٠ ميل) أخرى بعد ذلك . وكانت خطة الجلاء موضوعة منذ أن أنزلت الحملة الى بلاد اليونان ، فاتفق ولسن مع البحرية على أن يكون الجلاء ليلا ، اتقاء للطائرات ، وأن ينسحب جزء من قوته الى البلوبونيز ، وأن تنقل هذه القوة من هناك ، وأن تشحن باقى القوة من بيرابوس ومن الثغور الأخرى الصغيرة بأتىكا .

ورغم انعدام الساتر من الجو ، ورغم نشاط ومهارة العدو المطارد ،
لقد تم الجلاء بنجاح باعث للدهشة . فمن القوة التي عددها
نحو ٥٨٠٠٠ جندي تم انسحاب ٤٨٠٠٠ بأمن وسلامة . ونجا
بالمثل معظم المدمرات اليونانية وجميع الغواصات . وتسنى للملكى
يوغوسلافيا واليونان ومعهما معظم عظماء وزرائهما الافلات
من الوقوع فى الأسر ، ثم ان الملك « جورج » ملك اليونان ، الذى
بقيت له بعض الأقاليم التى لم يغر عليها العدو ، أقام حكومته
بجزيرة كريت .

دروس

لقد أقامت حملات يوغوسلافيا واليونان البرهان الناطق
على جدوى التفوق بالأسلحة ، وخفة الحركة ، التى من الدرجة
الأولى على الأسلحة ، وخفة الحركة التى من الدرجة الثانية أو الثالثة
حتى فى أيدي الشجعان . لقد كان الموقف الاستراتيجى فى
يوغوسلافيا على أى حال ميئوسا منه ، ويشبه تقريبا موقف
بولندا فى ١٩٣٩ . فالقيادة اليوغوسلافية تصرفت تصرفا مواتيا
للألمان ، وذلك بسوء توزيع أوضاع قواتها ، ذلك التوزيع
الموروث من أنظمة البرنس پول . ان الضرب المستمر بالقنابل
مضافا اليه ما عندهم من النقص فى المدفعية المضادة للدبابات قد
عاقهم عن النجاح ، ولكن قيادتهم التى يرأسها الجنرال باباجوس
كانت متفوقة كثيرا على القيادة اليوغوسلافية . وأقامت الحملة
أيضا الدليل على صلابة القوة البحرية الرائعة فى وقت الشدة .

ولعل أبلغ مظهر لها انسحاب القوات في مواجهة التفوق الجوى
الذى لم تكن أمامه أية مقاومة ، والمطاردة العنيفة من القوات
البرية .

معركة كريت

وجرى تمثيل المنظر الختامى من مأساة اليونان ، في جزيرة
كريت . لقد جلت الفرقة النيوزيلندية الثانية الى الجزيرة ،
فأصبحت أداة الدفاع الرئيسى فيها . واستبقى فيها أيضا جزء
من الفرقة الاسترالية . وكان الجنود البحريون يحتلون خليج
سودا ، وكانت هناك أيضا فرقتان هيكليتان لليونان وهما
نصف مسلحتين . وهناك ثلاثة ميادين للطيران . ولكنه بعد
مادقتها الطائرات الألمانية بالقنابل الثقيلة ، سحبت من الجزيرة
مقاتلات سلاح الطيران الملكى فى ١٩ مايو ، وفى اليوم التالى
بدأ الغزو الألمانى بالجنود المحمولين جوا .

ولم يطل الوقت حتى أسكتت المدفعية المضادة للطائرات ،
ثم شرع العدو باستقاط جنود المظلات ، وعدد كبير من الطائرات
الشراعية الحاملة للجنود ، بين ملامى وكانيا . وقد قتل عدد
كبير من الموجات الأولى ، ولكن الألمان تابعوا ارسال غيرهم وكان
عددهم نحو ثلاثة آلاف جندى بهراكليون وراتيمو ، فاكسبوا
موطىء قدم راسخ ، ثم ان فقدان مطار ملامى يوم ٢٢ مايو كان
خسارة خطيرة للدفاع . وجرت محاولة ألمانية متهورة لمساعدة
عملية الجنود المحمولين جوا ، وذلك بانزال الجنود من البحر ،

لكنها فشلت فشلا تاما • واقترب من الجزيرة في صباح ٢٢ مايو
أسطول من الزوارق اليونانية المستولى عليها (لأغراض حربية)
بحراسة مدمرة ايطالية • وتمكنت ثلاث نسابات وأربع مدمرات
بريطانية من اغراق المدمرة الحارسة ، واغراق كل سفينة أخرى قريبة
من تلك القافلة بنيران المدفعية وبنطحها بالسفن الحربية • وهو جمت
في ساعات متأخرة من اليوم ذاته قافلة أخرى ، بنجاح كبير • ولكن
تدخلت طائرات ألمانية قادمة من الدوديكانيز وكبدت البريطانيين
خسائر جسيمة منها النسابتين « فيجي » و « جلوستر » ، على أن
العدو لم يحاول القيام بمحاولة أخرى لانزال الجنود في البحر ،
الا اذا كان واثقا من النتيجة •

وفي يوم ٢٨ أضحى جليا أنه لم يبق في حيز الاحتمال الاستمرار
في السيطرة على كريت • وللمرة الثانية كان الجلاء ناجحا نجاحا
أكثر من المنتظر ، على أن نسبة الذين أمكن تنجيتهم من الجزيرة
كانت أصغر من أولئك الذين نجوا من الحملة البرية • وكان
عدد الجنود الذين تركوا بالجزيرة نحو ١٣ر٠٠٠ بريطاني ،
٥٠٠٠ يوناني • والمعتقد أن خسائر الألمان كانت بين ١٢ و ١٥ ألفا
من الرجال •

كانت كريت ميدانا مثاليا لتطبيق الهجوم بالجنود المحمولين
جوا واستغلال هذا الهجوم الى أكمل مدى ؛ فقد كانت للعدو
مطارات في « أتيكا » ، وفي الپلوبونيز ، وجزيرة ملوس ، وفي
الدوديكانيز • وبعد حصوله على التفوق الجوى ، استطاع أن
يعطل الدفاعات ، المضادة للطائرات بضربها بالقنابل ، وبعد

أن هجر السلاح الجوى الملكى ، ميادين طيرانه بكريت ، لم تبق له قواعد قريبة قربا كافيا لتهيم الساطر للطائرات المقاتلة • ومع ذلك كانت المعركة من نوع « اضرب واهرب » • لقد قامر الألمان بجسارة ، فان نجاحهم هذا ضمن لهم امتلاك كريت ، ولكنه لم يضمن لهم تدمير القوات المتحالفة ، التى بقيت فى الواقع دون أن تتدمر ، فى حين أنهم لو باءوا بالخيبة لكان معناه القضاء المبرم على قواتهم •

أسئلة؟ ..

ورأى المراقبون الذين يفكرون تفكيرا هادئا ، والذين لم يكن لهم انتقاد على الحملة اليونانية التى جرت فى البر ، بأن لهم ما يقولونه عن عمليات جزيرة كريت • فلماذا لم يتم الدفاع بحفر الخنادق بعناية أعظم فى الحجر الجيري الذى يسهل انحفر فيه ؟ • هل عملت الوقاية اللازمة للطائرات فى حفر جدرانها واقية من الشظايا كما فى مالطة ؟ هل كان فى الطاقة الانسانية تسليح عدد أكبر من الرجال اليونانيين بالسلاح الايطالى الذى استولى عليه فى شمال أفريقيا ؟ هل كان ادراك الخطر المحدق ناشئا من أثر نشاط العدو فقط ، بدلا من أن يكون من التقدير الاستراتيجى للموقف ؟ الأمر الذى كان يسمح بالوقت الفسيح للتأهب ؟ ان هذه الأسئلة وطائفة أخرى غيرها مازالت حتى الآن بدون اجابة عليها • وليس ثمة أثر للشك فى بسالة الدفاع ، ولعل شدة المقاومة ، وما تكبده العدو من الخسائر ، كانت باعثا لدهشته ، وسببت له لحد ما ، الحيرة فى وضع برنامج أعماله المقبلة •

ومنذ الحرب التي دارت رحاها في بلاد اليونان ، أفشى القائد العام اليوناني ، الجنرال باباجوس ، ملاحظات تهكمية تسترعى الدهشة بصدد هذه الحملة . قال : « ان اليونان رفضوا قبول حرس المقدمة البريطاني الذي قدم لهم ، بدعوى أنه كان أصغر من أن يكون له أثر فعال ، ولكنه كان كافيا لجذب الألمان كما يجذب المغناطيس الحديد . وان من رأى الجنرال باباجوس أن بريطانيا تظاهرت بالالاحاح ، لحفظ ماء وجهها فقط . ولكن اليونانيين ظلوا ثابتين . بل انه لما عرض عليهم أن يزودوا بعدة فرق بريطانية كان من أمرهم أنهم قبلوا العرض » حيث أن الرفض قد يثير الشك فينا ، بأن دعوانا في أننا عقدنا النية على أن ندافع عن أنفسنا بأنفسنا لم تكن مخلصه ، وقد يترتب على هذا أن نضعف الثقة المودعة فينا » . ورأى القائد اليوناني نفسه أن سحب الجنود من أفريقيا حيث كان مقدرا لها النجاح ، وارسالها الى أوروبا حيث كان مقدرا لها « الاخفاق الأكيد » كان « خطأ استراتيجيا » مخالفًا للأصول الصحيحة لإدارة الحرب » ويبدو أن معالجة الحالة قد جرت بالاستخفاف السياسي والاستراتيجي .

مخابرات خاطئة

هذا ولا بد لنا من أن نورد هنا رأى الجنرال ولسن قائد الحملة نفسها ليستطيع القارئ أن يلم بوجهات النظر المتعددة المتباينة في هذه الحملة التي ستظل موضع الدرس والبحث في المعاهد العسكرية والكليات من الناحية الاستراتيجية والسياسية ،

والتكتيكية ، يقول المارشال ولسن في كتابه الذى صدر فى مايو سنة ١٩٥٠ وأسماء « ثمان سنوات عبر البحار » الذى أشرنا اليه آنفاً .

« ان القرار الذى صدر بارسال قوة بريطانية الى اليونان سيظل مثار جدل بين المؤرخين ، والعلماء العسكريين ، طوال كثير من الأعوام القادمة . وبوصفى أحد الذين كان لهم اختصاص كبير فى المسألة ، رأيت ، حينذاك ، أن القرار سليم من الناحيتين : السياسية والأدبية ، وقد اتفق رأى معظمنا — نحن المختصين بالموضوع — أن هذا القرار من وجهة النظر العسكرية البحتة كان مجرد مقامرة ، كما صرح بذلك ويقل فى بيانه الرسمى ... وفى البداية ، لم يكن أحد منا يدرى مبلغ المقامرة ، فى هذا المشروع . اننا لم نقف على الحقيقة الا بعد وصولنا الى هذه البلاد ، واشترطنا مع الجيشين : اليونانى ، واليوغوسلافى ، فى العمل ، وفى وضع الخطط . حينذاك بدأنا ندرك الحقيقة ... على أن الانحلال السريع الذى طرأ على هذه القوات كان مفاجأة لنا ، وقد عزوته الى عدم كفاية المخابرات .

« وفى رأى أنه كان هناك خطأ آخر ، فى تقدير درجة التفوق ، التى بلغتها فعلاً ، قوة السلاح الجوى الألمانى .. ولم ينشأ الخطأ بسبب الخطأ فى تقدير عدد الطائرات التى يتاح استخدامها فى كل من الجانبين ، حيث كانت لنا الثقة الراسخة ، بقدرة السلاح الجوى الملكى البريطانى ، على التغلب على عدد كبير من خصومه ، ولكن السبب الذى جعل كفة الميزان تميل ضدنا هو أن ميادين

الطيران ، ومناطق التوزع ، كانت محدودة ، وليس لها ساتر يقيها من خطر الضرب عليها ، ومهما كان التفوق في القتال عظيما ، فانه لن يعوض الخسائر التي تقع على الأرض •

« وليس من التجارب المستحبة أن يضبط المرء وهو يحاول حشد القوة في ميدان المعركة ، فكم من المرات انتقد المرء هذا العمل ، في أثناء التعليم ... ومع ذلك اذا أردنا أن نوصل أى قدر من القوات الى اليونان ، فلا مناص من نقلها بالقوافل ، وأن يتحدد عدد السفن في كل قافلة ، وفقا لاتساع الميناء • لقد كانت هذه مغامرة لا مفر من اتخاذها ، اعتمادا على الأمل بأن عمليات يوغوسلافيا ستكون ذات أثر فعال يعيق هجوم الألمان الى زمن أطول مما حدث » •

نقد النقد

لقد نشر الشيء الكثير من الانتقاد ، الذى يشير الى أن تدخل قواتنا ، لمساعدة اليونان ، هو خطأ مصيره الاخفاق المحقق ، ومع أن معظم الناقدين قد خالفوا هذا رأى ، الا « ان الحكمة قد هبطت عليهم بعد وقوع الحوادث » ، فأشاروا الى الخطر الذى كان يكتنف موقعنا فى ثغرة « موناستر » ، وذلك لاقامة الدليل على أن ذلك الموقف لم يكن سليما • والواقع أنه لم يذكر أحد منهم قط ، وجود هذا الخطر فى أثناء المناقشات المبدئية ، فلو ذكر ، لكان ممثلونا قد سألوا صاحب الملاحظة عن موضع الموقع الملائم ، الذى يجب استكشافه وتقويته ؛ لقد كان من المنتظر

أن تتدفق القوات الألمانية المهاجمة عبر وادي « فاردار » ، لذلك استقر الرأي على اتخاذ موقع الياكمون • ومنذ ذلك الحين ظهر من المصادر الألمانية ، أن النية كانت منصرفة في بادئ الأمر ، الى احتلال حيز كاف من الأرض ، من ناحية الغرب ، بغية ستر « سلانيك » ، وهذا كان يوصلهم الى سلسلة جبال ثرميون • أما أهمية ثغرة « موناستر » ، وما فيها من التسهيلات للعمليات التكتيكية ، فلا تظهر تماما من الخريطة • واني شخصيا لم أدرك ضرورة اتخاذ الأهبة ، لحماية الجنب ، الا بعد معاينتي للأرض هناك •

أما في القتال ، فلقد تفوقت جنودنا على الألمان ، وكبدتهم خسائر جسيمة جدا ، فان دقة رماية نيران مدفعيتنا ، من عيار ٢٥ رطلا ، قد كلفتهم ثمنا غاليا في المراحل الأولى ، وفرضت عليهم التزام الحذر الشديد • وبعد ذلك لم يتخرج الموقف ، الا بسبب الخطأ في تقدير « الأراضي المحمية من أذى الدبابات » (Tank-proof) ، فان الحركة الآلية ، لدبابات الألمان ، كانت من الطراز العالي ، وكانت الروح المعنوية في قواتنا المقاتلة سامية لم ينل منها ضغط الانسحاب ، فكانت تقاتل متراجعة بنفس الروح المثلى ، حتى وصلت الى « شواطئ أتيكا » • ولولا أن « أعمال أركان الحرب » في الفيلق « الاسترالى — النيوزيلندى » كانت في المرتبة الأولى ، لما أمكن الانسحاب ، عبر « عنق الزجاجة » ، بلاريسا • ولولا براعة مماثلة من واضعى الخطط البحرية ومن أركان حرب رياستى ، لما أمكن ركوب السفن • ولم يكن هذا العمل سهلا

ازاء بطاء المواصلات ، وسهولة تعطيلها ، ومع انقطاع المواصلات التليفونية ، بل وزوالها بتاتا . فكان الاتصال يجرى بصورة مستديمة بوساطة الضباط أركان الحرب ، وضباط الاتصال الذين يسافرون على الطرق الجبلية ليلا أغلب الأحيان ، وبهذه الوسيلة أمكن إيصال الأوامر اللازمة الى الوحدات . وما كانت القوة لتستطيع ركوب السفن لولا براعة رجال البحرية الفائقة ، فقد جرى العمل على الشاطئ بوجه السرعة ، وكان ثمة استعداد على الدوام ، لادخال أى تعديل يلزم ، على البرنامج . فان الذين خرجوا من اليونان فى هذه الفترة الشديدة الحرج ، مدينون بالفضل لشقيقتنا فى الخدمة (أى البحرية) للطريقة التى اتبعت ، فكانت النسافات والمدمرات ترجع ليلا ، ليلة اثر ليلة ، لتقوم بالواجب الذى فرض عليها ، فواصلت عملها حتى لم يبق أحد على البر ، من الذين تأخروا عن رفاقهم .

كتاب « عملية النصر »

وسيرز دواما السؤال عما كان من أثر تدخل « القوات البريطانية » على الاستراتيجية ، وعلى نتائج الحرب عموما . ففى كتاب « عملية النصر » (لمؤلفه الجنرال دى جنجان) قد غض من شأنها الى الحد الأدنى . ولعل السبب فى ذلك راجع الى الرغبة فى تدعيم الحجة القائلة بأن الحشد ، من الوجهة العسكرية ، كان خطأ . ودليلهم الأول هو أن الحشد للهجوم الألمانى على روسيا ما كان ليتأثر بقسم منفصل من القوة مؤلف من سبع فرق ، ولواء واحد

من المشاة — وهو مجموع القوات التى استخدمت فعلا فى اليونان — بالنسبة للقوة التى أعدها الألمان لغزو روسيا وعددها مائة وخمسون فرقة ألمانية • ولكن للموضوع وجهة نظر أرحب اتساعا تتلخص فيما يلى : لولا التدخل البريطانى فى اليونان ، لأعلنت يوغوسلافيا انضمامها الى الميثاق الثلاثى (المحور) ، ولما وقع الانقلاب السياسى بها فى ٢٥ ابريل • فان افلات يوغوسلافيا قد أثار حنق هتلر ، الى حد كبير ، فعمل على زيادة القوة الألمانية لهذه الحملة أكثر من الضرورى ، وكان يهدف الى ضمان التصفية الكاملة ، ولذلك جعل مجموع القوة المشتبكة فى هذه العملية ٢٧ فرقة ميدان ألمانية (ومن ضمنها سبع فرق دبابات بانزر) ، فى البلدين • فان الاضطراب الكلى ، فى الجدول الزمنى للسكة الحديدية ، التى ستعمل فى الحشد ، وصعوبة انتزاع فرق الجيش من الأراضى الوعرة ، التى تعيق سرعة الحركة ، لابد أنها قد استلزمت تأجيل تاريخ الهجوم ، على الهدف الأسمى ، عما كان مقررا له بنحو أربعة أو خمسة أسابيع • وبالإضافة الى ذلك ، لقد استلزم هذا التدخل انقاص المدة اللازمة لاعادة التزود بالمهمات بين الحملتين ، الأمر الذى يتطرق منه بلا ريب الكلال (وهرش العدة) ، فى السلاح الذى يعتمد عليه أساسا لاحتراز النجاح السريع فى روسيا — أعنى تشكيلات البانزر • ولقد تعرض النقاد لنقطة أخرى ، وهى أن الطقس كان يحول دون مباشرة العمليات (فى روسيا) قبل التاريخ الذى بدأت فيه — على أن هذا موضوع قابل للجدال • كان الألمان قد عقدوا العزم على انتهاء حملة روسيا ،

قبل حلول فصل الشتاء ، وعدم مواجهة أحداث سنة ١٨١٢ للمرة الثانية ، والدليل على ذلك أن خططهم لم تكن تتضمن اعداد الملابس الشتوية (لقد حصلت على هذه المعلومة من الجنرال جيرو في الجزائر ، أثناء وصفه للخطة العامة للهجوم على روسيا ، كما تناقش هو فيها مع الجنرال (براوشيتز) الألماني في نهاية سنة ١٩٤٠ ، (حينما كان أسير حرب) • والواقع أن التاريخين الألماني ، والنابليوني ، للهجوم على روسيا ، قد توافقا ...

واننا اذا رجعنا الى التاريخ ، لوجدنا أن القوات البريطانية قد سبق لها التدخل في القارة الأوروبية ، لذلك لم تكن مغامرتنا في اليونان عام ١٩٤١ ، فريدة في بابها ، فان هناك تشابها معنا بينها ، وبين حملة « كورونا » في ١٨٠٨ (يشير الى الحملة التي نزلت في أسبانيا لمساعدتهم ضد نابليون) • من الوجوه الآتية : في تأثير ظهور قوة بريطانية صغيرة ، في استراتيجية قوة كبيرة متفوقة ، ماضية في أعمال عدوانية ... وفي شدة غضب الدكتاتور « يقصد نابليون ، وهتلر » الذي دفعه النزق الى الزج بقوات تربو على مايتطلبه الموقف ، وفي انسحاب البريطانيين على أراض متشابهة وقطع مسافة متماثلة ، وفي سوء التقدير ، في الحالتين ، من جانب حكومة جلالة الملك ، لدرجة المقاومة ، التي ينتظر أن يقوم بها حلفاؤنا الذين جردت الحملة لمساعدتهم ، وأخيرا فيما يعقب الحملة من التأثير ، البعيد المدى ، على الحرب الأوروبية بعد ذلك •

وقعت المرحلة الأخيرة ، من الحملة اليونانية — فيما يختص بي

شخصيا — في كريت ، حينما اقتضى انزال ٢٧٠٠٠ جندي في هذه الجزيرة كي يتاح للسفن الحربية أن تعود بوجه السرعة من رحلاتها الليلية ، لنقل مابقى من الجنود في أرض اليونان ، ولم يكن مع هؤلاء الجنود غير أسلحتهم الشخصية • وكان أول واجب هو احصاء الأفراد ، والعمل على اعادة تشكيل اللواءات المختلفة • فكان هناك السواد الأكبر من الفرقة النيوزيلاندية ، وجزء من لواءين من الفرقة الاسترالية السادسة ، بالاضافة الى هؤلاء ، كانت هناك أيضا ، حامية كريت بقيادة الماجور جنرال « وستون » من « البحرية الملكية » • واتضح لى حين عقدت مؤتمرا ، أن بالجزيرة ١٦٠٠٠ ايطالى ، من الجنود الذين وقعوا في الأسر ، في الجبهة الألبانية ، وعددا من البريطانيين المدنيين اللاجئين ، وعددا من الجنود اليونان ، بدون مهمات • وقد اتخذت البحرية التدابير لاجلاء ١٠٠٠٠ من أفراد الجيش وسلاح الطيران الملكى ، ومعظم المدنيين البريطانيين ، وذلك في ليل ٢٩/٣٠ أبريل ، في حين تألفت لجنة تموين مشتركة ، فعنيت باطعام مختلف الجماعات ، بما في ذلك « الأهلىن » • وتسنى لى أن أعرض الاقتراح الأخير على ملك اليونان فوافق عليه • واقترحت أيضا تعيين حاكم عسكري في الجزيرة ، ليشرف على البوليس وشئون الأمن • وكانت حالة الكريتين النفسية صعبة ، مضطربة ، فان الجزيرة كانت « فنيزولية » وجمهورية ، ولذلك كانت حكومتها ، ذات ميل البريطانيين ، ولم تكن ذات ميل لليونانيين ، مع أن فرقة كريت قد أبليت بلاء حسنا بألبانيا ••

وأرسلت برقية الى الجنرال ويثقل أطلب التعليمات ، عن القيادة المستقبلية في الجزيرة ، فوصل ويثقل شخصيا إلينا في ٣٠ من إبريل ، فعقد مؤتمرا على شاطئ البحر بالقرب من مطار ماليمى • وكانت أولى كلماته لى بعد ما حيانى قوله : « أريد منك أن تذهب الى القدس ، وأن تنقذ بغدادا » • فكانت هذه مفاجأة لى ، اذ كنت أجهل تمام الجهل ، ما كان يجرى خارج بلاد اليونان ، طول الأسابيع الثلاثة الماضية • لقد وضع « فرايرج » فى قيادة كريت ، والتحق فريق من أركان حربى للمساعدة فى رياسته ، وبينهم « برونسكيل » كبير ضباطى الإداريين ورغب الى ويثقل أن أكتب « تقديرا للموقف » عن الدفاع عن الجزيرة ، قبل سفرى الى القاهرة ، وقد أتممت هذا التقدير فى اليوم التالى ، ثم سافرت الى القاهرة « بزورق طائر » فى فجر ٢ مايو ، وسافر معى على نفس الطائرة ولى عهد اليونان وولية العهد وأولادهما ، وكانت الصغرى ضجرة جامحة ، ولكنى استطعت أن أنام نوما عميقا رغم ما تحدثه من الضجة • ولما اقتربنا من الساحل المصرى قيل لى اننا سننزل فى الأسكندرية •

ونزل الركب الملكى بميناء اسكندرية ، وطار الباكون الى القاهرة •

السياسة والاستراتيجية

« ان الاستراتيجية الحاطة ،
لا يمكن أن تكون سياسة صائبة »
روبرتسن

مغامرة اليونان

ولقد ضمّن ولسن ، في كلمته السابقة ، الرد على نقداً « الجنرال سير فرنسيس دي جنجان » في كتابه « عملية النصر » الذى نشره فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، مسجلاً فيه انطباعاته الشخصية ، ومشاهداته وآراءه ابان قيامه بأعمال أركان حرب فى الشرق الأوسط ، تحت قيادة ويشل ، و « أوكنلك » ، و « موتجمرى » ، حيث كان رئيساً لأركان حرب الأخير من العلمين الى استسلام ألمانيا . وقد قال فى مقدمة كتابه : « بأنه يهدف الى الدقة فى سرد الحوادث الكبرى ، كما شاهدها فى الحرب ، مازجا التاريخ بمقدار من الذكريات الشخصية ، حريصاً على تسجيل النواحي التى له بها علم وثيق ، متنكباً الأمور التى يكون جل الاعتماد فيها على رأى الغير » .

وبالنسبة للمناصب العديدة التى شغلها ، فقد أتيح له أن يرقب كثيراً من الأضواء العليا فى سياسة الحرب ، وقد بذل قصارى جهده كى يكون منصفاً ، صريحاً ، فى تناولها . وان هدفه من كتابه هو أن يدلى ، بصورة صادقة نزيهة ، للحرب ، كما رآها ، مبرزا الدروس العديدة التى يقدر أن لها خطراً . . . ثم ختم مقدمته بقوله : « انه ليؤكد أن هذا الكتاب ليس بتاريخ رسمى ، وانما يتناول الحوادث التى شاهدها ، معلقاً عليها ، ومعقبا بما يراه شخصياً » .

واقطع أفرد «دى جنجان» فصلاً قائماً بذاته ، فيما أسماه «مغامرة اليونان» قال فيه :

« أنا لا أزعم أنى أعلم القصة كلها ، ولعلى لو عرفتها ، ما كان يسمح لى بأن أفضى بها كلها ، ولكنى كنت متصلا بالحوادث ، من بعد ، وفى بعض الأحيان ، من قرب . وسأحاول فى هذا الفصل أن أروى القصة كما شاهدتها » ثم قال :

« فى فبراير سنة ١٩٤١ وصل الى القاهرة جماعة من ذوى النفوذ والسلطان : ايدن (وزير الحربية وقتئذ) ودل (رئيس أركان حرب الامبراطورية) ، ومستشاروها ، وبدأت المباحثات خلف الأبواب المغلقة ، وكنا بوصفنا ضباطا فى المراتب الدنيا ، نتوق الى معرفة ماسيستقر عليه الرأى .

« وعلى ما أذكر أنه لم يطلب الى « الفرع المختص باعداد الخطط الحربية والمشروعات » بتقديم مذكرة تتناول وجهة نظرهم فى امكانية العملية (أعنى ارسال قوات لمساعدة اليونان) ولكن من المؤكد أنه كان لهذا الفرع رأى مقرر فى هذا الموضوع .

« لقد عرض البريجادير «شيرار» مدير المخابرات ، مذكرة يوجه فيها النظر الى ماتستهدف له هذه الحملة من أخطار عظمية ، بالنسبة لأساليب الألمان ومواردهم ... وأذكر أن هذه المذكرة عادت من لدن الجنرال ويقل ، وقد كتب فى أعلاها بخط يده جملة مأثورة للقائد الانجليزى المشهور « ولف » هذا نصها : « ما الحرب الا اختيار المصاعب » ثم وقعها بالحروف الأولى من اسمه ...

« لقد أعجبنا بالروح التى أملتها ، وان شككنا — فقد كانت رتبنا لا تسمح لنا الا بالشك — فى مبلغ حكمتها » !

ثم ذكر أمر مرافقته لـ « دل » ، و « ايدن » وويقل ، الى اليونان عندما تقرر نهائيا ايفاد حملة ، واجتماعهم في المؤتمر الذى سبقت الاشارة اليه ، برئيس الحكومة اليونانية ، والمملك ، والجنرال باباجوس الذى يعده اليونانيون من أبطالهم ، لقيادته البارعة فى معركة ألبانيا ، وبعد مباحثات طويلة اتفق مبدئيا على احتلال « خط الياكمون » ، وطلب الى « دى جنجان » اجراء الاستكشاف تمهيدا لوضع الخطة ، وكان عليه أن يقوم به ، بصفة سرية للغاية متتكرا فى زى « مراسل حربى » ، بناء على طلب الجنرال باباجوس . فقام بما عهد اليه من مهمة ، واستجمع المعلومات ، التى تكفل له اعداد مشروع الخط العام الذى تقرر احتلاله والاحتفاظ به ، مثل : مواقع المياه ، والكبارى ، والمسالك الجبلية ، وغير ذلك . واسترسل « دى جنجان » فى وصف بعض المتاعب الشخصية التى صادفها أثناء قيامه بعمل الاستكشاف ، ثم عاد الى القاهرة بتقريره الشامل فى هذا الشأن .

ومضى يقول انه طلب اليه فى نفس الوقت اعداد مشروع آخر ، يعالج أمر الجلاء عن اليونان فى حالة تقرير ذلك ، وحذره ويقل من اذاعة أى شىء عن هذا المشروع ، ووجوب احاطته بالسرية الكاملة .

وقال انه اقترح ، بناء على ذلك ، ارسال مندوبين من أركان الحرب الى اليونان ، للبدء فى تنسيق الخطة بين الوحدات والأسلحة المختلفة ، فأرسله الجنرال « سميث » مندوبا عن « فرع المشروعات المشتركة » ، وذكر أنه لدى قيامه ليركب الطائرة قابل الجنرال

ويشل في طريقه الى اليونان أيضا ، فأوصاه عندما علم بمهمته ، بالتزام الكتمان ، وعدم الافضاء بشيء الى الجيش في اليونان ، ووصل الى أثينا ، وقابل مندوبى الطيران ، وضباطا آخرين اختارهم ويشل لتنسيق خطة الجلاء . ثم قال : « ان باقى قصة الجلاء أصبحت معروفة . ولكننا خلفنا في اليونان مهمات ، وعتادا له قيمة ، وبذلنا محاولة باسلة في الاحتفاظ بكريت ، وفقدنا كل شيء الا الشرف ... ولما كنت لم أشارك في حملة اليونان فانى لن أتولى وصفها ، في هذه الصفحات ، وانما سأحاول أن أسجل النتائج كما لاحت لى » .

دفاع ايدن

هل اخطانا أو أصبنا فى ارسال قواتنا الى اليونان ؟ ..

هذا هو السؤال الذى يتطلب الاجابة ، فالخطأ لا يعد ، بالطبع ، اثما فى حرب طويلة الأمد جليلة الخطر مثل الحرب الماضية ، ولكن المهم ، هو أنه فى حالة وقوع الخطأ ، ينبغى أن نعترف به ، حتى نكون على أفضل أهبة ، فى المستقبل .

وان الطريقة المثلى ، لتقدير الخطأ والصواب فى مسألة كهذه ، هى فحص القرارات التى اتخذت على ضوء المواقف كما تراءت لنا ، فى ذلك الوقت . انى لأظن أن ايدن صرح فى مجلس العموم لكى يبرر تدخلنا فى اليونان ، بأن عملياتنا هناك أخرت الهجوم الألمانى على روسيا ، عدة أسابيع ... هذا

الأسلوب من التبرير يشبه الرجل الذى يراهن ، بنوع الخطأ ، على جواد ، فاذا ربح السباق ، راح يفتخر بين الناس بفطنته ومهارته قائلا : « ما أحذقنى من فتى ! » (ثم يذكر هنا المسألة التى رد عليها الجنرال ولسن فى كتابه وهى أن الألمان لم يستخدموا أكثر من تسع فرق ، مع أنهم استخدموا فى هجومهم على روسيا نحو مائة وخمسين فرقة) • ومضى يقول انه قد توجد بعض الأدلة على أن الألمان قد أجلوا حملتهم على روسيا ، بسبب حملة البلقان ، الى ثلاثة أو أربعة أسابيع ، ولكن العوامل الجوية لم تكن تسمح لهم وقتها بالبدء فى عملياتهم قبل ذلك التاريخ • هذه الحقيقة ، اعترف بها الجنرال « هادلر » رئيس أركان حرب الجيش الألمانى •

ثم عقب على ذلك بقوله : ينبغى أن نسأل أنفسنا عما اذا كان تدخلنا فى اليونان كان لازما فى هذا الوقت ، سواء من الناحية السياسية أو العسكرية ؟ • ثم هل قواتنا التى تورطت فى اليونان كان أمامها أى أمل فى النجاح ، أو بعبارة أخرى هل كانت مهمتها ممكنة وكانت تتفق مع مصلحتنا ؟ • •

فمن الناحية العسكرية ، لم يكن موقفنا ، يسمح لنا ، وقتذاك ، بالبدء فى عمليات كبرى فى البلقان ، لضالة مواردنا ، فكان يجب أن نلتزم استراتيجية الدفاع مالم تلوح لنا فرصة احراز كسب رخيص ، سيما وألمانيا ، كانت فى ذلك الوقت ، سيدة أوروبا •

ومن الناحية السياسية ، لقد كنا مرتبطين بمعاهدة مع اليونان ،

وأنهم كانوا في حاجة ماسة الى مساعدتنا ، ولكن قبول المساعدة كان مشروطاً بأن تكون له قيمة حقيقية • واني أعتقد بأن اليونان اذا أدركت بأن تدخلنا لن يكون له أثر فعال ، فقد كانت تخليها من تعهداتنا •

أسباب الفشل

وختاماً : ان تدخلنا في اليونان ، من الناحية العسكرية ، لم يكن له أى أمل في النجاح • فقد كانت هناك عوامل كثيرة قائمة ، لها خطرها ، ألخصها فيما يلي :

- (ا) قوة الألمان العظيمة ، ازاء موارد الحلفاء اليسيرة •
- (ب) حالة الجيش اليوناني ، وبخاصة « موقف ذخيرته » •
- (ج) النقص في المهمات الحديثة في جيشنا •
- (د) تفوق سلاح الطيران الألماني في الجو على الطيران البريطاني ، في أقصر وقت •
- (هـ) خطوط مواصلاتنا من مصر كانت معرضة للغاية •
- (و) المواصلات في اليونان ، كانت غير كافية لتموين الجيش اليوناني وجيشنا منذ سقطت سلانيك •
- (ز) اذا أحرز العدو نجاحاً ، في منطقة ثغرة موناستر ، فقد حلت الكارثة ، بتشكيلات اليونان في ألبانيا ، فقد كانت الطرق قليلة ، وردية ، وغير ملائمة في الشتاء ، لاجراء انسحاب ناجح ، وعلى أى حال ، فان قواتهم لم تكن تتميز ، بخفة الحركة اللازمة •
- (ح) كانت البحرية موزعة اذ ذاك ، والسفن نادرة •

(ط) لم نكن نتوقع معونة فعالة من كل من : تركيا ، ويوغوسلافيا •

(ي) لقد كان وصول قواتنا بأكملها الى اليونان ، ثم تشكيلها في خط الدفاع ، قبل هجوم الألمان ، أمرا مشكوكا فيه تماما •
وختم الجنرال « دى جنجان » قصته بقوله :

« اذا كانت اليونان قد طلبت المعونة ، فقد كان من مقتضيات الشرف ، أن نبذل ما في وسعنا ، ولكن اعتراضى ، هو أننا ضللناها في مدى قدرتنا على المساعدة ، فقد ألقينا في روعها أن هذه المساعدة ، ستكون ذات أثر فعال ، واستتبع ذلك ، الخسارة الجسيمة في الأرواح ، والعتاد القيم ، وأصبح موقفنا في الشرق الأوسط كله ، مخفوبا بالخطر ، وجلبنا على أنفسنا الكوارث في الصحراء الغربية ، وضاعت منا فرصة تطهيرها الى طرابلس » وختم هذا الفصل الدامى الطويل بقوله :

« هل أثر السياسى على الجندى ؟ .. لست أدرى ! .. » •

لقد عرضنا بين يدى القارىء رأيا معارضا لجندى عظيم ...
وان كان لا يشركه فيه الآن كثير من أقطاب الحرب من أمثال المارشال سمطس ، وولسن نفسه ، الذى قاتل في اليونان ، ولقد مر بنا نقده الشديد ، وتنفيده لهذا رأى الذى ذهب اليه « دى جنجان » ، بل ان ولسن يعنيه بالجملة الماثورة : « بأنه أصبح حكيما بعد وقوع الحوادث » .. ويقول ولسن : « ان دى جنجان عمد بكتابته الى الغض من قيمة هذه الحملة ، قاصدا تأييد حجة التى ذكرها ... الخ !! » •

الجنرال كولنز

وانتا لنضع أمام القارئ رأيا آخر يتفق مع رأى المارشال
ولسن ، ويختلف مع الجنرال « دى جنجان » ، وهو للجنرال كولنز .
قال فيه تحت عنوان : « التدخل فى اليونان — ماله وما عليه » .

بما أن ويثقل قد لعب دورا ، ولعله الدور الرئيسى ، فى وضع
القرار الخطير ، الخاص بارسال المساعدة الى اليونان ، أو على
الأقل لقيامه بتنفيذ هذا القرار ، ثم محاولته الأخذ على عاتقه بتبعة
ما نشأ عنه ، من احداث عاصفة ، قد يبدو من المناسب ازجاء
الحوادث فى هذه المرحلة بقدر ما تسمح به الظروف .

وفى بادىء الأمر هناك نقطتان يقتضى تبيانهما : الأولى هى أن
الموقف كان قد تغير تغيرا كليا فى غضون الفترة التى تخللت وضع
القرار لارسال المساعدة الى اليونان ، ووصول المساعدة اليها ،
والنقطة الثانية أنه يجب الفصل التام بين الاعتبارات التى توافرت
عند وضع القرارات ، والمزايا والمضار التى نجمت عن اتباع الوسيلة
التي اتخذت ، فان هذه المزايا والمضار لم تظهر الا فى مرحلة
متأخرة . فان المعضلة هى فى معرفة مبلغ ما كان يعلمه ويثقل
عن — أعدائه وحلفائه — وما كان موقفه الشخصى حينذاك ؟ .

فمن وجهة نظر الجندى المحترف يوجد سيلان لتناول هذه
المسألة الشائكة : السياسى ، ويجوز تسميته أيضا الأخلاقى ،
والعسكرى . وقد يرى الرجل السياسى أن هذين الأمرين ممتزجان

امتزاجا لا انفصال له ، ولكن القائد العسكرى فى الميدان ، وما يضطلع به من مسئوليات لا تقتصر على نجاح العمليات الحربية فحسب ، بل والحرص أيضا على أرواح الجنود الذين هم تحت قيادته ، يميل الى رؤية الموضوع من زاوية مختلفة عن نظرة الرجل السياسى •

لقد وجه الانتقاد الى ويثل لاذعانه للاقتراح المبدئى بارسال المساعدة الى اليونان • وقيل انه رأى المشكلة من وجهتها الأخلاقية والسياسية ، أكثر من الوجهة العسكرية ، التى هى ، فى الواقع ، الوجهة الوحيدة التى تخصه : وانه ألقى بجماع تفكيره فى كفة الفريق القائل بالتدخل • وهذا انتقاد يبدو بعيدا عن الانصاف ، فان المسألة لم تعرض عليه بهذه الصورة • ان وزارة الحرب قررت التدخل ، وكانت اليونان قد طلبت المساعدة ، وكان بالامكان ارسالها الى اليونان — مع ما يستتبع ذلك من مخاطرة كبرى ، فقررت وزارة الحرب ، بعد استشارة رؤساء أركان الحرب ، الاقدام على هذه المخاطرة • ثم عرض القرار على كل من القواد الثلاثة فى الشرق الأوسط ، وطلب اليهم انجاز المشروع • ووكل الى ويثل أن يضع خطته ، بمساعدة الأميرال كاننجهام — اذ بدون الأسطول لا يستطيع الوصول الى اليونان — ومساعدة المرشال الجوى لونجمور — اذ بدون المساعدة الجوية ، لن يكون من الممكن القيام بالعمليات البحرية والبرية •

والتعليمات التى أعطيت لويشل لم تكن ميسورة التنفيذ ، فقد كان واجبه الأساسى : تأمين قاعدة الشرق الأوسط • وهذا يستلزم منه الاحتفاظ بقوة عسكرية قوية فى برقة لضمان سلامة جنبه الأيسر ، حينما يواجه مهمته فى الشمال ، عبر البحر الأبيض المتوسط ، وعليه فى الوقت ذاته أن يرسل الحد الأعلى من القوة التى يستطيع الاستغناء عنها ، الى اليونان • ونظرا للضعف الشامل فى قواته من كل النواحي ، وخصوصا فى المدرعات ، كان الصراع فى تهيئة المهمتين أمرا لا مفر منه •

فانه فيما يتعلق بالبحر ، كان المرجح أن تستطيع البحرية ضمان سلامة القوافل التى تحمل قوة التجريدة الى بلاد اليونان ، وأن تحافظ عليها هناك • ولكن خطر الغارات الجوية فى المياه الضيقة جعل « سالونيك » غير صالحة لتكون القاعدة ، بل واستخدام بيرايوس كان محفوفا بالخطر • ونظرا لقدرة الأسطول الايطالى على التداخل ^(١) ، فيصبح الخطر جسيما ، واذا تقرر تنفيذ هذه العملية ، فقد يقتضى سحب جميع السفن الطافية فوق سطح الماء فى وسط البحر الأبيض المتوسط ، وهذا يسمح لدول المحور بالحرية فى استعمال الطريق البحرى ، بين صقلية وطرابلس الغرب ، بدون أن تتعرض لأى خطر ، غير خطر الغواصات • وهذا العامل يدفع بعدم الاقدام على الذهاب الى اليونان ، اذ أنه يزيد خطر

(١) يجب ألا يغيب عن النظر أن معركة ماتابان لم تقع الا فى

الهجوم على شمال أفريقيا • وهذا يجعل العمل على توسيع القاعدة في خليج سودا جزءا هاما من هذه العملية ، نظرا لما يتضمنه من الدفاعات الاضافية : أرضا وجوا •

وفيما يتعلق بالجو ، فان السلاح الجوى الملكى كان يسدى للجيش اليونانى فى ألبانيا مساعدات يقصر دونها التقدير • وبسبب تحرك السلاح الجوى الألمانى جنوبا ، وكون مالطة — وهى من مسئوليات القائد العام الجوى فى الشرق الأوسط — واقعة تحت الهجوم الجوى المستمر ، فلم يكن فى طاقة السلاح الجوى الملكى تقديم المساعدة المجدية ، لكل من اليونان ، وشمال أفريقيا ، فى وقت واحد • وهناك عائق آخر خطير الشأن للعمليات الجوية فى اليونان ، وهو قلة ميادين الطيران ، فان المناطق المنبسطة القليلة العدد فى هذه البلاد الجبلية ، تبقى مشبعة بماء المطر حتى نهاية الشطر الأكبر من شهر مايو •

العوامل العسكرية

ويمكن اجمال العوامل العسكرية فيما يأتى :

١ — أن حساب الزمن والمسافة يدل على أن الجيوش الألمانية التى تحتشد آنئذ فى بلغاريا لها مميزات بارزة على قوات الحلفاء فى السباق الى اليونان ، وفتح وتشكيل القوات فيها ، وعلى الأخص بسبب احتمال ابتداء هذا السباق فى أى لحظة •

٢ — كان من الصعب جدا تقدير القوات الألمانية المحتمل

اعدادها ، والتي ستواجه هذه الحملة ، اذ أن هذا يتوقف أولا على عدد الفرق التي تستطيع السلطات العسكرية الألمانية اعاشتها في جنوب الممرات بمقدونيا ، وثانيا على ماستقوم به الجيوش اليونانية واليوغوسلافية ، وهذه كانت عوامل مجهولة • ولكن ويشل ، كان على يقين ، بأن قوات الأعداء ستكون متفوقة على القوات التي يستطيع اعدادها ، مهما كان عددها •

٣ — لقد كان الموقف في يوغوسلافيا معقدا وغامضا • وحكومتها ، مع أنها ليست ذات ميل فعلى للألمان ، كانت ضعيفة ، وموقفها تجاه الألمان غير موثوق به ؛ لقد أبدت توكيدات متكررة — كما هي الحال في الجيش التركي — بأن الجيش اليوغوسلافي قد تمت تعبئته ^(١) • فاذا هو انضم الى جانب الحلفاء فيكون تأثير الحملة عظيما ، واذا لم ينضم اليها ، ستكون بدهاة نتيجة العملية كلها الاخفاق الذريع •

٤ — لقد حارب الجيش اليوناني حربا مجيدة ضد الطليان في ألبانيا • ولكن لم يكن معروفا مدى قدرته ، أو ارادته على التعاون مع البريطانيين ، في حالة وقوع الغزو الألماني • كما أنه لم يكن معروفا ما اذا كان سيصمد في مقاومته للقوات العسكرية الألمانية ، كما صمد للطليان ، اذ يكون حينذاك يقاتل في جبهتين في

(١) لقد ظهر أن هذا القول كان بعيدا عن الصدق ، ولم يبدأ الجيش بالتعبئة الا عقب الانقلاب السياسي ، والانقلاب جاء بعد فوات الوقت المناسب •

آن واحد : الجبهة الجنوبية ، والجبهة الغربية ، وان أى فشل يقع فى احدى الجبهتين ، يؤثر على الأخرى •

٥ — وان التدخل فى اليونان سيضطر ويقل الى شطر قواته ، رغم كفايتها ، الى شطرين ، والشرطان لا يكونان فى نطاق يهيم لأحدهما مساعدة الشطر الآخر ، كما سيكون من المستحيل على الأرجح تقديم المساعدة لأى جانب منهما فى الوقت المناسب . حيث ان الاحتياطى المركزى — لو أتيح اعداده — يجب أن يكون مقره بمصر •

٦ — كانت احدى فرقه المدرعة بدون دبابات ، وكانت الفرقة الأخرى ضعيفة ، قليلة التجارب ، وسلاحها ردىء • فان احتمال شطر الفرقة الأخيرة اجباريا الى شطرين ، يكون عملا غير سليم من الوجهة التكتيكية •

٧ — ومع أنه فى استطاعته ، العثور على قائد كفء مجرب بدون عناء ، ولكن اعداد هيئة من أركان الحرب ، ورجال الاشارة ، لانشاء رياسة جديدة ، سيكون أمرا عسيرا ، ولن تكون كفايته عالية •

٨ — وأما الوجهة الادارية لهذه العملية فهى تعج بالمصاعب ، حتى انه لو وضعت خطة للعملية الحربية ، سوف يظهر أن حل هذه الصعاب غير متاح قط ، فى نطاق الزمن المتيسر •

٩ — وأخيرا ستظل على كاهله مسئوليته الأساسية وهى

تأمين قاعدة الشرق الأوسط . لقد جعلت رئاسة هيئة أركان الحرب بلندن هذه المهمة أولى واجباته ، برغم أن التعليمات التي صدرت اليه تلزمه بأن يكتفى « بالحد الأدنى من القوة » اذ أنه ازاء المعلومات غير الكافية عن قوة المحور بشمال أفريقيا ، لا يكون من السهل تقدير ما ينبغي أن يكون عليه « الحد الأدنى » .

العوامل السياسية

ويمكن القول اجمالا بأن هذه هي المشكلة التي واجهت ويثقل ، وترتب عليها أن يقرر ما الذي يجب عليه عمله بشأنها ، بعد استشارة القائد العام لكل من القوتين البحرية والجوية . فان اشتغال بال كل من الأميرال كاتنجهام ، والماريشال الجوى لونجمور في شأن مالطة ، جعلهما ينعمان النظر في الأخطار التي تكتنف الحملة ، ويترددان في مباشرتها أكثر من ويثقل ، ولم تخف هذه الأخطار عن ادراكه . وكان الأمل العظيم يحدو ويثقل بأن قرار الحكومة البريطانية القاضي بمساعدة اليونان يحتمل أن يدفع حكومة يوغوسلافيا الى أن تنضم الى جانب الحلفاء . وكان من رآيه أن الأمل في اكتساب هذه المساعدة ، يستحق القيام بهذه المغامرة . ولم تتبين الحقيقة ، بأن يوغوسلافيا — رغم ضخامة مظهرها — لم تكن سوى قناة محطمة ، الا في وقت متأخر جدا . وتتوارد الى العقل أسئلة كثيرة منها : اذا قسم ويثقل موارد الضئيلة ، هل يحتمل أن تكون قوية بدرجة كافية في كلا المسرحين ؟ . ولو أنه استبقى قوة كافية لمكافحة سائر الأخطار المحتملة بأفريقيا

— وهى مسئولته الرئيسية — هل يكفى الباقى للنزول الى
بر القارة الأوروبية وأن يقاتل قتالا معقولا ضد القوات الحربية
الألمانية ؟ ولو فعل ذلك ، هل يعتبر أنه أطاع بولاء التعليمات
الصادرة اليه ، بأن يرسل « الحد الأعلى » من القوة الى اليونان ؟
أو هل لديه مايسوغ الرد على وزارة الحرب ، بأن الواجب
المزدوج سيكون فوق استطاعته الاضطلاع به ، وانه يلتمس اعادة
النظر فى المشروع ؟ *

وأما التساؤل عما لو اتحد هؤلاء الرؤساء الثلاثة البواسل
منذ البداية ، فى احتجاج قوى مشترك ، هل كانت وزارة الحرب
تقبل اعادة النظر فيما قررته ؟ — فسيظل الجواب على هذا
السؤال فى حيز التخمين . وحسبنا أن نقول ان هؤلاء الرؤساء
تحت زعامة ويثل ، قد أجابوا الوزارة بأن من المحتمل القيام
بدفاع ناجح ، وان قرارهم هذا يحدوه الأمل المعقول .

ويجب ألا يغيب عن البال أن هذه العملية المحفوفة بالخطر
من أصلها ، لم تتخذ شكلها المشئوم الا بعد ذلك التاريخ بأسابيع
عديدة . وكانت الخطة التى تم الاتفاق عليها فى مؤتمر أثينا
فى نهاية فبراير ، هى أنه لو غزا الألمان بلاد اليونان ، فان القوات
اليونانية والبريطانية المشتركة تدخل القتال عند « خط الياكمون »
وأما العمليات التى تجرى أمام هذا الخط ، فسوف تقتصر على
التثبيت « أى عمليات الاعاقة » فقط . ان هذه الخطة تعنى ،

بالكلام الواضح المكشوف ، انسحاب جيش مقدونيا الى هذا الخط ، واعادة تسوية الجبهة الألبانية . وفي الواقع لم يعمل شيء على الاطلاق ، حتى يمكن القول ، بأن أساس الخطة قد انهار وتلاشى ، في الوقت الذي كان فيه الجزء الأول من القوة البريطانية بمصر ، يركب السفن ، وعلى وشك الابعار الى اليونان ولم يقف أحد على هذه الحقيقة ، الا بعد وصول المستر ايدن والجنرال « دل » الى أثينا ، وهما في طريقهما الى انجلترا . وقد استدعى ويثل فورا للمناقشة في الموضوع ، فالفى نفسه تجاه موقف ميؤوس منه تقريبا . وانه بالنظر الى كون قوة الحملة ابتدأت في ركوب السفن للسفر الى اليونان ، ونظرا للوعد الذي أعطى لليونان باسداء المساعدة اليهم ، قرر ويثل أنه ليس له الحق في أن يقترح على وزارة الحرب بأن تتحلل من وعدها : ولقد كان هذا فحوى البلاغ الذي رفعه الى الوزارة .

قلما يقع لأي حكومة أو لمستشاريها العسكريين أن يجدوا أنفسهم في مأزق كهذا . فانه فضلا عن الصعاب التي يمكن تقريبا تخطيطها ابتغاء عكس الخطة العسكرية ، والتراجع الى الخلف ، في ساعة متأخرة ، فان التأثير السياسي لهذا العمل سيكون سيئا الى أقصى حد ، في العالم كله . فقد تقرر في النهاية ألا يكون ثمة رجوع الى الوراء على الاطلاق ، فقد قضى الأمر . فان القوات البريطانية ستبذل أقصى جهدها مهما كانت النتيجة ، وكان هذا القرار معقولا في الظروف القائمة . ولكن الوجهة الأخلاقية للمشكلة قد أخذت تطفئ ، أو على الأقل ، أخذت تخمل الوجهة العسكرية .

أما التساؤل بعد وقوع الأزمة الثانية ، هل يكون ويثقل محقا لو أنه أوصى بارجاع الحملة بسبب تكاثر الأخطار العسكرية ؟ فان هذا سؤال لا يزال معلقا (أى قابلا للاخذ والرد) ، ولم يحن الوقت لابتداء رأى فيه جدير بالاهتمام ، حيث ان الحقائق المتعلقة به غير متوافرة بعد •

ولعله من الانصاف القول بأن ويثقل — بما له من سعة النظر وقوة الادراك فى الشؤون السياسية ، اذا لم نقل الدولية ، هذا اذا لم نذكر تجاربه « السياسية العسكرية » — يميل بفطرته أكثر من معظم العسكريين ، الى تعليق الأهمية الكبرى على الواجهات السياسية للموقف • ولعل ولاءه الفطرى لرؤسائه كان أثره عميقا فى نفسه منذ البداية ، فهو يميل الى تنفيذ الأوامر الصادرة اليه دون أن يسأل لها تعليلا أو تفسيراً •••

ولهذه الأزمة ، من وجهة نظر ويثقل ، بيئة (أرض خلفية) مسلية ؛ فان من قرأ سيرته قد يذكر تدريبه الأول « بكلية أركان الحرب » : هنا علمه « الفيلد مارشال السير هنرى ولسن » بأن يلمح الجانب السياسى للمشاكل العسكرية باعتناء كبير ، بينما « الفيلد مارشال سير وليم روبرتسون » ناشده أن يترك الواجهة السياسية وشأنها بصورة قاطعة • وهكذا ترى أن هناك مدرستين للرأى ، حتى فى الجيش نفسه •

ولعل من المناسب اقحام رأى أولئك الأفراد الذين كانوا

حينذاك في أنسب موقف للحكم على الأمور ، وقد اجتمعت آراؤهم على أمر واحد . فالمستر ايدن — وقد رأى بوضوح من جانبه صحة الحجة السياسية — لم يخالجه غير رأى واحد لم يعتوره فيه أى شك ، وهو تقديم المساعدة ، وأن تكون على نطاق واسع . ولكنه في مواجهة هذه الأزمة المتعلقة بشئون الشرق الأوسط ، رأى بالاشتراك مع : الجنرال دل ، وويشل ، أن من المستحسن استطلاع رأى الفيلد مارشال سمطس شخصيا في الموضوع ، فأرسلوا اليه برقية بأن يحضر الى القاهرة ليقابلهم لدى رجوعهم اليها من أثينا . فوصل الى القاهرة في الأسبوع الأول من شهر مارس . ولعله لايسع غير أفراد قلائل من الناس النظر الى الموضوع نظرة شاملة من وجهتيه السياسية والعسكرية معا كالمحارب القديم الفيلد مارشال سمطس . وقد وصفه ويشل ذات مرة بأنه : « من أعظم وأحكم الأحياء من الرجال » . فكان من بواعث الطمأنينة لويشل والمستر ايدن أن سمطس أيد التدخل واسداء المساعدة ، بحماسة بالغة . كما أنه عزز رأيه ، بأن وعد بتقديم كل ما يستطيع « الاتحاد » (أى اتحاد جنوب افريقيا) تقديمه لمساعدة ويشل في معالجة الأزمة .

معركة روسيا

وهناك وجهات نظر أخرى لهذه المسألة الشائكة ، ولكن معظمها من نوع « الحكمة التى تظهر بعد وقوع الواقعة » . فان تأخر هتلر الخطير في بدء الهجوم على روسيا — وهى العملية

التي أطلق عليها الاسم الشفري «برباروسا» — كان يعزى ، غالبا الى القتال العنيف والخسائر الجسيمة ، التي منيت بها الجيوش الألمانية في اليونان ، وقد كان مدى هذا التأخر نحو أسبوعين ، وهذا أقل تقدير ، وقد قدره آخرون بستة أسابيع ، فان أيّد التاريخ التقدير الأخير فيمكن القول بأن التدخل في اليونان قد أنقذ روسيا ، وساعدها ماديا ، على اكتساب النصر في الحرب .

ويوجد ما يبعث على الاعتقاد بأن الألمان كانوا معتمدين على أن الجيش اليوغوسلافي ، لن يقف ضدهم . ولما وقع الانقلاب السياسي في بلغراد ، اضطرت هيئة أركان الحرب الألمانية الى أن تغير خططها تغييرا تاما ، فحولت اتجاه نحو ١٢ فرقة من روسيا الى أوروبا الجنوبية . وكان من نتائج ذلك أنها اضطرت الى أن توزع ما يقرب من نصف قوات البانزر بأوروبا ، وأن توجهها على اليونان ويوغوسلافيا . وكان عددها فوق ما يتناسب مع أى نتيجة قد تعود عليهم ، لو أحرزوا نصرا كاملا ، في مثل هذا الميدان الثانوى غير الملائم . أضف الى هذا أن الجيش اليوغوسلافي لو تمت تعبئته وحارب ، لكان في حيز الامكان ألا تبدأ الحملة الروسية في عام ١٩٤١ . لقد سبقت الإشارة الى الخسائر التي تكبدها « الفيلق الألماني المحمول جوا » ، وأما المغامرات في شمال أفريقيا فتشبه القرحة التي تنكأ باستمرار . فانها استنفذت القوة الألمانية من الرجال والعتاد ، وانتهت نهاية مشؤومة بعد سنتين ، يتسلم ربع مليون من جنودها في تونس . ويمكن أن يعزى

الى لفتتنا الباسلة الخالية من الأثرة ومحبة الذات (أى التدخل باليونان) ، مابدا من تأثير فى رأى العام الأمريكى ، حتى أمدّونا بالمساعدة بوجه السرعة وبالكميات الوفيرة منها • وأخيرا ••• كان للكارثة التى وقعت فى اليونان تأثير غير مباشر على العراق ، حيث أخفق الانقلاب السياسى الذى دبره رشيد على الكيلانى •

فاذا أرجعنا النظر الى الوراء ، لبدا لنا أن الشروع فى ذلك الوقت بحملة فى أوروبا بقوات غير كافية ، ومعدات لم تكن من النوع الجيد ، وقاعدتها تبعد مسافة ٦٠٠ ميل فى الجنوب الشرقى ، ومواصلتها البحرية معرضة لخطر هجوم القوات الجوية المتفوقة عليها ، ولخطر أسطول سريع قوى — فان الاقدام على مثل هذه الحملة ، يبدو وكأنه نوعا من الجنون ، من الوجهة العسكرية البحتة • وكان يترتب على هذه القوة أن تواجه حتما ، بمفردها ، وبدون أى مساعدة ، كما حصل فعلا ، قوة ألمانيا العسكرية الشديدة البأس • فلو فكرنا فى التحضيرات التى وجدت ضرورية ، والقوات التى استخدمت بعد هذا الحدث بثلاث سنوات لمباشرة واجب مماثل جرى عبر القناة الانكليزية ، لاتضح لنا عظم المخاطرة ، ومقدار المغامرة التى اتخذت لمساعدة اليونان •

قال بعضهم انه نظرا للأخطار ، كان ينبغى أن يكون التدخل فى صورة غارة كبرى ، وأن تكون القوة مسلحة بالأسلحة الخفيفة ، وأن لا تأخذ معها غير نسبة قليلة من مدفعتها وعرباتها • ولكن مادامت الخطة المتفق عليها تقضى بفتح القوة فى مدى ٢٠٠ ميل

تقريبا في داخل البلاد ، بعد ميناء النزول الى البر ، فان هذه الحجة تبدو غير منطقية . ولو أن ويقل اكتفى بقوة اغارة لكانت اليونان قد اتهمته بالتقاعس عن الوفاء بوعده ، وهو تقديم المساعدة لهم . وما كان هذا العمل ليسمو بروح الجنود المعنوية ، بعد أن ركبوا البحر ، وهم على علم بأنهم مقبلون على مغامرة يائسة . وهناك شيء يجب أن يذكر بشأن الترتيبات الادارية كالمعدات وتدابير المستشفيات ، وقد أجريت على نطاق فيه كثير من الاسراف . ولكن الوقت كان ضيقا وتخفيض المرتبات العادية فيه خطر ، ويتطلب الوقت الكثير لتسويته .

وقفة ويقل

ونجمل ما تقدم بقولنا : ان الرأي الأول كان لويقل ، وأيده الأميرال كانجهام ، والمارشال الجوى لونجمور ، وقام بتنفيذ الأوامر التي صدرت له . انه لم ير سببا لعدم تنفيذه هذه الأوامر ، كما أنه لم يفكر قط في طلب ما هو مباح للقائد — في الحالات الشديدة الحرج — وهو اعفاؤه واناطة العمل بقائد غيره . وانه لم يعتبر هذه العملية شديدة الخطر بدرجة لامسوغ لها ، أو أن أساسها غير سليم ، ولا تهيم لرجاله الفرصة لأن يقاتلوا قتالا متكافئا . وقد أرسل « الحد الأعلى » من القوة التي وجد من الممكن ارسالها . وأما اخفاقها بعد الجهود الباسلة التي بذلتها للحصول على نتيجة مرضية جينذاك ، فهي مسألة تتجاوز الموضوع . وأما أن الانسحاب من اليونان قد أدى الى كارثة كريت ، ومن ثم الى

كوارث وخسائر تكبدناها في البر وفي البحر ، وهو أمر يؤسف له
أشد الأسف • وكان يحتمل ، أو لا يحتمل ، التنبؤ به • ان هذه
كلها •• جزء من الثمن الذي كان يجب أدائه في سبيل قرار عظيم
تم وضعه في شجاعة ، تحقيقا لغرض سام •

وأخيرا لا يحيد المرء عن الموضوع اذا تحدث عن الاجهاد
الذي تلقى هذه العمليات على كاهل القواد المسؤولين •• فانه لن
يبرح خاطرهم ، وهم يقدرّون العمليات وما سيكون « لها »
أو « عليها » ، أمر الرجال الذين سيموتون ، في البحر ، وفي البر ،
وفي الجو ، وأولئك الذين سيقعون أسرى في أيدي العدو ، وهذا
مصير قد يكون أشد من الموت اذا وقع الجندي في أيدي الألمان •
والقواد هم المسؤولون ، شخصا ، عن حياة جنودهم ، وان عليهم
أن يهيئوا لجنودهم الفرص المتكافئة في القتال • فالقائد الذي
يقصر من هذه الناحية لا يأمل أن تدوم ثقة الجنود به وقتا طويلا •
ولم يشترك من السلاح الجوى الملكي غير قوات صغيرة •
وخسائر البحرية في الرجال والسفن ، مع أنها مفجعة — بل وأصبحت
قبيل نهاية معركة كريت ، خطيرة جدا — الا أنها مع ذلك لم تصل
الى درجة ما تكبدته القوات البرية • في أثناء العمليات الحربية
في اليونان وفي كريت كان أثقل عبء واقعا على كاهل ويقل •
فانه كان مسئولا عن أرواح ٥٠.٠٠٠ الى ١٠٠.٠٠٠ رجل • انه
ليس من الرجال الذين يعلنون عما في قلوبهم من ألم وأسى ، ولم
يكن من السهل ، حتى لأخصائه ، أن يعرفوا مدى تأثيره شخصا •

على أنه رفع الستار مرة واحدة فقط في خطابه الشخصى الذى وجهه الى الضباط ، وقواد الوحدات التى خدمت بكريت (وكلهم تقريبا خدموا قبلا باليونان) • لقد كان خطابا عسكريا بسيطا خاليا من عبارات الاشادة بالبطولة ، ولكنك تقرأ بين السطور ما يلقي الضوء على السعير العقلى الذى كان يتقلب فى أهواله ؛ فان الكوارث التى مرت فى خلال الأسابيع العشرة المشؤومة لم تستطع زعزعة ثقة جنوده به ، وهذا أكرم ثناء يناله ويقل بوصفه قائد رجال • واننا لنثبت هذا الخطاب بنصه فيما يلى :

أمر يومى

الى : قواد التشكيلات والوحدات التى خدمت بكريت

« أود تبليغ الآتى الى الجنود الذين عادوا من كريت •
انى أقدم لكم الشكر لشجاعتم ، وصبركم الجميل ، فى محاولتكم الدفاع عن جزيرة كريت • انى لجد عليكم بالمصاعب التى قامت فى سبيل نهوضكم بهذا الواجب ، ولعله قد بدا لعدد كبير منكم ، أنه قد طلب اليكم القيام بالمستحيل ، وأعلم أن المهمات التى زودتم بها ، والمساعدة التى أسديت لكم ، لم تكن كافية • فانى ، بوصفى القائد العام ، أتقبل على نفسى تبعة ما جرى • لقد قضت الأسباب الاستراتيجية علينا بأن نحفظ بسيطرتنا على جزيرة كريت اذا أمكن اجراء ذلك فى حيز المعقول •

لقد كنت على علم بالصعاب التى ستصادفونها ، والأخطار التى تتعرضون لها ، وقد أرسلت اليكم من المهمات ما قدرت على ارساله وقد غرق منها لسوء الحظ شطر كبير لم يصل اليكم • لقد كنت

أعتمد على بسالتكم ، ومهارتكم فى المحافظة على الجزيرة ، وهذا ما كنتم تفعلونه بلا شك ازاء الهجوم الذى يجرى على ذلك النطاق الذى كنت أتوقعه . ولكن العدو مع هذا كان قادرا على زيادة وطأة الهجوم بأعظم مما كنت أتوقع فى الأرض والجو . وكان على استعداد لتقبل التضحيات على نطاق واسع . وانى اكرر شكرى ، وأؤكد لكم أن تضحياتكم لم تذهب عبثا .

وأنتم تعرفون مبلغ شجاعة رجال البحرية ، ومهارتهم فى العمل على ارجاعكم من كريت ولقد توليت بالنيابة عنكم توجيه رسالة الشكر والامتنان اليهم . انكم لم تشاهدوا السلاح الجوى الملكى الا قليلا ، ويحتمل أن يكون قد تبادر الى أذهانكم بأنه ترككم ، ولكنى أؤكد لكم أنه ، فى ظروفه التى كانت تكتنفها أشد المصاعب ، قد بذل أكثر مما يستطيع من الجهد للنهوض بمساعدتكم ، وتكبد فى سبيل ذلك أفدح الخسائر .

أ.ب. ويقل ، جنرال
قائد عام - الشرق الأوسط

« ليدل هارت »

ولابد لنا ، قبل أن نبلغ بالقارىء نهاية حديث السياسة والاستراتيجية ، أن نستعرض ، رأى الاستراتيجى البريطانى الذائع الصيت : « ليدل هارت » . فانه مهما يختلف الناس فى آرائه ، وابحاثه ، ونظرياته ، فانه يعد من أفقه رجال الفكر العسكرى منذ عهد « كلاوزووتز » الى الآن . وأكثرهم اتجا ، وأعلامهم صوتا ، وأوضحهم أسلوبا ، فى معالجة الموضوعات الاستراتيجية ، والعسكرية ... قال ويقل من مقال نشر فى صحيفة التيمس ، عام ١٩٤٢ : « ان مايكتبه ، « ليدل هارت » منه

للفكر العسكري دائما ، مثير له غالبا ... وانى لا أحيط الا بقدر يسير من عمله الوفير ، فى التاريخ العسكرى » . ومن أقوال رومل فى عام ١٩٤٢ أيضا : « كان فى وسع البريطانيين أن يتجنبوا الشطر الأكبر من هزائمهم ، لو أنهم أعاروا نظريات « ليدل هارت » الحديثة ، عناية كافية » .

لقد أصدر « ليدل هارت » مؤلفا حديثا فى منتصف هذا العام أسماه : « الدفاع عن الغرب » ضمنه ، كعاداته ، نظريات جديدة ، وحلولا لمسائل عديدة ... وعقد فصلا ، بحث فيه ، هذا السؤال :

« هل كان فى مقدور البريطانيين تطهير « شمال أفريقيا » فى أوائل عام ١٩٤١ ؟ » ثم راح يقول : « ان فى فبراير سنة ١٩٤١ ، كان الطريق الى طرابلس مفتوحا أمام البريطانيين ، بعد أن قضوا على القلول الباقية من جيش المارشال جرازيانى ... اذ لم يكن بطرابلس غير فئة قليلة من الجنود ، ولم يكن قد نزل بعد بأفريقيا جنود من الألمان » .

« ولكن فى ابان هذه الفرصة السانحة ، قد صدر أمر الحكومة البريطانية بوقف التقدم ... لماذا ؟ ... لأن المستر تشرشل ، والمستر ايدن ، أرادا أن يرسلوا جيشا الى اليونان ، ليسبقا تحركات القوات الألمانية هناك ، حتى ولو كان الأمر يقضى بايقاف التقدم صوب طرابلس ... والنتيجة ... ان هذا الجيش الذى أرسل الى اليونان قد طرد منها ... بعد أن أفلتت منا الفرصة فى أفريقيا » .

ثم أخذ « ليدل هارت » في تحليل البواعث ، والنتائج ، وتحقيق
التبعات فقال :

« لقد كان افتتاحان المستر تشرشل بمسرح « البلقان » قديم العهد ،
مذ تخيل في الحرب العالمية الأولى ، مغامرة « الدردنيل » الجريئة ،
المشئومة الطالع . وقد ألهب خياله الآن ، صمود اليونان في وجه
« موسولينى » وتشبع بفكرة توجيه صفقة لهتلر ، بتدخله في
اليونان . على أن تحمس المستر تشرشل قد طغى على الامكانيات
العملية ، فلم يعبأ كثيراً بما لديه من الموارد المحدودة ، اذا ما قورنت
بموارد هتلر » ...

أما التصريح الذى أذيع على الجمهور البريطانى بعد الاخفاق
الذى يقول : « بأننا أقدمنا على هذه المغامرة استجابة لنداء اليونان
الملح ، ولم يكن يسعنا ، بحكم الولاء ، الا أن نلبى ، مهما كلفنا
ذلك » ... فانه بعيد كل البعد عن الحق الصراح .

فالواقع أن الوزارة البريطانية هى التى ألحّت على اليونان كي
تقبل المساعدة وكانت اليونان فى ريب من أمرها .

ولما ألح المستر تشرشل فى تقديم مساعدة لها فى أواسط يناير
تلقى منها مايمثل (الدوش البارد) . فقد رفض الجنرال
ماتكساس رئيس وزراء اليونان ذلك العرض ، وقال : « ان القوات
التي سوف يرسلونها قد تستفز الألمان للقيام بعمل عدوانى ضدنا ،
دون أن تكفل تلك القوة صدهم » . وقد أبدى القائد العام اليونانى
الجنرال باباجوس بأنه يحتاج الى تسع فرق ، بينما الذى عرض

البريطانيون تقديمه على الفور هو : آلايان فقط ، بصفة تأمين ،
ريثما تتبعهما فرقتان أو ثلاث فرق فيما بعد . وكان من رأى
ماتكساس أن من الأصوب للبريطانيين أن يستكملوا انتصارهم
بأفريقيا ، قبل محاولتهم فتح ميدان جديد ، إذ أن تقسيم الجهد
يعد خطأ استراتيجيا ...

ورغم ذلك ، واصلت الحكومة البريطانية إلحاحها على اليونان ،
بأن تقبل التأمين المهيأ ، ولكن « ماتكساس » تشبث بالرفض .
وتقدم تشرشل بالعرض ذاته على تركيا ، فرفضته أيضا للأسباب
نفسها التي حلت اليونان على رفضه . وعلى الرغم من هذه الصدمات
ظل تشرشل يوالى الاهتمام بهذا المشروع .

وصدر في ذات الوقت الاذن باستمرار الزحف في شمال أفريقيا
والاستيلاء على بنغازى بشرط أن تكون الكف زهيدة ، وأن تباشر
هذه العملية دون طلب قوات اضافية . على الرغم من النقص البادى
بالقوات استطاع « أوكونر » أن يحرز نجاحا باهرا يفوق المنتظر .
فقد أرسل الفرقة المدرعة السابعة في رحلة سريعة طولها ١٥٠ ميلا
عبر داخلية الصحراء الى « بدافوم » الواقعة وراء « بنغازى » ،
فسد الطريق الموصل الى طرابلس وفصل ما بين جيش « جرازيانى »
وما بقى منه بعد ذلك . وكان من أمر الطليان بعد محاولتهم شق
طريقهم عبر هذا السد أن استسلموا في ٧ فبراير .

وكان المنتصرون يتحرقون شوقا لمواصلة الزحف الى طرابلس .
وكانت القوات الايطالية الباقية هناك في حالة ذعر شديد ، نظرا
لما حل بالجيش الرئيسى ، وكانت تتوقع قدوم الدبابات البريطانية

في كل لحظة • وتباطؤ هتلر في ارسال فرقة مدرعة بقيادة رومل
لانتقاذهم ، ولم تهبط العناصر الأولى من هذه الفرقة الى البر الا بعد
انقضاء أسبوع •

لقد استعرض أمامى الجنرال « ورليمونت » وجهة نظر القيادة
العليا الألمانية فقال : « اننا لم نستطع حينذاك أن ندرك السبب
لعدم استغلال البريطانيين المصاعب التي تورط فيها الطليان في برقة ،
فيشقون طريقهم الى طرابلس ، اذ لم يكن هناك من يقف في
سبيلهم ؟ » ...

لقد تقدم طلب الاذن بمواصلة الزحف ، ولكن هذا النداء
صادف آذانا صماء • وحدث في صبيحة اليوم التالي للنصر أن
أرسلت الوزارة البريطانية برقية لويثل تأمره بأن يوقف الزحف ،
وأن يستبقى فقط الحد الأدنى من القوة اللازمة لاحتلال المنطقة
التي تم فتحها ، وأن يستعد لارسال أكبر قوة ممكنة الى اليونان •
ثم على حين فجأة أخذت من الجنرال « أوكونر » قوته الجوية كلها ،
ولم يترك له ، غير سرب مقاتل واحد لا غير ! ..

... فما الذي جرى ؟ ...

لقد مات « ماتكساس » فجأة يوم ٢٩ يناير ، فبادر تشرشل
مسرعا في العمل على تنفيذ مشروعه ، وكان من أمر رئيس وزراء
اليونان الجديد أنه أرسل مذكرة الى الحكومة البريطانية يؤيد
فيها المبدأ الذي اتبعه سلفه ، وهي مقاومة الألمان اذا هجموا ،
ويكرر القول بأنه يجب أن لا ترسل قوات بريطانية ، الا اذا هددهم

الهجوم الألماني وذلك بزحف قواتهم عبر الاقليم البلغاري الفاصل بينهما . ان هذه الاعماء الضئيلة من الحكومة اليونانية ، كانت كافية لكي يوقف المستر تشرشل الزحف على طرابلس ... لتحقيق المغامرة باليونان .

وحينما بدأ العمل على سحب القوات من برقة في ٢٢ فبراير ، وصل الى أثينا المستر « ايدن » ومعه طائفة مهيبة المظهر من الضباط العسكريين ، وضغط على رئيس وزراء اليونان بأن يقبل العرض . كان الجنرال « دى جنجان » اذ ذاك ضمن لجنة هيئة أركان الحرب المختصة بوضع الخطط بالقاهرة ، وكان بعد ذلك رئيسا لهيئة أركان الحرب لدى مونتجمري ، وقد دون في مذكراته بيانا عما حدث فقال : « أظن أن المستر « ايدن » هو الشخص الذي أكد وعدّ « الموارد الهائلة » التي كنا على استعداد لارسالها الى اليونان ... فكان ظاهر المعروض جميلا جدا ، ولكن لو أتيح لخير أصيل تحقيق ما عرض حينذاك على اليونان ، تفصيليا ، لكنت في ريب من رضا الحاضرين عنها (أو قبول اليونان لها) » ...

ويقول الجنرال « دى جنجان » : « ان الأرقام التي رصدها (أى عما سيرسل الى اليونان) لم تبد كافية في نظر أحد أفراد حاشية المستر ايدن ، فأمر بتضخيمها الى حد جعلنى في شك من امكان تحقيقها ، وشعرت أن هذا العرض ، بعيد عن الانصاف ، وقريب من الغش ، وقلة الذمة . وأورد ماحدث بعد المؤتمر فقال : « كان ايدن مبتهجا ومشى الى المدفأة فأدقأ يديه ، ثم استدار

ظهره للنار وأخذ يملأ الاشارات البرقية على حاشيته • وقد بدت على الحاشية أيضا مظاهر الجبور ، وكان أفرادها يتبادلون التهاني ، لما أحرزوه من النجاح • ولعل جبور ايدن راجع لنجاحه في مهمته ، وقيامه بما عهد اليه به •

« ... ولكن هل كانت المهمة تستحق ذلك الاهتمام ؟ ، وهل كانت في مصلحتنا الحقيقية ؟ هذه أسئلة بدت لى يعثورها الشك الكثير » •

وكان الألمان على علم تام بنشاط ايدن • وأن زيارته لليونان جرت في صورة تحمل معنى الاستهتار بهتler ، والاستفزاز له • وفي اليوم الأول من مارس تحرك الألمان الى بلغاريا ، وفي السابع منه نزلت الى البر باليونان طلائع قوات الحملة البريطانية بقيادة الجنرال ويلسن • وفي ٦ أبريل غزا الألمان بلاد اليونان وبلاد يوغوسلافيا — وكان قد قام قبل ذلك الجنرال سيموفتش بتشجيع من الوكلاء البريطانيين ، بقلب الحكومة ، ورفض الميثاق الذى عقد مع ألمانيا ، مع التلويح بتحديدها • فكانت النتيجة أنه فى غضون ثلاثة أسابيع فقط اجتاح الألمان اليونان ويوغوسلافيا ، وطردها القوات البريطانية ، مثلما حدث فى « دنكرك » ، تاركة وراءها جميع دباباتها ، ومعظم مهماتها • ثم تبع ذلك ضياع « كريت » • وفى الوقت نفسه ، فاجأ رومل القوات البريطانية القليلة فى برقة وطردها • وكان رومل قد نزل الى البر بقواته فى طرابلس دون أية مقاومة •

ان الكوارث المتصلة التى كانت نتيجة لتصرف « الوزارة
البريطانية » ، قد أدت الى القضاء التام على هبة بريطانيا وآمالها
وجلبت الشقاء المريع الى شعبى اليونان ويوغوسلافيا وأنتجت
بعد الحرب الثمرات المريرة التى ما زال القوم يتذوقون مرارتها
الى اليوم .

وحدث فى السنين التالية أن أخذ المسؤولون عن المقامرة
اليونانية فى تبريرها على أنها قد أنقذت روسيا . ويقولون ان الغزو
الألماني لبلاد اليونان قد أخر الألمان ، عن القيام بغزو بلاد الروس ،
واقضاء الفترة المتاحة لهتلر لتنفيذ خطته قبل حلول فصل الشتاء .
ان هذا القول مشكوك فى صحته . فان التاريخ المؤقت المحدود
للهجوم على روسيا قد تأجل من مايو الى يونيو . وقد صرح
الجنرال « هالدر » رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية بأن الطقس
فى روسيا لم يسمح بمباشرة الهجوم قبل التاريخ الأخير . لقد
بحثت هذه المسألة بالذات مع عدد من القواد الذين كانوا فى جبهة
الهجوم الأمامية ، فأكدوا لى جميعا الحقيقة الواضحة ، وهى أن
الأرض « فى روسيا » لاتجف بالدرجة المناسبة لبدء الهجوم الا فى
منتصف يونيو .

وعلى أى حال كانت مسوغات الاعتذار التى أبدت لا تتفق
والواقع . أن القوات البريطانية قد أرسلت الى اليونان ، ليس
لمواجهة طارئ لم يقع بعد ، بل بقصد ترك وديعة من القوة العسكرية
البريطانية فى البلقان . وان تعليق الجنرال « دى جنجان » فى مذكراته
على الحجة التى ابتكرت بعد الحرب لتبرير المقامرة التى أجريت

ببلاد اليونان ، واف بالغرض الذى تقصده ، فقد قال « ان أسلوب
التبرير هذا يماثل ماعمله أحد البسطاء حين راهن فى سباق الخيل
على حصان لا يقصده ، فشاءت الأقدار أن يربح هذا الجواد فراح
الرجل يتباهى بما أوتى من الحظ والحصافة ، وأخذ يباهى نفسه
قائلا : « ما أحذقنى من فتى ؟! » •

ان التأثير الأساسى لهذه المغامرة كان وقوع الخسائر الثقيلة
فى شمال أفريقيا وصرح الجنرال «دى جنجان» بأن لجنة هيئة أركان
الحرب المشتركة المختصة بوضع الخطط فى الشرق الأوسط كانت
مقتنعة ، بأنه كان فى الامكان الوصول الى طرابلس ، وتطهير
أفريقيا ، قبل ربيع عام ١٩٤١ •

وكان الجنرال أوكونر وهيئة أركان حربه على يقين من ذلك
أيضا • وكان هذا الاحتمال مبنيًا على استخدام « بنغازى » كميناء
لقاعدة أمامية ، واستخدام وسائل النقل التى احتجزت للمغامرة فى
اليونان • ولكن هذه المشروعات جميعها ضاعت سدى •
وقد يجادل المجادلون بأنه لو استوليتا على طرابلس حينذاك
لأمكن الألمان أن ينزلوا الى البر فى تونس وأن يزحفوا منها شرقا
فيطردونا من طرابلس • ان هذا خطر محتمل ، اذ كانت تنقصنا
حينذاك الموارد لامداد قواتنا التى توغلت بعيدا ، كى تستطيع
مواجهة الاقتحام الشديد • ولكن لدينا ما يسوغ التساؤل ، عما
اذا كان ذلك الخطر ، خطيرا حقا • لأن هتلر لم يكن مهتما بأفريقيا ،
ولم يكن على استعداد لارسال قوات كبيرة اليها • لقد كان تفكيره
مركزا على روسيا •

« ورغم أن رؤساء أركان حربه البحريين قد وضعوا له مرارا أهمية البحر الأبيض المتوسط ، وضرورة جعل الاستيلاء على قناة السويس هدفا أساسيا • لكن هتزل لم يلتفت كثيرا لاقتراحاتهم • فانه بالإضافة الى انشغاله بالاستيلاء على بلاد الروس ، كان يدور في نفسه خاطر آخر يجعله يتردد في هدم الامبراطورية البريطانية ؛ وذلك لأنه كان يراها عاملا من عوامل الاستقرار في العالم • ومن الغرابة بمكان أن يظهر تردده في هذا السياق • وحدث في الآونة التي كانت فيها انجلترا قد انحدرت الى الدرك الأدنى من الضعف بعد سقوط فرنسا ، أنه تحدث محادثة خاصة مع قواده العسكريين ، عن ضرورة الابقاء على الامبراطورية البريطانية •

وكان الرؤساء العسكريون لدى هتزل يكرهون — لأسباب عسكرية — تحويل القوات الى أفريقيا ، ويكرهون فكرة ارسال الجنود عبر البحر — اذ كان الخوف من القوات البحرية البريطانية كامنا في قلوبهم ، هذا الى عدم ثقتهم بالطليان — وكان هتزل وقواده يتضجرون لارسال تلك القوة الضئيلة حتى في ذلك الوقت المتأخر ، الى أفريقيا بعد انهيار قوات جرازيانى •

ان تطهير شمال أفريقيا الايطالى في ١٩٤١ كان يهيم مشروعا ذا فوائد جنية ، اذ كان يمهّد لنا الاتصال بشمال أفريقيا الفرنسى ، وكان يشجع القواد العسكريين الفرنسيين على أن يشتركوا معنا في القضية العامة في وقت أقرب مما وقع فعلا • وكان يهيم لنا استخدام طريق الملاحة بالسفن عبر البحر الأبيض المتوسط ، كما كان يخفف عنا عبء ارسال القوات والمؤن حول رأس الرجاء ذلك الطريق

الدائري الطويل الذي استنفد جزءا كبيرا من مواردنا . وأخيرا
بعد اقناع أمريكا بالدخول في الحرب ، يكون من السهل الاسراع
في انشاء الوسائل لغزو أوروبا » .

عود إلى كريت

لعل قرار الاحتفاظ بكريت ، بعد سقوط اليونان ، كان أمرا
مشكوكا في نتائجه ، فقد كان الألمان رابضين في جزر بحر ايجه ،
بسلحهم الجوى المتفوق في قوته للغاية ، على مرمى ميسور من
كريت ، ولم تكن هناك موانئ صالحة ، والصالح منها واقع على
الساحل الشمالى ، ولكى تصل اليها السفن ينبغى أن تمر في مجاز
ضيق حول الشمال الشرقى ، والغربى للجزيرة ، وتصبح لدى
وصولها لقمة سائغة لسلاح الطيران الألمانى . ويضاف الى هذا
قلة المطارات بالجزيرة ، التى تقع فى نطاق المرمى القريب من السلاح
الجوى الألمانى . هذا بجانب قلة المخزون من العتاد والذخيرة .

ولما بدأ الألمان بانزال قواتهم « المحملة بالطائرات » بالجزيرة ،
كانت تتألف حاميتها القليلة الباسلة ، من النيوزيلنديين ، المجاهدين ،
عقب مغامرة اليونان ، وكانوا غير مزودين بما ينبغى من الأسلحة
المعاونة ووسائل الدفاع الجوى ، وجهزت مواقعهم الدفاعية على
عجل ، وكانت معاوتتهم الجوية تفد اليهم من القاعدة فى شمال
أفريقيا . ولكن رغم هذه الظروف الدقيقة ، فقد قاتل الجنود قتالا
مجيدا ، تحت قيادة الجنرال فريبرج ، ضد أكبر هجوم بالجنود
« المحملة بالطائرات » فى تاريخ الحرب كلها ، والذي استخدم

فيه الألمان صفوة جنودهم ، وخيرة طياريهم ... فكبدوهم خسائر جسيمة ، ودفعوا ثمنا غاليا لنجاحهم في هذه المعركة .

وسيطر الألمان ، بعد الاستيلاء على كريت ، على شرق البحر الأبيض المتوسط ، وساعدتهم ذلك الموقع على توجيه الهجوم الجوى على الأهداف في مصر ، وشمال أفريقيا . قد استغل الألمان هذه الجزيرة ولكن استيلاءهم عليها لم تكن له أهمية حيوية لهم . وان كانت في الواقع ذات أهمية عظمى للحلفاء . ولكن الحلفاء لم يعنوا بأمر الدفاع عنها ، مع أنه قد سمح لهم بانزال الجنود فيها قبلا في ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

ويقول دى جنجان : « ان سياسة الدفاع لم يكن لها من يدفع بها الى الأمام ، بسبب كثرة تغير القواد في الجزيرة ، وعدم درس وسائل الدفاع عن الجزيرة ، بطريقة وافية ، وبدرجة عالية ، فقد كان كل قائد يرى في وسائل سلفه خطأ ، يبعثه على تغييرها .

» ومع هذا فقد كان الدفاع عن هذه الجزيرة يتطلب موارد كبيرة . ولو كان الألمان في مثل موقفنا ، لتصرفوا أفضل منا ، فقد كانت الأيدي العاملة موفورة في الجزيرة ، وكان يمكن لعدد قليل من الخبراء المختصين أن تنشئ الطرق ، وتستصلح الموانئ ، وتوسع المرافق الصغيرة التي في الجنوب ، ولو فعلنا ذلك ، لكننا جنبنا هذه الجزيرة ما نزل بها ، ولأتحنا للقوات الباسلة فرصة أفضل في الدفاع عنها » .

والدروس التي نستخلصها باختصار هي :

١ - أن معركة كريت كانت عملية باسلة ، وقد صدمت

القوات الألمانية الجوية ، وبخاصة الجنود المحملة بالطائرات ،
صدمة عنيفة • (ولعل الألمان لم يستخدموا بعد هذه المعركة
قوات محملة بالطائرات على هذا النطاق) •

٢ — الدفاع عن الجزيرة أصبح عسيرا جدا بعد الخروج
من اليونان •

٣ — كان يمكن الدفاع عن الجزيرة بطريقة أمثل لو اتخذت
اجراءات حازمة في أول فرصة • فقد كان يمكن انشاء المطارات
الداخلية ، وكان يمكن استغلال أماكن نزول الطائرات في الساحل
الجنوبي • وكان يمكن تشكيل « حرس أهلى » من الأهالى في
كريت ... كل هذه الاجراءات ... كانت بلا شك تفضى الى
فشل الهجوم الألمانى •

العراق وسوريا

« لم يعد الحياض أمرا ممكنا ، أو مرغوبا
فيه ، حيث يكتنف الخطر : سلام
العالم ، وحریات شعوبه • »
« ودرو ولسن »

معركة العراق

وفي أوائل أبريل سنة ١٩٤١ ، وقع ما كان يحذرهِ ويشل ويخشاه ، فقد اغتصب الحكم في العراق رشيد عالي الكيلاني يؤازره ثلاثة آخرون ، يكملون ما أسموه : بالمربع الذهبي وغادر بغداد الوصي على العرش الى البصرة ، حيث كانت القيادة العامة بالهند قد بادرت بارسال لواء مشاة اليها • فكان وصوله مفاجأة للكيلاني ، فلما علم بأن هناك قوات أخرى في الطريق الى العراق أبدى احتجاجه على ذلك ، وتطور الموقف الى الحد الذي دعا السفير البريطاني هناك الى اجلاء النساء والأطفال الى « الحبانية » ، وفي اليوم نفسه هاجمت قوات رشيد الكيلاني محطة الطيران ، واستولت على هضبة تشرف على ثكنات « الحبانية » وأرض المطار ، وكانت هذه القوة مؤلفة من احدى عشرة كتيبة مشاة وخمسين مدفعا ، واستدعى الأمر ارسال كتيبة محملة بالطائرات فورا من البصرة لتقوية القوة البريطانية التي تبلغ ألف رجل ، وخمس سرايا من الأعراب الموالين لبريطانيا • ولم تقلح الجهود التي بذلها اللواء الهندي الموجود في البصرة للوصول الى بغداد بالنسبة لاغراق الأراضي بالمياه وعمليات التدمير التي أجريت ، وكذلك لمساعدة الطائرات الألمانية التي كانت تأتي من المطارات السورية الخاضعة للفرنسيين •

ونظر ويشل الى القدس ، وقابل الجنرال ولسن ، وأفهمه بأن ينبغي أن يكون أول هدف له فك الحصار عن الحبانية والسفارة

البريطانية في بغداد ، ووضعت لهذا الغرض قوة تحت قيادة الجنرال كلارك تتألف من لواء ميكانيكى ، وبضع آليات مشاة ومدفعية ، وفرقة الحدود الأردنية ، وفرقة العرب من جيش الأمير عبد الله (الملك عبد الله) بقيادة اليرجادر جلوب ، وكان على هذه القوة أن تقطع مسافة قدرها ٥٦٠ ميلا من حيفا الى الحبانية . ولقد تمكنت قوة الطيران البريطانية من القضاء على نشاط الطيران العراقى نهائيا ، وكذلك تمكنت قوة الحبانية من القيام بهجوم مضاد والاستيلاء على المرتفعات التى تشرف على محطة الطيران ، وتراجع العراقيون الى الكوبرى المقام على نهر الفرات عند الفالوجا ...

وفى ١٩ مايو فاجأ البريطانيون قوات العراق ، واستولوا على الكوبرى بعد دخولهم المدينة من الشاطئ الشرقى ، وقد كاد العراقيون أن ينجحوا فى هجومهم المضاد عليهم ، بل قد نجحوا فعلا مبدئيا ، ولكنهم صدوا بخسائر فادحة . وقد علم ، فيما بعد ، أن الهجوم على الفالوجا ، كان من بين المشروعات التكتيكية التى وضعت لمعهد الدراسات للضباط العظام بالعراق وقد أجرى الهجوم ، طبعاً ، وفق الحل المقترح الذى وضعه معلمو هذا المعهد ، ودرسوه قبلاً .

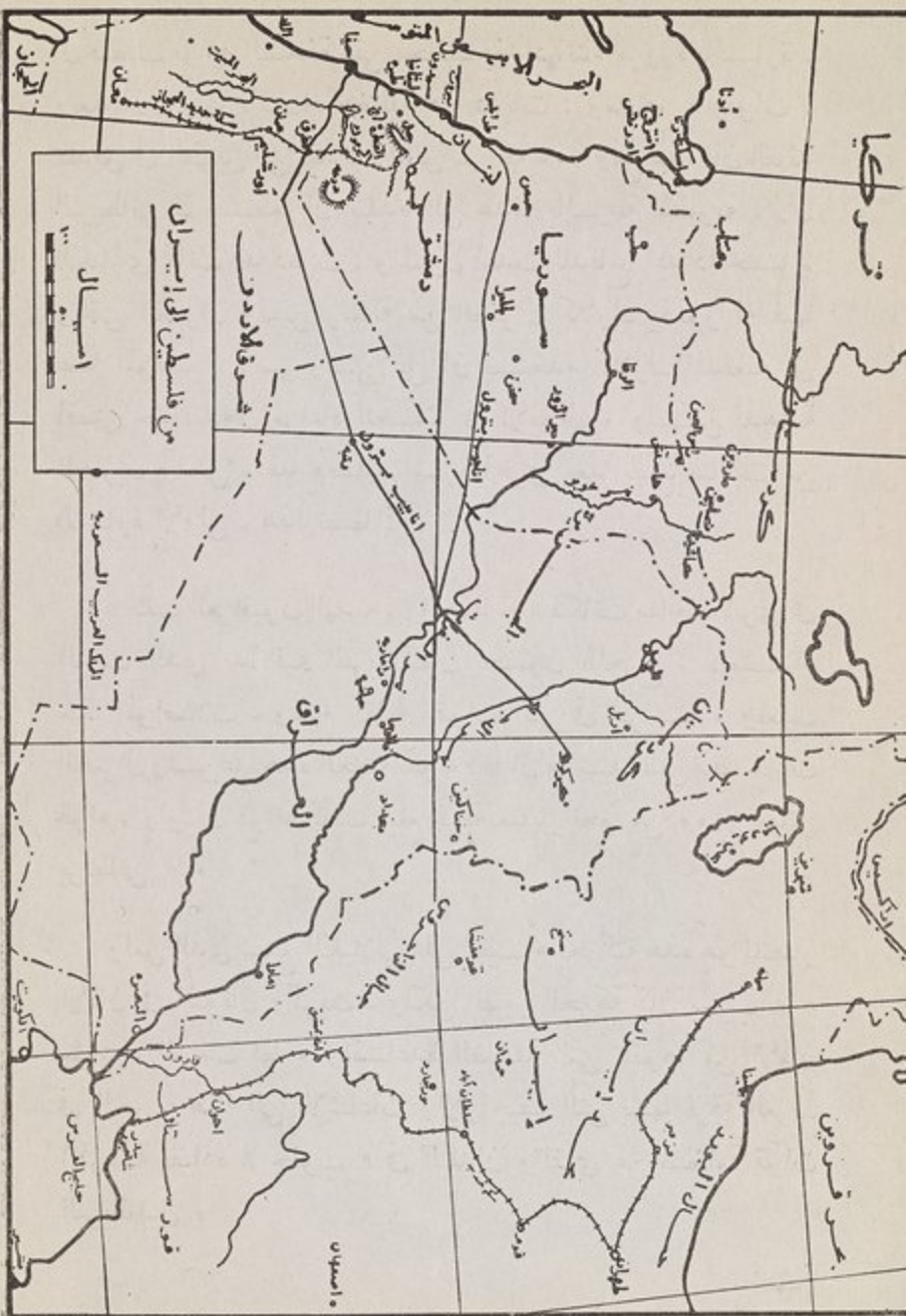
وبعد أن تم بلوغ الهدف الأول ، وهو انقاذ « الحبانية » ، كان مطلوباً المبادرة العاجلة فى فك الحصار عن السفارة ببغداد ، فتقدمت القوات التى خصصت لهذا الغرض ، وكان من حظها

أن قبضت بوجه الصدفة على محافظ بغداد أثناء مروره بالسيارة ، وبعد أن روّع بأنباء مختلفة عن دبابات ، ومدافع ، وقوات ، تتدفق في الطريق الى بغداد ، أطلق سراحه ... ومع هذا فان القائد البريطاني لم يستطع أن يتقدم الى هدفه بالسرعة المطلوبة ، لأن الكبارى كانت قد دمرت ، والمنازل أعدت للدفاع اعدادا حسنا ، وتلقى الجنرال ولسن رسالة من الجنرال كلارك يصور له فيها هذا الموقف ، فأصر ولسن على أن يستخدم كلارك المدفعية الى أقصى حد ، دون مراعاة للخسائر في الأموال . ولكن لدهشة الجنرال ولسن ، قد وصلتته اشارة أخرى بعد بضع ساعات من الاشارة الأولى ، هذا نصها :

« طلب العراقيون الهدنة ، والحمد لله » فكانت مفاجأة كبرى في الوقت الذي بدأ فيه البريطانيون يحسون بالخرج ، لامتداد خط المواصلات ، وعدم كفاية القوات التي في حراسته . ويعقب الجنرال ولسن على هذه الحملة بقوله : « ان «رشيدها» قد خارت قواه ، ولو أن قواته كانت تبلغ فرقة مقابل نحو من ١٤٠٠ مقاتل بريطاني » .

ولعل الذي شجع الكيلاني على القيام بحركته هذه هو انتصار الألمان في اليونان وكريت ، ولكن انهيار الحركة كان بسبب عدم مؤازرة الشعب لها . والمساعدة الضئيلة التي تلقوها من الألمان في الجو ، هذا الى الاشاعات والأراجيف التي بثتها فرقة العرب الأردنية بقيادة « جلوب » في البلدان والقرى عن ضخامة قوات البريطانيين .

ترصيا



تعقيب

ويقول « سيرل فولز » فى كتاب « تاريخ الحرب » الذى
أشرنا اليه :

« ومن طبائع الحرب المعروفة أنها تشوه وجه الشئون
السياسية • وقلما يتاح فى مثل هذه الحالات للمتهم بالعدوان
أن يقوم بدور المتهم البرىء المفترى عليه بروح من الصدق الخالص
الذى لا يقبل الريبة ، كما تستطيع بريطانيا أن تفعل فى الحالة
التى نحن بصدددها • لقد كانت تقف على أرض ثابتة ، وتعمل
بلا ريب ضمن حدود الحقوق التى تمنحها إياها المعاهدة • ولم
يكن الهجوم الألمانى على روسيا اذ ذاك قد ابتدأ — وفى الواقع
كان الاتحاد السوفييتى كما نوهنا قبلا ، قد أنشأ علاقات دبلوماسية
مع حكومة رشيد عالى ، وما كانت هذه العلاقات لتنشأ لو كان
من المتوقع طلب المساعدة من البريطانيين ، فى المستقبل القريب
— على أن وزارة الحرب كانت ترجح كثيرا ، احتمال طلب روسيا
هذه المساعدة • وكان الاعتبار الأول لسلامة آبار الزيت ، وخطوط
الأنابيب ، والاعتبار الثانى العزيمة على منع الألمان من ترسيخ
أقدامهم على الجنب الشرقى لموقع الشرق الأوسط • وقد اتضح
أن الحملة لم تكن محفوفة بالمناصب ، ولا هى باهظة النفقات ،
هذا ولو أن الجالية البريطانية فى بغداد كابدت المشاق والأوقات
الحرجة ، فى احتمائها بالسفارة البريطانية ، ومفوضية الولايات
المتحدة • وقد عاد « الوصى على العرش » ، وكان غائبا طوال

فترة « الانقلاب السياسى » ، وعادت جميع الأمور الى مجراها الطبيعى الهادىء بوجه السرعة .

وهذا بعث الى الوجود مشكلة جديدة . فقد حدث أثناء القتال أن ظهرت طائرات ألمانية وإيطالية فى سوريا وضربت الجبانية بالقنابل ، وقد هوجمت هذه الطائرات بمطارات دمشق ، ورياق ، وتدمر ، التى جعلتها قواعد لعملياتها . وقد أرسل المندوب السامى الفرنسى الجنرال « دتزر » الأسلحة للعراقيين . فقررت بريطانيا على كره منها ، وبعد موافقة الجنرال ديغول ، على أن تدخل سوريا ولبنان بقوة السلاح ، لأنها لم تكن تبغى أن تثير مشاكل جديدة مع حكومة فرنسا القائمة حاليا (أى الخاضعة للألمان) ، لاسيما وأنه كانت تنقصها حينذاك فى قيادة الشرق الأوسط القوات والعتاد بعد الكوارث التى منيت بها فى اليونان وكريت .

معركة سوريا

وفى ليلة ٨/٩ أبريل عبرت القوات البريطانية ، الحدود السورية ، فى طريقها لخوض معركة « ويشل » التاسعة ، فى الشرق الأوسط . وتتلخص خطة الجنرال ولسن ، فى التقدم على جبهة فسيحة ، ففى اليمين كان على اللواء المشاة الخامس الهندى أن يحتل درعه وخط سكة حديد « اليرموك » ، وكان على قوات فرنسا الحرة اجتيازها ، والتقدم الى دمشق . وفى الشمال ، كان على الفرقة السابعة الاسترالية ، التقدم فى قولين ، أحدهما يسير على الطريق الساحلى الى بيروت ، والثانى بعيدا منه ، فى الداخل . وكان هذا خير مايمكن عمله .

وخشى ويشل أن لا يستجيب الفرنسيون التابعون لحكومة فيشى الى نداء زملائهم الأحرار ويصممون على المقاومة ، وفي هذه الحالة تكون قوات « ولسن » غير وافية بالغرض ، لعدم تزويدها بالمدرعات ، ونقص وحدات الإشارة ، والمدفعية ، والنقلات • ولقد جرى على لسان أحد الضباط الفرنسيين وصف ملائم لهذه الحملة حين هتف قائلاً ، وقتما عبرت جنوده الحدود السورية : « يالها من مغامرة ! » •

وقد صادفت القوات الزاحفة نجاحاً مبدئياً ، حين استولت على الكوبرى ، الواقع على الطريق ، عند مضيق « اليرموك » ، سليماً • وسقطت درعه • وفي يوم ١٢ يونيه كانت قوات الفرنسيين الأحرار على مسافة عشرة أميال من دمشق ، واتخذت مقراً لرياستها منزلاً بارزاً في قرية « سنامين » • وذكر الجنرال ولسن أن ياوره عاد تلك الليلة ليصف له هذا المنظر فقال : « ان السيارات المتجمعة حول المنزل ، تبدو كأنها في حفلة عرس ••• أكثر من أنها مركز رياسة في الميدان » • ثم أضاف الجنرال أن نتيجة ذلك ، كانت ضرب هذا المنزل بالقنابل ، وجرح الجنرال الفرنسى « ليچنتيوم » في ذراعه ، واستمر مع هذا يؤدي واجبه في بسالة • واستولى قول الاستراليين المتقدم في الوسط على « مرجعيون » • أما القول الشمالى — بمساعدة قوة « الكوماندوس » التى جاءت من قبرص ، ونزلت خلف الجناح الفرنسى — فاستطاع الوصول الى نهر الليتانى ، وقد تكبدت قوة « الكوماندوس » خسائر جسيمة ، فقد قتل القائد ، وعدد من الضباط ذوى المقدرة والخبرة •

ولقد تبين ، للأسف ، أن قوات فيشى قد عقدت العزم على الاستماتة فى المقاومة ، ولم تفلح الجهود التى بذلت لاغرائهم بالقاء السلاح ، والانضمام الى اخوانهم من بنى وطنهم .. وقد يرجع ذلك الى أنهم أحسوا ضعف القوات التى تواجههم ، فصمموا على الاستبسال فى المقاومة ، وحالفتهم طبيعة أرض صالحة للدفاع ، فأضحى القتال بعد ذلك مريرا ، عسيرا ، فبالقرب من قرية كيسو ، وشمالها ، تجرى سلسلة تلال ، وجدها الفرنسيون الأحرار ، محتلة بقوات فيشى ، ومحصنة بالخنادق ، مما استدعى وقوف تقدمهم ، ولما كانوا على مرمى قريب بعضهم من البعض الآخر ، وبحيث يسمع كل الآخر ، فقد هتفت قوات فيشى الفرنسية ، ضد زملائهم الأحرار من جنود الجنرال ليچنتيوم ، بهتافات عدائية بذية أهونها : « يا خائنى فرنسا ! » .. وبدأت سلسلة هجمات مضادة من قوات فيشى — كانت لها نتائج وخيمة ، فقد وصلت بعض هذه الهجمات ، عن طريق جبل الدروز الى طريق درعه — دمشق ، فقطعت بذلك خط مواصلات قوات فرنسا الحرة ، وحاصرت قوة مدرعة أخرى للعدو ، قوة بريطانية ، وأسرت معظم الكتيبة البريطانية التابعة للواء الهنـدى ، عند قنيطرة ، واستولت قوات أخرى للعدو على مرجعيون .

وفى ١٨ يونيه تحرك اللواء الهنـدى الخامس المشاة ، خلف قول الفرنسيين الأحرار ، وقاموا بهجوم ليلى ، على قرية كيسو ، وأسروا كتيبتين من قوات فيشى ، وقت قيامهما بتبادل الخدمة (الغيار) ، وكانت مدافعهم الآلية كاملة التعمير ، ومحملة فى

سيارات الوحدة • وأدى ذلك الحادث الصغير ، الى الاستيلاء على المرتفعات ، وتراجع الفرنسيون التابعون الى فيشى ، وخفت حدة المقاومة ••• ولكن لدى قيام البريطانيين بالهجوم على دمشق قاتل « الفيشيون » لآخر طلقة ، وآخر رجل ، وسقط جميع المدافعين ما بين قتيل وجريح • وبعد أن زود المهاجمون بكتيبة احتياط استرالية ، غادر المدافعون المدينة • وعين الجنرال ولسن الجنرال « ليچنتيوم » حاكما عسكريا في دمشق ، وبقيت معه قوات فرنسا الحرة بصفة حامية للمدينة •

وكان الهدف الثانى ، بعد الاستيلاء على دمشق ، هو التقدم الى بيروت • فقرر الجنرال ولسن الزحف عليها من الطريق الساحلى ، بعد أن وضعت تحت تصرفه القوات التى كانت فى العراق ، فأصدر الى الفرقة السابعة الاسترالية أمرا بالتقدم عن طريق الساحل ، أما اللواء السادس عشر ، فعليه أن يتقدم من دمشق غربا ، فى اتجاه بيروت • أما الفرقة العاشرة وقائدها الجنرال سليم (فيلد مارشال الآن) فكان عليها أن تتقدم من العراق مصعدة فى اتجاه نهر الفرات ، الى دير الزور ، لتقوم بمهاجمة حلب •

وبينما كانت الفرقة السابعة الاسترالية تستعد للهجوم فى ١٠ يوليه على آخر موقع قبل بيروت ، طلب الجنرال الفرنسى « دتتز » عقد الهدنة ، فوضعت الشروط ، ثم وقع الاتفاق النهائى فى عكا يوم ١٥ يوليه وأصبحت سوريا ، تحتلها قوات الحلفاء • والمعروف أن ويشل قد عارض حكومة لندن ، عندما أمرته

بالتقيام بهذه الحملة ، فكررت عليه الطلب ، حتى استجاب له ،
اذ كان ماهو بسبيله من مهام ، وما يديره من معارك ، أكثر مما
تحتمله موارده . ولعل ما حل في برقة من انتكاس ، وما خلفت له
مغامرة اليونان من كوارث ، جعلته لايقبل في سهولة ، هذه الحملة
بالاضافة الى المعارك التي تدور رحاها تحت اشرافه في الجبهات
الأخرى : أرتيريا ، والحبشة ، وبرقة ، والعراق .

ولقد بلغت الحملة السورية نهايتها الناجحة ، ولم تكن سوريا
وقتئذ تحت قيادة ويقل اذ كان قد نقل الى منصب آخر ، وفي هذا
يقول « ولسن » في كتابه الذي أشرنا اليه : « ترامت الى الأنباء
أن « أرشى ويقل » قد نقل الى منصب القائد العام في الهند ، مكان
الجنرال أوكنلك الذي حل محله في قيادة الشرق الأوسط ...
فكان لذلك وقع مؤلم ، اذ ما كان يتاح للمرء أن يخدم تحت
قيادة قائد عام أفضل منه . اذ بمجرد أن يتلقى المرء مهمته منه
في وضوح وجلاء ، يترك له كامل الحرية لأدائها بطريقته الخاصة ،
واثقا بأنه سوف يجد عنده التعضيد الكامل ، والنصيحة ، والرأى ،
في المسائل الكثيرة التي تنجم عنها ... وكان لكثرة الحملات التي
تقع على عاتقه ، وقتئذ ، لا يستطيع أن يلبي كل مطالبنا المتكاثرة
فيما يختص بالامداد ، والعتاد ، مما كان سببا في أن نظل على ضعف
بين ، في بعض الأحيان . ففي طريقه الى الهند ، (كان هذا ابان
الحملة السورية) هبطت طائرته في الدد كي تتزود بالبنزين ،
وذهبت لألقاه ... لقد كانت لحظة حزينة ، تشبه فض شركة
قديمة ، ورحيل الشريك الأول فيها » .

ولاشك أن حملة سوريا هذه كان لها أبلغ الأثر في الحرب العامة في الشرق الأوسط ، فقد قضت على نشاط الألمان في الجنوب الشرقي ...

وفي أثناء تراجع البريطانيين في الصحراء ، ووقوفهم عند العلمين ، كانت سوريا جناحا استراتيجيا يجب ضمان سلامته .
اذ لو ظل نشاط الألمان فيها لأثر ذلك في معركة العلمين . هذا الى أن وجود قوات الحلفاء فيها قد منح تركيا تعصيذا معنويا قويا .

خلاف وتبرير

تناول تشرشل الخلاف الذي نشأ بين ويثل والحكومة البريطانية بصدد « معركة سوريا » في الجزء الثالث الذي صدر أخيرا من تاريخه عن « الحرب العالمية الثانية » الذي يصدره تباعا فقال :
« في هذه الآونة نشأ سوء تفاهم بين الحكومة بانجلترا والجنرال ويثل ، بسبب ظنه الذي كونه اثر تلقى برقية من رؤساء أركان الحرب ، بأننا نعتمد على نصيحة القادة الفرنسيين الأحرار ، بدلا من أن نعتمد على نصيحته . لذلك أبرق الى رئيس أركان الحرب يقول له : « اذا كان ما تبادر الى ذهنه صحيحا فانه يفضل أن يتخلى عن القيادة لغيره » فسارعت (أى تشرشل) وطمأنته على هذه المسألة ، ولكنى شعرت في الوقت نفسه أنه يجب على أن أوضح له بأننا قد عقدنا النية على موضوع « المغامرة السورية » ، واننا نتحمل كامل المسؤولية لما يترتب عليه ، وان هذا المشروع يكاد لا يعتبر مشروعا عسكريا قط .

من رئيس الوزراء الى الجنرال ويقل :

في ٢١ مايو سنة ١٩٤١

يجب الا يسمح لشيء في سوريا بأن يشغلك في هذه اللحظة عن احراز النصر ، في معركة كريت ، او في الصحراء الغربية ...
ولا مانع من ادماجك بعض الجنود البريطانية مع الجنود الفرنسية الحرة ، التي ستدخل سوريا ، وبما أنك اعربت بوضوح تام بأنك لا تملك الوسائل لتهيئة حملة عسكرية نظامية ، فان كل ما يمكن عمله الآن هو أن تبذل ما في وسعك بذله، لتهيئة الاغارة السياسية المسلحة التي وصفها لك رؤساء أركان الحرب في رسالتهم المؤرخة ٢٠ الجارى .

انك مخطيء في زعمك أن السياسة التي نصت عليها الرسالة ، قد وضعت بناء على توصيات وآراء قادة الفرنسيين الأحرار . فانها قد وضعت بكليتها من وجهة النظر التي اتخذتها هنا الهيئة التي بيدها مقاليد ادارة الحرب والسياسة ، في جميع الميادين . وتقوم نظرتنا على الاعتبار الآتى وهو :

إذا كانت ألمانيا تستطيع أن تستولى على سوريا والعراق ، بوساطة قوات جوية صغيرة ، وبالرجال الذين يدخلون بصفة سائحين (سواح) ، وبما يثرونه من الثورات المحلية ، فيجب علينا أن لا نتعاس عن مباشرة مجازفات عسكرية مثلهم ضيقة النطاق ، وان نتحمل كل الحرج الذي يحتمل ان ينشأ من الأخطار السياسية إذا ما وقع الفشل . اننا نتحمل تبعات هذا القرار كاملة . فإذا آنست من نفسك عدم الرغبة في تنفيذ هذه التدابير ، فاننا سنعمل على اجابة أية رغبة تبديها ، لاعفائك من القيادة ، التي تضطلع بها .

أما اجابة ويقل فقد تضمنت أنه فهم الموضوع تماما ، وقد وضح أن عدم دقة الأنباء التي قدمها الفرنسيون الأحرار عن الموقف في سوريا ، جعلته لا يرغب في التورط في عمل عسكري ، في الوقت

الذى يتطلب منه الموقف في كريت ، والعراق ، والصحراء الغربية ،
كل ما لديه من الموارد .

من الجنرال ويفل الى رئيس الوزراء :

٢٢ مايو سنة ١٩٤١

ان المسألة السورية مقلقة للبال ما دامت القوة الجوية المستقرة
في سورية هي اقرب للقنال والسويس مما قد تكون بمرسى مطروح .
ويبدو أن فرنسيي فيشي واقعون تحت السيطرة الألمانية كلية .
وانى قد شرعت في نقل الامدادات والتقويات الى فلسطين بعد
المشاورة مع « كاننجهام » و « تدر » و « بلامى » ، حيث أننا
نشعر بأنه يجب علينا أن نكون على أهبة الاستعداد ، للعمل ضد
سوريا . أن العمل الضعيف عديم الجدوى . ان القوة الجوية ، والقواعد
الجوية يسيطران في الوقت الحاضر على الموقف كله في الشرق الأوسط .
ان القواعد الجوية للعدو باليونان تجعل سيطرتنا على كريت في
خطر ، وان قواعد العدو الجوية ، في برقة ، وكريت ، وقبرص ،
وسوريا ، تجعل المحافظة على سيطرتنا في مصر أمرا عسيرا .
ان هدف الجيش هو ارغام العدو ، الذى يحتل برقة ، على أن ينزح
الى الغرب ما أمكن ، ومنعه من الاستقرار بسوريا ، وان لا يبنى
أمله على احتلال كريت ، وقبرص . ان المجهود المفروض علينا
ليس يسيرا بالنظر الى قلة الموارد المتوافرة لدينا ، ولدى السلاح
الجوى . انى اعلم انكم تدركون كل هذا ، وأنكم تبذلون أقصى الجهد
لاعداد ما يلزمنا ، واننا نبذل كل ما فى وسعنا للمحافظة على سلامة
الشرق الأوسط . وما زال اماننا عدة أشهر محفوفة بالمصاعب ،
ولكننا لا نياس .

عقب تشرشل على معركة سوريا بقوله : « ان نهايتها الناجحة ،
قد عززت موقف البريطانيين في الشرق الأوسط الى حد كبير ،
وأوصدت الباب في وجه محاولات العدو ، في التسرب الى شرق البحر

الأبيض المتوسط • ورفعت دفاعات قناة السويس شمالا نحو ٢٥٠ ميلا ، وبددت قلق تركيا على حدودها الجنوبية ، فأصبحت آتئذ ، تستطيع الاعتماد على مساعدة دولة صديقة في حالة الاعتداء عليها » •

ثم يستطرد تشرشل قائلا : « ولو أننا في سبيل سرد قصة هذه المعارك قد قسمناها الى أربعة أقسام منفصلة : العراق ، وكريت ، وسوريا ، والصحراء الغربية ، الا أنه لا ينبغي أن يغرب عن البال ، بأن هذه المعارك كانت تسير جنبا الى جنب ، وأثر بعضها على البعض الآخر ، في خلق أحاسيس مختلطة من الحرج ، والتوتر ، والتعقيد •

« ومهما يكن من أمر ، فان تتيجتها النهائية — في حقيقتها ، لافى ظاهرها — كانت نصرا مؤزرا لاشك فيه ، للقوات البريطانية والامبراطورية ، في الشرق الأوسط • والفضل في ذلك يرجع الى من بيدهم الأمر في لندن ، والقاهرة ، بالاشتراك ، على السواء •

« ان معركة كريت ، وان تقاضتنا ، أفدح الأثمان ، قد دمرت القوة الضاربة لسلاح المظلات الألماني وقد أخمدت نهائيا ثورة العراق ، بقوات تافهة مرتجلة ، وأعادت سيادتنا على مناطق فسيحة • واحتلال سوريا وفتحها ، الذي أجرى تحت ضغط الظروف ، انتهى بالقضاء على تقدم الألمان صوب الخليج الفارسي ، والهند •

« ولو استمالتنا مغريات « التبصر ، والحكمة » — أعنى استمالت وزارة الحرب ، ورؤساء أركان الحرب بلندن — ولم نعمل على جعل كل موقف ، موقفا مربحا ، بفرض ارادتنا على القواد ،

لرجعنا فقط بالخسائر التي تكبدناها في كريت ، دون أن نحصل على الجائزة التي استحقناها نتيجة للقتال المجيد الشديد هناك . ولو انهار ويقل — وقد كان مجهدا — تحت الضغط الشديد الذي كان ينوء به ، نتيجة لكثرة الأحداث ، والأوامر التي يتلقاها منا ، لكان مستقبل الحرب كلها ، ومستقبل تركيا قد تحولوا ، وأصبحا في كفة القدر .

« ومجال الكلام كثير ، في المبدأ الذي يقول : (بأن لاتحاول القيام بأكثر مما تستطيع عمله ، واجعل ماتحاوله مضمونا وأكيدا) . هذا المبدأ كغيره من مبادئ : الحياة ، والحرب له استثناءاته » .

ولقد نشأ بين ويقل وتشرشل خلاف آخر حول مسألة العراق ، فقد كان ويقل يرى أن موارده لاتسمح له بالتورط في معارك جديدة في العراق ، ويرى أن تقوم وزارة الحرب بايجاد حل للأزمة التي نشبت بين رشيد عالي الكيلاني والسفير البريطاني ، بخصوص القوات التي نزلت في البصرة ، ويقترح أن تتوسط تركيا مثلا في حل النزاع بالطرق الدبلوماسية ، وأن يقوم هو من جانبه بعمل مظاهرة عسكرية في فلسطين توهم الحكومة العراقية باستعداد البريطانيين لاستخدام القوة ، اذ أن ارسال قوة من فلسطين في ذلك الوقت تضعف مركزه فيها ، بجانب عدم كفايتها لعمليات العراق ، ولكن تشرشل أصر على ارسال قوة الى العراق ، فأطاع ويقل مع تسجيل احتجاجه بقوله في برقيته لرئيس الحكومة : « ان برقيتك المؤرخة ٥ مايو سنة ١٩٤١ لا تأبه ،

الاقليلا ، بحقائق الأمور ، يجب أن تواجه الحقائق » • وكان ويثقل في شك من أن القوات التي سوف يرسلها ستكون كافية لفك حصار « الجبانية » أو أن الجبانية نفسها سوف تظل صامدة حتى تصلها القوة يوم ١٢ مايو ... فقال ويثقل : « أشعر بأن من واجبي تحذيرك أشد التحذير ، إذ أنى أعتبر امتداد الحرب الى العراق مما يعرض الدفاع عن فلسطين ومصر الى أشد الأخطار — ان النتائج السياسية لايمكن تقدير مداها وقد تقضى الى ماحاولت جهدى مدى عامين لتجنبه — أعنى الاضطرابات الداخلية في قواعدا — لهذا فاني أرجوك ملحا ، ومكررا الرجاء ، بأن يحل هذا الموقف بالمفاوضة السياسية في أقرب وقت » •

ولقد رد تشرشل على هذه البرقية الشديدة اللهجة أن دعى لجنة رؤساء هيئات أركان الحرب الى الاجتماع في ٦ مايو وعرض عليهم برقية ويثقل وطلب منهم موافاته بالرأى — ولقد أبرز رأيه في أن ويثقل غير محق في طلب الحل السياسى — لأن ذلك لا يكون في مصلحة القوات الموجودة بالبصرة ... وندد بموقف ويثقل بقوله : « يبدو أن ويثقل قد فوجئ في الشرق كما فوجئ في الغرب ، على الرغم من وجود قوات عديدة تحت تصرفه وقوافل كبيرة في طريقها اليه • ولست أدرك مع هذا كله ، كيف لا يستطيع توفير كتائب قليلة • يبدو أن ويثقل مجهد جدا » •

وكانت نتيجة هذا المؤتمر تأييد تشرشل — الذى عرض بدوره قراراته على مجلس الدفاع الذى أقره على رأيه — وأرسلت التعليمات الى ويثقل بأن مسألة المفاوضة مع العراقيين قد تقضى الى تسليم

الموقف للعراقيين ، وفي هذا خطر . لأن رشيد عالي الكيلاني على اتفاق مع قوات المحور ، وانه في انتظار عونهم ليكشف عن نياته ، وقد أيد هذا القرار رؤساء أركان الحرب ومجلس الدفاع : « وعليك أن تزود العراق بأكبر معونة جوية ممكنة مع ضمان سلامة مصر » . *

فما كان من ويقل الا أنه أرسل الى رؤساء أركان الحرب برقية مباشرة يقول لهم بأنه اجتنابا للتورط في عمليات حربية كبيرة في منطقة غير حيوية ، فانه مازال يوصى بأن يحل الموقف حلا سياسيا بكل الطرق الميسورة . *

ويقول تشرشل أنه وان كان يشعر بالقلق الذي كان يساور ويقل فقد ظل يضغط عليه بمنتهى الشدة كي ينفذ التعليمات التي أرسلت اليه . ويعقب تشرشل على هذا بعد انتصار القوات البريطانية الصغيرة التي أرسلت الى العراق ، بقوله : « لعل القارىء قد لاحظ النضال الذى نشأ بين وزارة الحرب ورؤساء أركان الحرب من جانب — والقائد العام بالقاهرة من جانب آخر — أن السلطات الوزارية التي كنت أشرف برئاستها في لندن قد تغلبت على تقدير الرجل الذى يسيطر في الموقف بالقاهرة — لقد أمسكوا أعنة الموقف في أيديهم ، وأخذوا المسؤولية على عاتقهم ، بأن أمر وافك الحصار عن الحبانية ، رافضين كل الآراء التي قالت بالمفاوضة مع رشيد عالي ، أو الموافقة على توسط تركيا — الذى سبق ذكره — فكانت النتيجة ذلك النجاح السريع الكامل ... ولعل ويقل كان أكثرنا سرورا وارتياحا لهذه النتيجة ، ولكن لم تمر هذه المسألة دون أن تترك أثرا في نفسه ونفوسنا » . *

لاحظ القاريء أن المستر تشرشل يغبط نفسه كثيرا على نتيجة تدخله المسلح ، ويفخر بأنه أجبر القائد العام الموجود في الموقف ، الملم بتياراته الخفية ، والعلنية ، على الاذعان لرأيه ... ولكن كثيرا من المؤرخين المحايدون لا يقرونه على فكرته ، ويرون أنه لو استمع الى نصيحة ويقل ، في العمل على حسم النزاع بالطرق الدبلوماسية ، بالمفاوضة ، أو بالوساطة ، أو بأى أسلوب آخر ، لما خلف ذلك الجرح الدامى في نفوس العراقيين ، وهم على أبواب حرب ثالثة ...

يقول « كرمت روزفلت » : « ان ثورة العراق كانت حركة وطنية عربية بحته ، قد أذكتها الرغبة في التخلص من سيطرة الانجليز ، أكثر من الميل الى تأييد الأهداف النازية . وكان لها أنصار عديدون في رأى العام العراقى ... أكبر مما يريد الانجليز أن يعترفوا » .

لقد صرح نورى السعيد باشا ابان الثورة لصحيفة الاجبشيان جازيت في مصر بقوله : « ان القتال الدائر في العراق ، هو نتيجة لنشاط بعض الطلبة العراقيين ، ممن قبضوا أموالا من برلين لاثارة الفتنة ! » وهو رأى نسجله بدون تعليق .

لاشك في أن الألمان كانوا يريدون احداث فتنة في العراق ، ولكن هذا كان يتطلب رسم خطة محكمة ، واختيار وقت ملائم للقيام بهجوم مشترك على الشرق الأوسط من طرفيه « حركة كاشة » (Pincer Movement) ولكن الذى ثبت ثبوتا قاطعا الآن هو أن رشيد عالي قد أقدم على حركته — أولا — ، ثم أخطر برلين ثانيا . فأخفقت الحركة .

رومل

« ان رومل ظاهرة شاذة ، وفلتة
نادرة في التاريخ العسكرى . »
ويقل

« قائد فوق مستوى القواد . »
أوكنلك

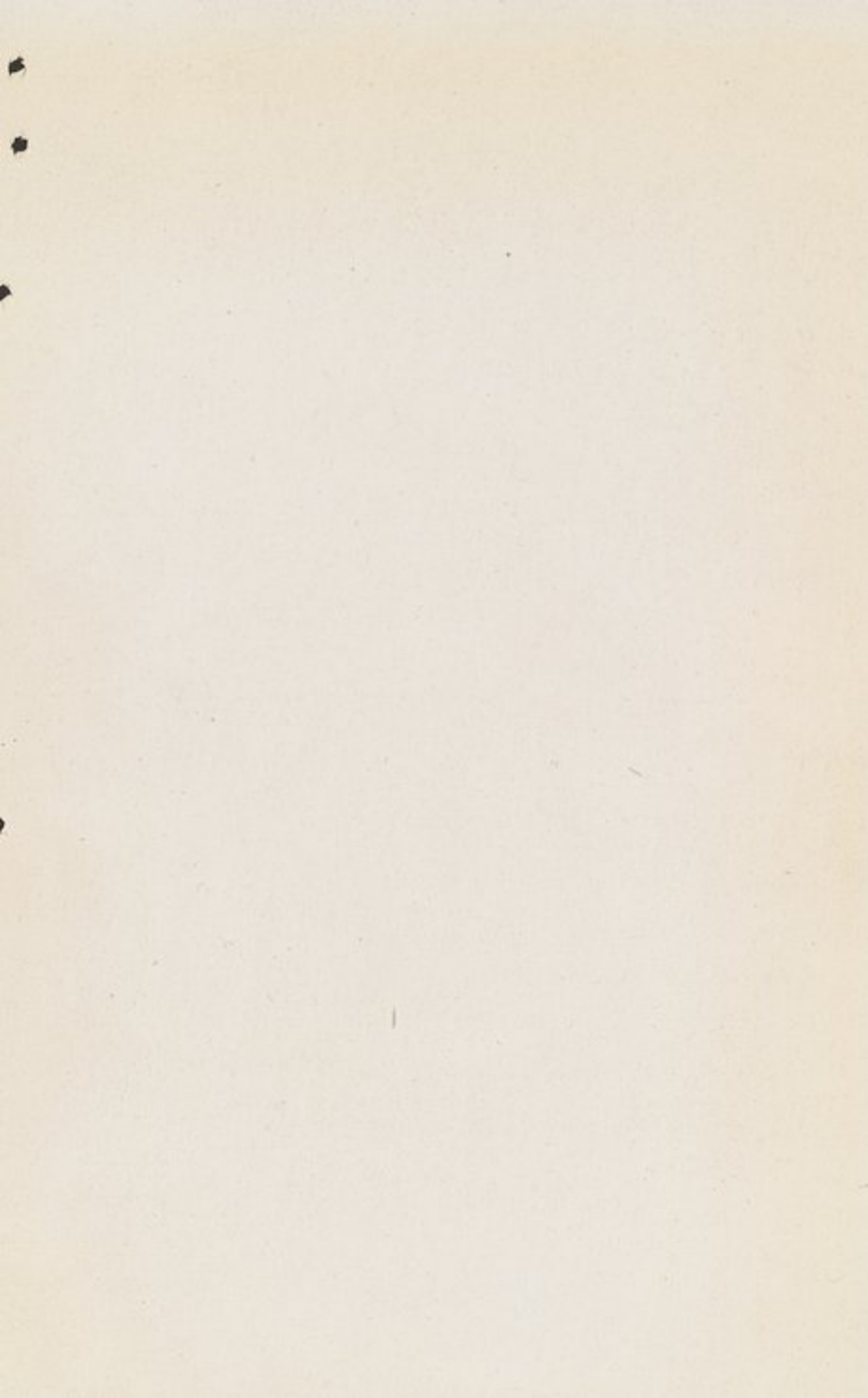
رسالة

في بيان فوائد العلم والادب
والطريق الى السعادة والنجاة
والخلاص من غموم الدنيا والآخرة

من تأليف
الشيخ محمد باقر المجلسي



رومل أثناء عملياته في الصحراء الغربية



جندى عظيم

كتب ويثل في ٢١ يناير سنة ١٩٥٠ ، أى قبل وفاته بنحو أربعة أشهر (فقد قضى في ٢٤ مايو من هذا العام اثر جراحة أجريت له) . .
كتب يصف عدوه القديم ، الفيلد مارشال « اروين رومل » ،
فقال : « هو شخصية رائعة ، وجندى عظيم » . قالها ويثل في سياق الكلام عن الكتاب الذى نشر فى بريطانيا ، عن « سيرة رومل » بقلم البريجادير « دزموند يونج » — وكان الكتاب مثار تعليقات ضافية فى صحف ذلك اليوم — وطلعت صحيفة « السنداي تيمس » على قرائها بتعليق ودى للمارشال ويثل يقول فيه : « ان رومل ظاهرة عسكرية ، لاتبدو الا فى الفلته النادرة . . . فالرجال الذين على بسالته ، وجرأته ، لا ينجون بحياتهم الا بتوفيق غير عادى » . ثم قال : « . . . أما أن لرومل من بعد النظر ما يستطيع به السيطرة على ميادين الاستراتيجية ، فشىء لم ينهض عليه دليل بعد ، وربما كان فيه شك » .

وقال ويثل بصراحته المعهودة بأنه حين أرسل الحملة البريطانية الى اليونان ، أوائل عام ١٩٤١ ، كان يتوقع هجوما مضادا على قواته ، فى شمال أفريقيا ، قبل أوائل مايو ١٩٤١ ، وانه كان فى تقديره هذا محقا ، ومصيبا ، لو أن خصمه كان قائدا آخر من طراز عادى . فان مترجم حياة رومل يقول : « فى الواقع أن القيادة الألمانية العليا ، كانت قد طلبت الى رومل تقديم خطة هجوم يتوخى فيها الحذر ، فى يوم ٢٠ ابريل . . . ولكن رومل قام بهجومه فى ٣١ مارس دون أن يقدم خطته الى قيادته » .

ثم عقب ويقل قائلاً : « لقد أخذنى وكنت على غير استعداد ... »
ولكنى لم أكن أحسب حساب قائد فى عبقرية رومل » •

ولعل ويقل قد اغتبط حين قرأ تقدير رومل له ، كما سجله
هذا الكتاب ، فقد قال البريجادير « دزموند يونج » : « على
الرغم من بحثى المستفيض ، لم أكتشف لرومل رأيا خاصا عن
أى فرد من القواد البريطانيين ، سوى الجنرال ويقل ، فقد صرح
« رومل » بأن حملة ويقل على الطليان ستدرس دائما ، باعتبارها
مثلا ساميا للجرأة فى خططها ، والجسارة فى تنفيذها ، برغم قلة
الموارد » •

وان شخصية رومل الفذة قد فتنت القواد قبل الجنود من
خصومه ، ومواطنيه ، على السواء ... فان سيرته ، التى أشرنا
إليها ، بمجرد صدورهما فى انجلترا تخاطفتها الأيدى فى العالم كله ،
وترجمت لأكثر من لغة ، وقد عنيت جريدة الأهرام فى مصر بنشرها
مترجمة على قلة اهتمام الناس بالتراجم العسكرية فى الشرق •
وذهب الناس فى أمر الكتاب مذاهب شتى ، فقائل يقول بخطره ،
لأنه يسمو برومل الى مصاف الآلهة ، ولا يجد فيه البعض سوى
« ترتيلا يغدق الحمد والثناء على قائد الفيلق الألمانى ، وان هذا
يثلج صدر أنصار الدعوة الى انهاض الروح الحربية فى ألمانيا مرة
أخرى » • وآخر يقول بغير ذلك • والواقع أن رومل كان أسطورة
استولت على عقول أعدائه فى الصحراء ، حتى أن الجنرال أوكنلك
لم يجد بدا من أن يصدر أمرا الى الضباط كي يقفوا فى سبيل
هذه الخرافة يقول فيه : « ان هناك خطرا حقيقيا ، فصاحبنا رومل

أصبح ساحرا ، أو ماردا ، لجنودنا ، فهم يتحدثون عنه كثيرا ، وليس رومل « انسانا أعلى » وان كان مما لاشك فيه أنه ممتاز وقدير ... وحتى لو كان « انسانا أعلى » ، فانه من غير المرغوب فيه جدا ، أن تعتقد جنودنا أن له قدرة خارقة » .

ولقد نشرت لرومل عدة سير ، وصور ، أثناء الحرب وفي أعقابها ، كانت بعيدة عن الانصاف الى حد كبير ، حتى في سرد قصة حياته الأولى . لقد قال عنه موتجمري ، كما ورد في كتاب « قادة الحرب العالمية الثانية » لمؤلفه الميجر دي ويرد : « يحتمل أن رومل كان جنديا عظيما ، ولكنه بكل تأكيد ، لم يكن رجلا عظيما ! » . وهذا قول لا يوافقه عليه أحد الآن بعد ظهور هذه السيرة الجديدة حتى ولا قبلها ... فقد قال المارشال « أوكنلك » في تصديره لها : « انى أحبيه بوصفه جنديا ورجلا ، شاكرا للمؤلف انصافه له ، معترفا بأن رومل كان قائدا فوق مستوى القواد ، وان أفراد « الفيلق الأفريقي » من قائد الفصيلة الى قائد الكتيبة كانوا من الناحية التكتيكية فوق مستوى البريطانيين تدريبا وكفاية . واذا كان لنا أن ندرّب الشبان على حمل السلاح ، والضباط على قيادتهم ، في المعارك ، فان هناك الكثير الذى يمكن أن تتعلمه من دراسة شخصية هذا القائد وأساليبه » .

وقال تشرشل في كتابه : « تاريخ الحرب العالمية الثانية » : « لقد برهن رومل ، طوال حملته في أفريقيا على أنه أستاذ بارع في ادارة التشكيلات ، خفيفة الحركة ، وخاصة في اعادة تنظيمها بوجه السرعة عقب كل عملية ، وفي متابعة النجاح ... كان مقامرا

عسكريا رائعا ، مسيطرا على مشاكل التموين ، مستخفا بالمعارضة .. ولقد أدهش القيادة الألمانية العليا ، وكانت قد أطلقت له العنان في بادئ الأمر ، لكنها أخذت تميل الى الحد من اندفاعه بعد ما أحرزه من النجاح . لقد أصابنا (أى البريطانيين) من حماسه ، وجسارته ، نكبات مفاجئة ، ولكنه جدير بالتحية التي أزيجتها له في مجلس العموم في يناير عام ١٩٤٢ ، على الرغم من ملامة الجمهور ، حين قلت عنه : « اننا نواجه خصما بارعا ، جريئا ، وهل يسمح لى أن أقول ، رغم جنون الحرب ، بأنه جنرال عظيم » .. فاني لم أندم على الثناء والتقدير الذي وجهته الى رومل ، ولن أسحب كلامى قط ، على الرغم من زعم الناس بأنى تجاوزت اللائق والمألوف » .

حياته

ولد أروين ، رومل في « هيدنهم » بـ « ورتمبرج » في نوفمبر سنة ١٨٩١ ، وكان في طفولته ضعيف البنية ، فتلقى تعليمه الأولى في منزله حتى بلغ التاسعة ، فالتحق بالمدرسة الأميرية المحلية التي كان والده ناظرها . فقد كان أبوه وجده لأبيه من رجال التعليم ، وكان جده لأمه رئيس ورتمبرج ، فانهدر من أسرة من الطبقة المتوسطة المثالية ، وقد التحق بوحدة المشاة « المئة والرابعة والعشرين » وعمره ١٩ عاما ، وارتقى الى رتبة ضابط في سنة ١٩١٢ بعد تخرجه من « كريج سكول » بدانزج ، وهناك التقى بالفتاة التي صارت فيما بعد زوجته . وفي سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ كان قائد فصيلة في فرنسا ، حيث أكسبته بسالته وسعة حيلته ،

وساما الصليب الحديدى ، من الدرجتين الأولى والثانية ، وهناك جرح مرتين ، وكان من حظه حينذاك أنه نقل الى كتيبة ورتمبرج الجبلية ، فكانت خدمته فيها ممتازة ، وبخاصة فى رومانيا وايطاليا ، فمنح وسام الجدارة الألمانى الذى يعادل « صليب فكتوريا » الانجليزى لعمله الباهر فى القيادة وقوة الاحتمال ، على جبهة ايزونزو عام ١٩١٧ • ولما رقى الى « كابتن » عين فى وظيفة أركان حرب فى يناير سنة ١٩١٨ ، وكانت الوظيفة الوحيدة التى تولاها بعيدا عن الجنود • وبعد الحرب عاد الى وحدته ، ثم تولى قيادة سرية الأمن الداخلى ، ولعل هذا منشأ الأسطورة التى تقول انه كان شرطيا ، ثم عاد بالتالى الى وحدته الأصلية عام ١٩٢١ ، وظل بها تسع سنوات تقريبا ، درس خلالها الحرب دراسة وافية ، وكان يرفه عن نفسه ابان ذلك برحلات الانزلاق على الثلج وركوب الخيل ، ثم عين مدرسا بمدرسة المشاة بـ « درسدن » عام ١٩٢٩ الى ١٩٣٠ • وكتب ابان ذلك كتابه الشهير « هجمات المشاة » • وفى عام ١٩٣٣ رقى الى رتبة ميجر وأسندت اليه قيادة كتيبة الانزلاق على الثلج ، ثم بعد عامين نال رتبة « لفتنانت كولونيل » وتولى التدريس بكلية أركان حرب « بيوتسدام » • ثم تولى وظيفة لم يمكث بها طويلا بفرقة شباب هتلر ليقوم فيها الضبط والربط ، ثم غادرها ، وتولى قيادة مدرسة الحرب فى النمسا •

وفى عام ١٩٣٩ اختير ليقود حرس هتلر ، وفى هذه الوظيفة شاهد حملة بولندا وحظى بتقدير هتلر فأسند اليه قيادة فرقة دبابات البانزر ، وفى هذه الحملة برزت كفايته اللامعة فى امكانيات

استغلال التشكيلات المدرعة والخفيفة الحركة الى أقصى حد وأكملة . وفي فبراير سنة ١٩٤١ أرسل الى ليبيا ليقود القوات الألمانية فيها ، وكانت في بادىء الأمر فرقة البانزر الخفيفة الخامسة التى تحوّر اسمها فيما بعد فصارت فرقة البانزر الحادية والعشرين . ومنذ ذلك الحين وما بعده كان رومل يكافح باستمرار في جبهات ثلاث :

١ - ضد البريطانيين .

٢ - ضد القيادة العليا الإيطالية التى قصرت في تموينه .

٣ - ضد القيادة الألمانية العليا التى لم تعطه قط الا العدد القليل من الفرق والمهمات التى كانت تهيب له أن يحصد ثمرة ضرباته الباهرة ضد البريطانيين في الصحراء .

ويقول تشرشل في كتابه الذى أشرنا اليه :

« ولقد شاهد رومل الحملة البولندية ، بوصفه قائدا لمركز رئاسة هتلر بالميدان ، وأسندت اليه قيادة الفرقة البانزر السابعة بعد ذلك . وكانت هذه الفرقة تكنى « بالأطيف » ، وهى التى كانت « رأس الحربة » في اختراق الألمان لجبهة « الميز » (Meuse) بفرنسا ، ولقد نجا بأعجوبة من الوقوع في الأسر ، حين قام البريطانيون بهجومهم المضاد عند « اراس » في ٢١ مايو سنة ١٩٤٠ . . ومنها قاد فرقته مخترقا « لاباسيه » الى « ليل » . فلو صادف هذا الاختراق نجاحا أكثر قليلا ، أو بعبارة أخرى لو لم تقيده أوامر القيادة العليا ، لأفضى ذلك الى عزل قسم كبير من الجيش البريطانى ، بما فيه « الفرقة الثالثة » التى يقودها

موتتجرى • لقد كانت فرقة رومل « رأس الحربة » التى عبرت « السوم » وتقدمت الى « السين » فى اتجاه « روان » واضطرت الجناح الأيسر للجيش الفرنسى الى التقهقر ، وأسرت عدة وحدات فرنسية ، وبريطانية ، حول « سنت فاليرى » •

وكانت هذه الفرقة أول من وصل الى القنال الانجليزى ودخلت « شربورج » عقب جلائنا عنها مباشرة ، حيث دانت الميناء الى رومل ، وأسر ٣٠.٠٠٠ ألف جندى فرنسى بها • هذه الخدمات الكثيرة ، وذلك الامتياز ، أديا الى تعيينه ، فى أوائل عام ١٩٤١ ، قائد للقوات الألمانية التى أرسلت الى ليبيا • وفى ١٢ فبراير وصل مع هيئة أركان حربها الخاصة ، الى طرابلس ليقا تل مع حليف كان قد حاربه قبلا وامتاز عليه — وفى أثناء ذلك الوقت كانت آمال البريطانيين معقودة على الاحتفاظ بطرابلس — وتولى رومل قيادة القوات الألمانية المتزايدة تحت اشراف القيادة الإيطالية • وبدأ فى الحال يتخذ الخطوات للقيام بمعركة هجومية — ولما حاول القائد العام الايطالى أن يقنع رومل بأنه لا ينبغى « لفيلق أفريقيا الألماني » (Afrika Korps) أن يتقدم بدون اذنه ، احتج رومل قائلا : « بوصفى جنرالا ألمانيا أرى من واجبى اصدار الأوامر وفقا لما يتطلبه الموقف » • ثم عقب بقوله بأن المخاوف الخاصة بمشاكل التموين (أى التى يديها الطليان) « لا أساس لها » وطالب بأن تطلق له الحرية التامة فى العمل — وقد حقق ما أراد •

حامية طبرق

في ٣١ مارس سنة ١٩٤١ هاجم « رومل » مواقع البريطانيين في العجيلة ، بقوات قليلة نسبيا . ولكن قيادته البارة ، أكسبته التفوق على القوات البريطانية ، فاختل توازنها — كما يقول « دى جنجان » رئيس أركان حرب الجنرال مونتجمري في كتابه « عملية النصر » — اذ لم تكن لديها الموارد والامدادات كى تحتفظ ببرقة ، وتسبب عن ذلك كوارث فادحة ، وكرت القوات البريطانية راجعة الى طبرق . فاستغل « رومل » ضعف الموقف ، وهاجم المواقع البريطانية جنوبا بقوات خفيفة ، هددت خطوط المواصلات .

ويقول دى جنجان : « ولقد كان يوم الأحد ١٦ ابريل يوماً اسود ، اذ وصلت الأنباء بهجوم الألمان على اليونان ، وكانت أنباء الصحراء الغربية أيضا سيئة للغاية ، وكان لابد من البت في مسألة خطيرة : هل نحفظ ، أو لا نحفظ ، بطبرق ؟ » لقد كانت خسائرنا جسيمة ، وليس لدينا الا مدرعات قليلة . . . وان حجز قوات ، في قلعة معزولة ، كان قرارا مسرفا في الحرب » .

لقد دار البحث في المؤتمر الذى عقد بعد ظهر ذلك اليوم ، وحضره « ويشل » و « ايدن » ، و « دل » ، في مسألة طبرق . . . وكان ايدن جالسا ينقر بأصابعه منضدة المؤتمر ، في حالة عصية ، وهيئة غير طبيعية . وبعد أن تناول الموضوع كل من قواد الأسلحة المختلفة ، مصرحين بوجهة نظرهم ، طلب الى ويشل أن

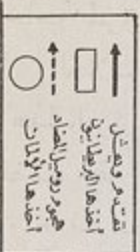
مملكة ليبيا

المتوسط

الابيض

البحر

قبرص



يبدى رأيه ، فقال فى هدوء واطمئنان : « يجب أن نحتفظ بطبرق »
وأضاف بأن الاحتفاظ بها فى حيز الامكان •

ولاشك أن هذا القرار الجرى الذى اتخذه ويقل ، خاصا
ببقاء حامية طبرق ثابتة فى مواقعها ، كان وما زال ، وسيظل ، مثار
الجدل والخلاف حتى يقول التاريخ كلمته الحاسمة ، فى مدى
قرب هذا القرار أو بعده عن الصواب ، وإذا كانت هذه الحامية
قد أفضت حقا الى نتائج عسكرية ، توازى ما بذل من خسائر
فى أرواح المدافعين عن طبرق ، وفى السفن التى غرقت فى سبيل
تزويدها بما تحتاجه من عتاد ، وامداد ، ومياه ، وتموين •

ولكن محاولات رومل وهجماته التى تكررت مرتين دون أن
ينجح فى الاستيلاء عليها ، تدل على أنه كان يعلق عليها أهمية
خاصة ، أو أنها كانت عقبة قائمة فى سبيل عملياته •

ولا ريب فى أن المدافعين عنها ، الذين صمدوا أمام ضغط
العدو المتكرر القاسى ، يستأهلون أكثر من كلمة ثناء •

ويقل ضد رومل

لم ينس ويقل رغبات وزارة الحرب التى تحتّم عليه بدء الهجوم
فى الصحراء الغربية ، حالما يسمح له الموقف ، بعد استكمال
مدرعاته ، فأفضى بتعليماته الى الجنرال « برسينفورد-بيرس »
الذى ولى القيادة فى الصحراء الغربية فى ١٧ ابريل ، لكى يستعد
لاجراء هجوم ، بقصد فك حصار طبرق •

وكان أمل ويقل أن يكون الهجوم ممكنا فى أوائل يونيه ،

ولو أن تحديد الوقت بالضبط رهن بعدة عوامل ، ليس من اليسير التنبؤ بها ، اذ تتوقف على سلامة وصول القوافل التي تجلب الدبابات ، وثانيا : على الوقت اللازم لاعدادها لحرب الصحراء ، وتدريب جنود الدبابات على استخدام مهماتها الحديثة ، وأخيرا : الوقت المطلوب « للورش » في القاعدة لاستكمال اصلاح الدبابات الأصلية . ولم يكن الشهر بكاف لاتمام كل هذا ، فكان سبيل ذلك أن قاتلت الفرقة السابعة المدرعة ، دون أن تضبط عيار مدافعها وكان جنود الدبابات بها مدربين تدريبا جزئيا فقط .

وفي الوقت نفسه ، كانت القوات الألمانية قد زودت بفرقة بانزر من طرابلس . ولقد كان نجاح الاستراليين في الدفاع عن طبرق حافزا لويقل على القيام بهجوم محلي في نطاق « ممر حلقايه » قصد استرداد السلوم ، و « قلعة كابتزو » والاستيلاء على قمة « الممر » ، فاذا نجح في ذلك ، ضمن لنفسه مكانا جيدا للقفز منه الى هجومه المرسوم بعد ذلك . ومن ناحية أخرى فانه يبعد قاذفات سلاح الطيران الألماني ، من ذات المدى المتوسط ، عن بلوغ أهدافها في الدلتا . وكانت الخطة مبنية على تقدير للمخابرات ، يتلخص في أن رومل ليس لديه سوى قوة ضعيفة من الدبابات في المنطقة الأمامية ، وأن الباقي موجود بصفة احتياط ، على مسافة نائية . وفي منتصف مايو كانت الدبابات التي أمكن توفيرها لهذه العملية الصغيرة لا تعدو الثلاثين ، بالاضافة الى ٢٥ من دبابات المشاة . . . وعلى الرغم من أن سير الاقتراب تم خلال عاصفة رملية كثيفة ، وحرارة شديدة ، فقد تم الاستيلاء على قلعة

« كابتزو » ، و « السلوم » ، وانسحب العدو أول الأمر • ولكن الهجوم الأساسي على قمة الممر ، الذي كان محصنا تحصينا قويا ، فقد باء بالخيبة ، وانسحب البريطانيون ، بعد أن تبينوا أنهم ازاء عدو يحسب حسابه ، وليس من الحكمة المخاطرة أمامه ••• وفي ٢٦ مايو هجم رومل بدوره على البريطانيين قصد تطهير ممر الحلفاء منهم نهائيا • وكانت خطة رومل البارعة هي استدراج دبابات البريطانيين ، رجاء تدميرها بعد ذلك ، بهجوم جانبي من الصحراء •• ولو أن رومل لم يفلح في بلوغ رغبته هذه ، إلا أن قواته قد حصلت على أهدافها في نهاية الشهر ، ووجد الجنرال « برسفورد-بيرس » نفسه في مكانه الأصلي الذي ابتداء منه ، وقد نقصت وحداته المدرعة نقصا محزنا •

هل كان ويثقل محقا في اجراء هذا الهجوم في شهر مايو ؟ •• أو هل كان من الأفضل التزام الدفاع ، والعمل على الاستعداد لتوجيه الضربات ، في حالة قيام الفيلق الإفريقي بالهجوم ؟ •• لقد كانت التقارير الخاصة بالمعلومات عن العدو متضاربة ، ومربكة — كما حدث قبلا — ويبدو أنه كان هناك ميل في ذلك الوقت ، الى تقدير القوات المدرعة الألمانية بأقل من حقيقتها •

لقد دلت هذه العملية ، مرة ثانية ، على أن الدبابات والمدرعات هي التي يحسب حسابها في حرب الصحراء • ولو أن أحد جناحي البريطانيين يركز على البحر ، والهضبة — وهي بمثابة مانع للدبابات لمسافة عظيمة — تعد في الواقع ، وقاية أخرى • بيد أنه اذا كانت المدرعات ضعيفة ، والجناح الآخر تجاه صحراء

مكشوفة ، فان قوات المشاة ، والمدفعية ، تكون في وضع معرض
كثير الخطر .

العملية الأخيرة

وقبل أن تنتهى خدمة ويقل في الشرق الأوسط بقليل عمد الى
اجراء عملية أخرى ضد رومل ، وهى المعروفة بالاسم الشفرى :
« عملية البلطة Battleaxe » .

وكانت المعلومات التى لدى الرئاسة في الشرق الأوسط ،
عند بدء هذه العملية في ١٥ يونيه ، أن قوات رومل مؤلفة من
٧٠ دبابة في كابتزو ، والباقي على مدى ثمانين ميلا الى الورا ،
تجاه طبرق ، بصفة احتياط . وكان التقدير أنها لا تستطيع أن
تشارك في المعركة قبل مضي ثمانى ساعات . هذا التوزيع قد
بعث الأمل في أن الفرقة السابعة المدرعة ، تستطيع هزيمة قوات رومل
الأمامية ، قبل أن تتدخل دبابات الاحتياط في المعركة . لكن هذا
التقدير عن القوة وأوضاعها ، كان خاطئا ، مسرفا في تفاؤله . .
لأن الجنرال « كراى » قائد الفرقة السابعة المدرعة ، بعد دراسته
لعمليات رومل التى حدثت أخيرا ، وحصوله على معلومات فيما
يتعلق بتكتيكاته في حرب الدبابات ، توقع محاولة رومل القيام
بحركة مضادة على نطاق واسع ، تهدف الى تطويق الجناح
اليسر للبريطانيين . وكان يقدر بأن لدى رومل أكثر من فرقة بانزر
في المنطقة الأمامية ، ولهذا فقد ظل مراقبا جناحه الخارجى ،
وأصدر تعليماته الى « قوات الهوسارز » كى تبلغه فورا أية
معلومات يتقفون عليها ، عن حركة العدو في الصحراء .

وكان لواء دبابات المشاة التابع للجنرال كراى ، قد وضع تحت قيادة الفرقة الرابعة الهندية ، لمعاونة لواء الحرس الثانى والعشرين فى هجومه على كابتزو ، وممر حلفاية ، ولكى يستطيع مقابلة هجوم الفرقة ، أو الفرقتين — البانزر — حالة قدومها من الجانب المواجه للصحراء ، لم يوزع سوى آلايين مدرعين بدلا من ستة .

ولكن ، لسوء الطالع ، كان التقدم بطيئا بسبب ضباب كثيف ، جعل الرؤية متعذرة فى هذا الصباح . وكما حدث فى الهجوم السابق قد أحرزت المشاة البريطانية نجاحا مبدئيا ، فسقطت كابتزو ، ولكن السلوم ، وقمة ممر الحلفاية ، ظلتا قائمتين . . وكما حدث أيضا سابقا ، بدأ رومل فى مقابلة الضربات ، بسلسلة من الهجمات المضادة بالددبابات على كابتزو ، وفى أثناء تقدم الفرقة السابعة المدرعة فى الصحراء ، نشبت معركة دبابات عنيفة ، وكانت خسائر الدبابات فى كلا الجانبين فادحة ، ولكنها كانت فى الجانب البريطانى أشد من الجانب الألمانى .

وبدأت فى اليوم التالى « حركة رومل » التى توقعها الجنرال كراى ، اذ شوهدت حركة التفاف واسعة النطاق ، تتجهز خلف الأسلاك الشائكة عند الحدود ، وكانت القوات تتألف من أربعة قولات ، قوام كل منها خمسون دبابة ومائة عربة ، متجهة الى الجنوب ، فأدرك الجنرال كراى أن هدفها هو الدوران بعد ذلك الى الشمال ، ومفاجأة المشاة التى تهاجم حلفاية من الجنب ، ولوحظ أن تقدم رومل فى ذلك اليوم كان فى بطء وحذر ، فلم يبدأ الا متأخرا بعد الظهر ، وعقب قتال دام لحظات ، بين الدبابات ،

تراجع ثانية الى أسلاك الحدود ، وعند الغسق وجد خسائره بلغت ١٢٠ دبابة ، مقابل ١٠٠ للبريطانيين •

وفي مساء هذا اليوم وضع الجنرال كراى بالاتفاق مع الجنرال (مسيرفى) قائد الفرقة المشاة الرابعة الهندية ، خطة هجوم مضاد ، ضد قوات العدو فى فجر اليوم الثالث ، فأمر لواء الدبابات الثقيلة بأن يكمن على جناح المشاة فى ممر الحلفاية ، واللواء المدرع يقوم بضرب الجناح الشرقى لفرق البانزر وذلك عند تقدمه صوب الشمال لاجراء الهجوم •

الامر بالانسحاب

ولسوء الحظ قد حدث ضغط شديد على قوات المشاة فى الحلفاية من الألمان أجبر الجنرال « مسيرفى » على الاحتفاظ بلواء الدبابات الثقيلة لمعاونتته ، فأصبح الجنرال كراى يواجه القوات الألمانية التى كان قوامها ١٥٠ دبابة ، وبضع مئات من السيارات ، وعددا كبيرا من المدافع القوية المضادة للدبابات ، الخفيفة الحركة • • بالآيين مدرعين ضعيفين • • ولهذا فانه عندما أصبح لايملك الا عددا قليلا من دبابات المشاة ، وبعد أن تناقصت قوته فى المدرعات الى حد محزن ، وبعد أن أضحى الموقف فى ممر الحلفاية مشكوكا فى نتيجته ، تناول الجنرال كراى اللاسلكى ، وطلب قائد الصحراء الغربية الجنرال « برسفورد - بيرس » لكى يحضر عنده • وكان واضحا أن المعركة ستبلغ نهاية أزمته فى الغد ، ولذا أراد كراى أن يحصل على قرار عاجل فى امكانية الاستمرار فى

القتال • فرد عليه الجنرال « برسفورد — بيرس » في حذر قائلاً بأن لديه « شخصية أجنبية ممتازة » ، وأنهما سيكونان عنده جميعاً وقت الظهيرة •

لقد قدر ويثقل كعادته اللحظة الملائمة التي يصل فيها ، فطاراً معاً الى « بقبق » وهبطاً في مقر رياسة الفرقة السابعة المدرعة بعد ضربها بالقنابل بوقت قصير •

فاستمع ويثقل الى بيان قائدى الفرقتين ، عن الموقف السيئ • • اذ لم يكن الهدف الأول للهجوم ، دون مقدرة قوات الجنرال « برسفورد — بيرس » فحسب ، بل كان الانسحاب هو خير حل للموقف ، اذا ما أريد انقاذ المشاة من خطر العزل • وبعد ترويض سير ، أصدر ويثقل أمره بالانسحاب والرجوع الى الخط الأصلي • وكان على ما تبقى من الفرقة السابعة المدرعة أن تستر انسحاب المشاة • • • وكانت كابتزو قد أخليت قبل الظهر ، ولم يستطع لواء الحرس الثانى والعشرين الانسحاب من الممر ، الا بالهجوم المضاد الذى قامت به دبابات المشاة القليلة الباقية •

ولم يتبق من الفرقة السابعة المدرعة ، بعد قتال دام ثلاثة أيام فقط ، سوى أربعين دبابة • ورأى الجنرال كراى ، بأنه لا يمكن حماية جناح المشاة بهذه القوة الضئيلة ، من الدبابات التى بقيت الا فى موضعين : مرسى مطروح على مسافة ١٢٥ ميلاً الى الخلف ، أو فى العلمين • ولو أنه كان يفضل الموضع الأخير ، اذ أن منخفض القطارة — مانع دبابات كامل — يضيق الجبهة التى يراد وقايتها الى نسبة معقولة • • • ولكن ويثقل كان يرى ، فى حالة قيام رومل

بهجوم آخر أن التقهقر الى العلمين يصبح ضروريا ، ولو أنه كان مصمما على القتال عند مرسى مطروح ، اذا استطاع . أما اعداد مواقع العلمين للدفاع ، فكان مثار بحث منذ وقت طويل . فان الجنرال « مارشال كورنول » قد أوحى به ، وأوصى عليه ، وكذلك الجنرال ايفتزر ، ولكن الموارد اللازمة لذلك لم تكن متوافرة كالعادة وقتئذ .

تعليق ناقد

ودارت الدائرة مرة أخرى ، فاذا بويشل ، بعد ثمانية أشهر في قتال متصل ، يجد نفسه مرة ثانية حيث ابتداء في ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

وعملية ويشل الأخيرة ستظل مثار نقاش وحوار ، وخلاف وجدل . فان دي جنجان يقول : « ان هدف هذه العملية كان محاولة السيطرة على المنطقة الصحراوية المجاورة للحدود ، بأمل احتمال فك حصار طبرق . وهذا غرض حميد ... ولكن أدوات المشروع كانت ضعيفة . وانه لعجيب كيف أن ويشل قام بهذا الهجوم ! . فقد كان على عاتقه عمليات في نواح أخرى ، ولم يكن لديه اطلاقا ، أو لديه القليل ، من الاحتياطي . . . ولعله أراد أن يخلق الاحتياطي ، بتحسين الموقف في الصحراء ، اغتصبا . . . أو لعله أجراه بسبب ضغط حكومة لندن عليه . وعلى أى حال فلم يكن هناك أى تفاؤل ، أو تحمس لهذا المشروع . أما الجنود ، فقد قامت ، كعادتها دائما ، بهذا الهجوم ، بروح التضحية المعهودة

فيهم . انى لأتمنى أن يتناول شخص هذه المعركة ، بالتحليل والتفصيل ، اذ أنها فى رأى ، كانت خطأ فى كل نواحيها ، بل يجب دراستها فى كلية أركان الحرب لهذا السبب بالذات . فان عنصر الصواب الوحيد فيها ، هو أن ويشل طار ليرقب بنفسه سير المعركة فى اليوم الثانى ، فاقنتع سريعا بأن العملية مخففة ، وأمر بعدم مواصلة القتال والانسحاب ، فحال بذلك دون وقوع خسائر جديدة » .

المدفع ٨٨ مليمت

« لقد حشدنا نحو من ٢٠٠ دبابة معظمها من طراز ثالتين الملقى ، المعروفة ببطنها ، والمسلحة بمدفع ٢ رطل ، فكانت لقمة سائفة للعدو . أما رومل فاستخدم مدافع « ٨٨ مليمت » بمهارة ، اذ كان يسترها بدباباته ، ومدفعيته ، ثم يدمر دباباتنا على مدى بعيد ، قبل أن تصل الى نطاق مرماها . قد لا أذكر العدد الدقيق لخسارتنا فى الدبابات ولكنها كانت تبلغ المائة ، وهو عدد جسيم فى تلك المرحلة من الحرب . وأن الدرس الوحيد الذى أفدناه من هذه المعركة ، هو أننا قد تحققنا ، الى أى حد نحن متخلفون ، فى طراز دباباتنا ، ومدافعنا المضادة للدبابات » .

وقال الميجر « هـ . ا . دى ويرد » فى كتابه « كبار قادة الحرب العالمية الثانية » : « .. وحدثت معركة بين الدبابات ، تراجع منها البريطانيون بخسائر فادحة . وقال معقب بريطانى : « كان هناك سوء تقدير ، وأخطاء ... فقد تركت كتيبة دبابات لمدة عشر دقائق ، معرضة لمدافع العدو المضادة ، بينما كان القائد مترددا فيما يعمله

بعد ذلك .. وبعد تحليل الموقف نجد أن البريطانيين قد غلبوا على أمرهم . لقد كانت لحظة مفعمة بالخطر » . وقال في موضع آخر : « ان الجنود عقب تقهقر ويثقل الأول ، وبعد أن أحست بقوة رومل في هذه الأيام وخبرت مدافعه « ٨٨ ميليمتر » في أكثر من معركة ، كانوا ينشدون لحنا حزينا وضعه موسيقى مجهول من جنود جيش الصحراء وهذا نصه وترجمته الحرفية :

Oh, Sidi Barrani !

آه ، يا سيدى برانى !

Oh, Mersa Matruh !

آه ، يا مرسى مطروح !

The Eyties will get there,

ال ٨٨ ستصل ،

Then what will we do ?

وبعد ، فماذا نصنع ؟

ولعل السبب الرئيسى فى اخفاق البريطانيين يرجع الى أنهم قاموا بهجوم على نطاق كبير ، بمدركات غير كافية .

أما أن هذه المعركة كانت « معركة سياسية » ، فلعله لم يحن الوقت لمناقشة ذلك ، ومهما يكن شأن الضغط الذى وجه الى ويثقل كى يقوم فى قيظ الصيف ، بقوات غير مناسبة فى العدد ، ولا فى التوزيع . فان ويثقل بوصفه قائدا عاما فى الشرق الأوسط كان سيد موقفه . والعادة أن كل القواد ، اذا وجدوا أن أى عملية سياسية مطلوب اجراؤها ليست سليمة من الناحية العسكرية ، فانهم يملكون فى النهاية ، السبيل المعروف ، وان يكن شاقا ، وغير محبب الى النفس ، ألا وهو طلب اغنائهم ، واناطة الواجب المطلوب بشخص آخر غيرهم ... أما ويثقل فلعله استجاب الى

هذا الضغط ، لأنه كان متعبا من ناحية ، ولأن الهجوم وافق
هوى في نفسه من ناحية أخرى .

اعفاؤه من منصبه

ان نقل ويقل الفجائي من قيادة الشرق الأوسط ، الى الهند
في منصب مماثل ، أواخر شهر يونيه ، لم يكن متوقعا اطلاقا .
فقد تسلم الجنرال « أرثر سميث » رئيس أركان حرب برقية بعد
منتصف الليل بقليل ، فأخذها الى ويقل في صباح اليوم التالي .
وكان جالسا يحلق ذقنه ، فتناولها ثم قرأها في هدوء ، وقال :
« أنا واثق أن رئيس الحكومة محق ، أن رجلا جديدا ، بأفكار
جديدة ، سيكون خيرا » . وبعد أيام قليلة أذاع شخصا
نبا رحيله بصفة سرية الى كبار ضباط رياسته ولعل السكون
— سكون الوجوم — الذي ساد الغرفة وقتئذ ، كان أفصح في
تبيان أثر النبأ في نفوسهم ، من أى كلام . . . فقد دل على أن
ويقل ، وان فقد ثقة رئيس حكومته مؤقتا ، فانه لم يفقد ثقة
مرءوسيه ، لأنهم كانوا يعلمون أكثر من أى شخص آخر المصاعب
التي كان يرزح تحت أعبائها .

أمر وداعي — يوليو ١٩٤١

« قبيل مبارحتي الشرق الأوسط ، أود أن أعبر عن شكرى
وامتنانى لجميع الذين أدوا خدمات جليلة مخلصة ، طوال السنتين
اللتين توليت فيهما القيادة العامة . لقد اكتسبنا بعض النجاح العظيم
الذى سيذكره التاريخ ، بفضل مهارتكم ، وشجاعتكم ، والجهد العظيم
الذى بذلتموه . ومنينا ببعض الاخفاق والحيبة ، حينما كان العدو

متفوقا علينا كثيرا فى العدد ، والعدد ، ولم يكن ذلك قط ، بسبب نقص فى صفاتكم الممتازة فى القتال ، أو قلة احتمالكم للشدائد . لقد تجلّت روحكم الرائعة ، ليس فى جبهات القتال الكثيرة فحسب بل وفى الأماكن الواقعة خلف الخطوط ، حيث تجرى أعمال التحضير والامداد والصيانة فى صورة مستمرة ، وهذه لها خطرها وأثرها فى نجاح المعركة . وسأظل دائما فخورا جدا لأنى توليت قيادة القوات فى الشرق الأوسط ، التى لا تمثل بأس «الكومونولث» البريطانى فحسب بل والجنسيات الأخرى ، التى فضلت أن تواصل القتال ، على الاذعان للظلم والعسف .

وانى لعلّ ثقة ، بأنكم ستحافظون على روح الجراءة والاقدام ، وصفات القتال الممتازة ، تحت رياسة خلفى ، وانكم تحت قيادته ستظفرون بانتصارات جديدة . وانى بوصفى القائد العام بالهند ليحدونى الأمل بأن أوصل العمل على التعاون الوثيق القائم الآن بين الشرق الأوسط ، والهند ، التى قامت جيوشها المجيدة ، بذلك الدور العظيم فى الحملة التى دارت عملياتها الحربية هنا .

وانى لأشكركم من صميم قلبى على مامضى ، وأتمنى لكم كل النجاح فى المستقبل . »

اعتراف

لقد اعترف ويقل نفسه ، حديث صحفى ، اعترافا يسترعى الاعجاب لصراحته بما تورط فيه فى خطأ ، ابان قيادته فى الشرق الأوسط . . قال : « لقد أسأت تقدير الوقت والسرعة التى يستطيع بهما الألمان ارسال قوات الى شمال أفريقيا . . . وفى هذه الظروف ، وصف ويقل خطته فى الدفاع عن برقة ، بقوات غير مستكملة التدريب والتسليح ، بأنها كانت خطأ » .

ويقول « دزموند يونج » في كتابه الأخير عن « رومل » :
« ولم يكد يمضى سوى شهرين » على معارك ويقل المظفرة »
حتى سرى في القاهرة رعب وفزع ، وهبطت أسهم بريطانيا بنفس
السرعة التي صعدت بها . وانتشرت تفصيلات الكارثة التي حلت
بالبritانيين . . فأخليت بنغازى لسوء الحظ ، وان كان ذلك
« وفقا لخطة موضوعة » ودمرت الفرقة الثانية المدرعة التي أرسلت
أخيرا من إنجلترا ، وأسر قائدها ومعه هيئة أركان حرب . . وضاعت
البردية ومن ورائها السلوم ، ووقعت كابتزو في أيدي العدو .
وأصبح الخطر الذي يهدد مصر أعظم من ذي قبل .

« وهذه الهزيمة التي لحقت الجنرال ويقل لم تكن سرا غامضا ،
وانما كانت لها أسباب معلومة . فقد أبرقت اليه لندن ، تطلب
اليه ، بعد سقوط بنغازى مباشرة ، أن يبعث على جناح السرعة
بأكبر عدد ممكن من الجيوش البرية والجوية من الشرق الأوسط
الى اليونان . ولقد سحبت هذه القوات فعلا من الفرقة الثانية
المدرعة ، والفرقة النيوزيلندية ، والفرقتين السادسة والسابعة
الاستراليتين ، ثم من اللواء البولندى » وبذلك يكون ويقل على
حد قوله ، قد فقد من الناحية العملية كل الجنود الذين دربوا
وأعدوا لهذه العمليات الحربية » في الصحراء .

« ولعل الحكومة البريطانية ، لأسباب سياسية ، لم تشأ أن تمتنع
عن ارسال قوة الى اليونان ، على الرغم من أن اليونانيين لم
يتحمسوا لها . ولقد جاءت هذه المساعدة غير كافية . وأدى تبديد
الجهود هاهنا وهنالك ، الى الاخفاق فى كلتا الجبهتين .

« فمما لاشك فيه أن خسارة ٤٧٠٠٠ جندي من الجنود المدربين قد أدى الى هزيمة بالغة في الشرق الأوسط .

« قد وقع الجنرال ويثل ، أو قلم مخابراته السرية ، في خطأ ، وهو وحده دون سواه المعلوم على ذلك . اذ استنتج ويثل من المعلومات التي تجمعت لديه ، أن الألمان لن يقوموا بهجوم مضاد قبل شهر مايو على برقة . وفي نهاية فبراير ، عندما أنبىء ويثل بأن الألمان قد استعدوا في ليبيا ، مضى يعتقد أنه لن يكون هنالك أى هجوم عام قبل منتصف ابريل ، وكان يأمل ألا يقوموا بهذا الهجوم قبل مايو . ولكن الهجوم قد بدأ بالفعل في ٢١ مارس » .

قامر... ورج

بل ان رومل قد فاجأ رؤسائه في برلين بالهجوم في هذا الموعد ، فقد كانت تعليماتهم الصريحة اليه تقضى بأن لا يتعدى « أجدابية » ، قبل وصول فرقة البانزر الخامسة عشرة ، وطلب اليه « هالدر » رئيس هيئة أركان الحرب للجيش الألماني أن يبعث اليه بخطته الهجومية لاسترداد برقة ، في وقت لا يتجاوز ٢٠ أبريل لدرسها وبحثها ، ثم الموافقة عليها .

ولكن لدهشة رؤسائه هجم رومل قبل أن يبعث اليهم بخطته المرسومة بتسعة أيام ، واسترد برقة — فيما عدا طبرق — وبلغ الحدود المصرية .

ويقول رجال المخابرات البريطانية في ذلك الوقت : « انه من

الناحية « الأكاديمية » البحتة التي يسير بها أسلوب تقدير الموقف العسكري العادي ، باعتبار القوات التي للجانبين ، وعامل الوقت ، والمسافة ، وبقيّة العوامل الأخرى المعروفة ... كان هجوم رومل لا يمكن أن ينجح • ولكن رومل ، لسوء طالعنا ، قامر ، وربح • أما من الناحية العلمية ، فكان لا ينبغي أن يهاجمنا هكذا سريعا • ولعل رومل عندما جس النبض ووجد أن من السهولة الاستيلاء على أجدابية رتب في عناية خطة استكشاف بارعة تطورت الى معركة هجومية ناجحة •

وان السرعة التي اجتاحت بها رومل برقة قد استرعت نظر العالم ، وذلك لتفوقه في الوحدات المدرعة تفوقا لا مثيل له ، بل ظل بها سيد الموقف في الصحراء ، حتى وصلت دبابات « شيرمان » قبيل معركة العلمين •

أما قيادة وحداته المدرعة ، القليلة العدد ، فتتسم بالبراعة ، والجرأة ، ضد جنود غير مدربين ، وتحت قيادة قواد لم يسبق لهم حتى مشاهدة مناورة على نطاق واسع ، للنقص الذي كان بارزا في سلاح الدبابات •

ويشل عبقرية عسكرية

أما في محيط الاستراتيجية فقد وجد رومل صنوه في شخص ويشل • فان قرار الاحتفاظ بطبرق كان لاريب قرارا جريئا ، في هذه الظروف ، فقد ظل دفاع حاميتها المجيد يهدد خطوط مواصلاته مما كان له أثر في تأجيل هجومه • بل لعله كان عاملا في تأمين سلامة

مصر ... لقد كان رومل فى أحاديثه لنجله يذكر دائما بأن ويقل قائد من أعلى طبقة ، بل « عبقرية عسكرية » • ويقول « دزموند يونج » : أنه عثر فى مكتبة رومل على رسالة ويقل فى « فن القيادة » مترجمة الى الألمانية طبعة زيورخ سنة ١٩٤٢ •

فى منتصف مايو قبل وصول الدبابات من انجلترا ، رأى ويقل أن الفرصة سانحة لمهاجمة قوات رومل الأمامية التى ترابط على الحدود عند « السلوم » • وان الظروف مواتية لذلك ، فتم له الاستيلاء على « السلوم » ، و « كابتزو » ، بقوات صغيرة مؤلفة من دبابات المشاة ، ودبابات « الكروزر » ، ولكن فى اليوم التالى ، أجبرهم رومل بقوة مدرعته على الانسحاب • وفى ٢٧ مايو طرد البريطانيين من « ممر حلفاية » •

ولقد كان ويقل مهتما باسترداد برقة ، أو على الأقل ، حتى يصل الى طبرق ، وكثيرا ما استحثته لندن ، للمبادرة باجراء هجوم فى أقرب وقت • ولاسيما وقد بات لديه دبابات جديدة ، تكفى لاعادة تسليح الفرقة السابعة المدرعة التى كانت خارج الجبهة منذ الانتصار على قوات جرازيانى •

كانت هذه الفرقة تعوزها المهمات والعتاد ، فلم يكن بها دبابات ولا جهازا لاسلكية لمواصلة التدريب • بل ان بعضا من الدبابات الجديدة كانت من طراز غير معروف ، ولا مألوف ، فى الشرق الأوسط ، وبينها الكثير الذى يعوزه الاصلاح ، والجميع فى حاجة الى التزود « بمرشحات الرمال » ، ووسائل « التمويه » الصحراوية ،

وكان بعض رجالها أجانب عن بعض ، كما كانت الدبابات غريبة عليهم •

وكان تقدير الموقف ، يسجل للألمان ٢٢٠ دبابة متوسطة ، و ٧٠ خفيفة ، مقابل ٢٠٠ دبابة للبريطانيين • ولذلك فإن قرار الهجوم كان قرارا جريئا ، ان لم يكن أكثر من ذلك ... هذا الى أن ويثقل حاول اشراك لواءين مدرعين ، أحدهما مسلح بدبابات « كروزر » وسرعتها من ١٥ الى ٢٠ ميل في الساعة ، ومدى عملها من ٨٠ الى ١٠٠ ميل ، مع لواء مشاة وسرعتها ٥ أميال في الساعة ، ومدى عملها — بدون التزود بالبنزين — هو ٤٠ ميلا فقط ... كان هذا الاجراء يشبه ربط قدمي رجل ، وولد صغير ، في سباق « الثلاث الأرجل » ليجريا معا مسافة مائة ياردة . هذا الى أن الألمان كان لديهم سلاح سري يخفونه ، هو المدفع ٨٨ ملميمتر الذي يستطيع أن يؤدي مهمتين : ضد الطائرات ، وضد الدبابات ، فاذا استخدمت فيه الذخيرة الخارقة للمصفحات ، تفد من دبابات البريطانيين كما ينفذ السلاح المرهف في الزبد ... لقد كان هذا المدفع مفاجأة للبريطانيين ، وظل سلاحا مرعبا ، بل « ماردا مخيفا » لقواد الدبابات وغيرهم ، حتى نهاية الحرب •

ولقد أحرزت « عملية البلطة » نجاحا مبدئيا ، ولكنها باءت بفشل مشئوم ، آخر الأمر ، لخسائر البريطانيين البالغة • وان كان مما يسترعى الاهتمام ، رأى « رومل » في هذا الهجوم ... فقد قيل انه كان يرى فيه خطرا ، وأورثه بعض القلق ، كما روى الجنرال « هالدر » الألماني لمؤرخ رومل •

وان الجنرال الألماني « فون رافنشتين » يعتقد أن ويشل أخطأ في عملية هجوم الدبابات على « النقطة الوحيدة القوية » ، ألا وهي « ممر حلفاية » ... ويرى أن حركة الالتفاف حول الطرف الجنوبي من الهضبة ، كان ينبغي أن تكون على نطاق أوسع ... ولو علم ويشل أن مدافع ٨٨ مم كانت كامنة وراء ممر الحلفاية لتركها وشأنها •

ولعله من بواعث الرضا لرجل مثل « ويشل » أن يعلم بأن « عملية البلطة » قد أورثت « رومل » بعض القلق •

ويجدر بنا أن نسجل هنا قصة « عملية البلطة » كما رواها المستر تشرشل ، رئيس الحكومة وقتئذ ، مدعماً بالبرقيات الرسمية التي تبودلت في ذلك الحين ، ثم نحفظ بتعقينا عليه ، بعد أن نسمع روايته كاملة ، كما فصلها في الجزء الثالث من مؤلفه عن « تاريخ الحرب العالمية الثانية » الذي صدر أخيراً في منتصف سنة ١٩٥٠ • ثم ندرس البواعث التي حدثت به إلى اتخاذ قراره الخاص باعفاء ويشل من قيادة الشرق الأوسط ... فلقد كان تشرشل ، وما زال ، هدف نقد مريب ، بتصرفه هذا من نواح كثيرة ، ولعل أهون نقد هو ماجرى على لسان « ألن مورهد » المراسل الحربى الذائع الصيت الذى ألف عدة كتب في حروب الصحراء وغيرها ، ويكاد يجمع النقاد على أنه من أعظم مراسلى الحرب العالمية الثانية ، ان لم يكن أعظمهم ... قال في الفصل الثامن من كتابه الذى ترجم فيه للمارشال موتجمرى :

« كان تشرشل حاكماً صلب الفكر ، متقلب الرأى • لقد أجبر

ويشل ، رغم ارادته ، على القتال في اليونان ، بدلا من مواصلة الزحف الى طرابلس . ولما أخفق — وكان لا بد له أن يخفق — أقاله تشرشل ... لقد سرى في الجيش ، وقتئذ ، شعور أليم ، لم يكن باعثه أن السياسيين قد أرغموا العسكريين على الذهاب الى اليونان فحسب ، بل لأن المستر ايدن ، وزير الخارجية ، قد أساء كثيرا تقدير الموقف في البلقان ... لقد زار ايدن تركيا ، وقابل وزير خارجيتها في قبرص ، ولدى عودته الى القاهرة تحمس كثيرا للفكرة القائلة بأن تركيا سوف تساعدنا اذا ما قمنا بارسال حملة الى اليونان ... وكان هذا الزعم ، بالطبع غير صحيح . وكانت النتيجة ، آخر الأمر ، أن بقي ايدن ، وذهب ويشل ... »
ويؤيد هذا الرأي الذي ذهب اليه « الن مورهيدي » ، مترجم « رومل » البريجادير « دزموند يونج » الذي سلفت الإشارة اليه اذ يقول :

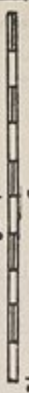
لقد ألقى على عاتق ويشل ، مثل كثير من القواد البريطانيين ، في مراحل الحروب الأولى ، تبعات لا تتكافأ مع موارده اطلاقا ، فنهض بهذه التبعات دون أن تبدر منه شكوى . وفي هذه الأثناء ، اشتعلت ثورة العراق ، ثم حرب صغرى ضد قوات فيشي في سوريا ، وبعد أن أفلح في اخماد هذه الحروب الأخيرة أعفى من القيادة . ومهما تكن بواعث هذه الاقالة ، وقربها أو بعدها عن الحقيقة ، أكان سببها حاجة ويشل الى الراحة ، أو أن نقله كان بمثابة ترقية لينهض بتبعات أضخم ؟ فان هذا لم يغير من شعور الجنود في الشرق الأوسط ، بأنه قد استبعد لأنه لم يصنع المستحيل في اليونان ...

وهذه لم تكن آخر مرة يعامل فيها ويقل بمثل هذه المعاملة ،
البعيدة عن أصول اللياقة من جانب حكومة بلاده ، بعد أن يكون
قد أدى لها أجل الخدمات » •

مجهود ويقل الأخير

في ساعة مبكرة من صباح يوم ١٥ يونيه بدأت « عملية
البلطة » • وكان الجنرال كراي يقود مدرعاتنا ، والجنرال
« مسيرقي » يقود الفرقة الهندية الرابعة ولواء الحرس الثاني
والعشرين ، وكانت القوة كلها وعدد أفرادها نحو خمسة وعشرون
ألف رجل بقيادة الجنرال « برسفورد — بيرس » • وسار القتال
باديء ذي بدء ، سيرا حسنا ، ومع أن دفاعات العدو حول حلفاية
قد صمدت في مواجهة القوة المشتركة من الشمال والجنوب ،
لكن لواء الحرس نجح في الاستيلاء على « كابتزو » بعد الظهر ،
وأسر مئات عديدة من جنود الأعداء • وتحرك جزء من هذا اللواء
أيضا لمواجهة الدفاعات الغربية في السلوم ، ولكن أوقفهم العدو •
وتحرك اللواء المدرع السابع تحت حماية الجناح الخارجي فوصل
الى موقع غربى « كابتزو » بدون أن تعترضه دبابات العدو •
ويوم ١٦ يونية لم يحدث أى تقدم • وظلت الحلفاية والسلوم صامدتين
في وجهنا ، وظهرت بعد الظهر قوة قوية من دبابات العدو وكانت
نيتها واضحة وهى : « تطويق جناح هجومنا من الغرب » • فتحركت
الفرقة المدرعة السابعة ، ومعها اللواء والجماعة المساعدة ، لمواجهة
هذا التهديد ، فاشتبكوا مع العدو بالقرب من سيدى عمر ،
ولكن العدو تفوق عليهم في العدد فاضطروا الى الانسحاب •

ميدى عرين



طريق
١٠ ميل

جديد

الافتتاح والبريطاني
الانشاء
هجوم العدو
مواقع حصينه العدو



السلوم
خليج السلوم

كابيتو

٧١٠
٧١١
٧١٢
٧١٣
٧١٤
٧١٥
٧١٦
٧١٧
٧١٨
٧١٩
٧٢٠
٧٢١
٧٢٢
٧٢٣
٧٢٤
٧٢٥
٧٢٦
٧٢٧
٧٢٨
٧٢٩
٧٣٠
٧٣١
٧٣٢
٧٣٣
٧٣٤
٧٣٥
٧٣٦
٧٣٧
٧٣٨
٧٣٩
٧٤٠
٧٤١
٧٤٢
٧٤٣
٧٤٤
٧٤٥
٧٤٦
٧٤٧
٧٤٨
٧٤٩
٧٥٠
٧٥١
٧٥٢
٧٥٣
٧٥٤
٧٥٥
٧٥٦
٧٥٧
٧٥٨
٧٥٩
٧٦٠
٧٦١
٧٦٢
٧٦٣
٧٦٤
٧٦٥
٧٦٦
٧٦٧
٧٦٨
٧٦٩
٧٧٠
٧٧١
٧٧٢
٧٧٣
٧٧٤
٧٧٥
٧٧٦
٧٧٧
٧٧٨
٧٧٩
٧٨٠
٧٨١
٧٨٢
٧٨٣
٧٨٤
٧٨٥
٧٨٦
٧٨٧
٧٨٨
٧٨٩
٧٩٠
٧٩١
٧٩٢
٧٩٣
٧٩٤
٧٩٥
٧٩٦
٧٩٧
٧٩٨
٧٩٩
٨٠٠
٨٠١
٨٠٢
٨٠٣
٨٠٤
٨٠٥
٨٠٦
٨٠٧
٨٠٨
٨٠٩
٨١٠
٨١١
٨١٢
٨١٣
٨١٤
٨١٥
٨١٦
٨١٧
٨١٨
٨١٩
٨٢٠
٨٢١
٨٢٢
٨٢٣
٨٢٤
٨٢٥
٨٢٦
٨٢٧
٨٢٨
٨٢٩
٨٣٠
٨٣١
٨٣٢
٨٣٣
٨٣٤
٨٣٥
٨٣٦
٨٣٧
٨٣٨
٨٣٩
٨٤٠
٨٤١
٨٤٢
٨٤٣
٨٤٤
٨٤٥
٨٤٦
٨٤٧
٨٤٨
٨٤٩
٨٥٠
٨٥١
٨٥٢
٨٥٣
٨٥٤
٨٥٥
٨٥٦
٨٥٧
٨٥٨
٨٥٩
٨٦٠
٨٦١
٨٦٢
٨٦٣
٨٦٤
٨٦٥
٨٦٦
٨٦٧
٨٦٨
٨٦٩
٨٧٠
٨٧١
٨٧٢
٨٧٣
٨٧٤
٨٧٥
٨٧٦
٨٧٧
٨٧٨
٨٧٩
٨٨٠
٨٨١
٨٨٢
٨٨٣
٨٨٤
٨٨٥
٨٨٦
٨٨٧
٨٨٨
٨٨٩
٨٩٠
٨٩١
٨٩٢
٨٩٣
٨٩٤
٨٩٥
٨٩٦
٨٩٧
٨٩٨
٨٩٩
٩٠٠
٩٠١
٩٠٢
٩٠٣
٩٠٤
٩٠٥
٩٠٦
٩٠٧
٩٠٨
٩٠٩
٩١٠
٩١١
٩١٢
٩١٣
٩١٤
٩١٥
٩١٦
٩١٧
٩١٨
٩١٩
٩٢٠
٩٢١
٩٢٢
٩٢٣
٩٢٤
٩٢٥
٩٢٦
٩٢٧
٩٢٨
٩٢٩
٩٣٠
٩٣١
٩٣٢
٩٣٣
٩٣٤
٩٣٥
٩٣٦
٩٣٧
٩٣٨
٩٣٩
٩٤٠
٩٤١
٩٤٢
٩٤٣
٩٤٤
٩٤٥
٩٤٦
٩٤٧
٩٤٨
٩٤٩
٩٥٠
٩٥١
٩٥٢
٩٥٣
٩٥٤
٩٥٥
٩٥٦
٩٥٧
٩٥٨
٩٥٩
٩٦٠
٩٦١
٩٦٢
٩٦٣
٩٦٤
٩٦٥
٩٦٦
٩٦٧
٩٦٨
٩٦٩
٩٧٠
٩٧١
٩٧٢
٩٧٣
٩٧٤
٩٧٥
٩٧٦
٩٧٧
٩٧٨
٩٧٩
٩٨٠
٩٨١
٩٨٢
٩٨٣
٩٨٤
٩٨٥
٩٨٦
٩٨٧
٩٨٨
٩٨٩
٩٩٠
٩٩١
٩٩٢
٩٩٣
٩٩٤
٩٩٥
٩٩٦
٩٩٧
٩٩٨
٩٩٩
١٠٠٠

ميدى عرين

مكة
البحر

لواء المصارف

ميدى سليمان

لواء المدع
المسابع

مجموعة لواء
الضرب والمواء
المدع الرابع

وبهذا الانسحاب تعرض للخطر جناح الهجوم الذى كانوا يقومون بحمايته .

وفى اليوم التالى أى ١٧ يونيه سار كل شىء على عكس ما نرجو . ففى الصباح كان لواء الحرس ما زال باقيا فى « كابتزو » ومتجها للسلوم . فأخذت « كابتزو » منهم بقوة هائلة ويقال أنه كانت تصحبها مائة دبابة قوية . واللواء المدرع السابع ومعه نحو عشرين دبابة كروزر لاغير وهى الدبابات الباقية الصالحة للعمل ، قد قضى الليل بالقرب من « سيدى سليمان » . لكن قوة العدو التى أرجعتهم ليلا من « سيدى عمر » واتخذت طريقها فى اتجاه الحلفاية ، هددت بفصل لواء الحرس عن باقى القوة . فرأى الجنرال كراى اجراء هجوم باللواء المدرع السابع من الجنوب ، وسحب اللواء المدرع الرابع المعين للتعاون مع لواء الحرس ، ليقوم بالهجوم من الشمال . وما كاد اللواء الرابع يبدأ بالانسحاب حتى ظهر قول مدرع من قوات العدو قادما من الغرب ومهددا لجنب الحرس فتمكن اللواء المدرع من صد هذا الهجوم ، ولكن ضغط العدو استمر ، وأنبا « مسيرفى » الجنرال « كراى » بأنه لا يسعه أن يترك اللواء مخافة أن يعزل العدو المشاة .

فى هذه اللحظة الحاسمة طار الجنرال ويثلى الى مقر رئاسة المعركة الخاص بالجنرال « برسينفورد - بيرس » . وكان لا يزال يأمل أن يتحول الموقف بهجوم كراى المدرع . فركب طائرته وطار الى الفرقة المدرعة السابعة . وما كاد يصل حتى علم أن الجنرال مسيرفى قد قرر مستقلا ، وعلى مسئوليته الخاصة ، بأنه ازاء

التهديد المزدوج ، على جناحه ومؤخرته ، الذى يقدر بنحو مائتى دبابة ، لايسته الا التراجع السريع كى يتفادى « تطويق » العدو له ، وأصدر أوامره على هذا الأساس . وكان ويثقل فى الصحراء ومعه كراى حينما واجهته هذه الحقيقة ، فوافق على القرار . لقد فشلت الضربة التى أعدناها ، وجرى انسحاب القوة كلها فى نظام جيد ، تحميها الطائرات المقاتلة . ولم يبذل العدو أى ضغط فى المطاردة ، ولعل بعض السبب أن دباباته لاقت هجوما عنيفا من قاذفات السلاح الجوى الملكى . وكان ثمة سبب آخر على الأرجح . فاننا نعرف ، الآن ، أن أوامر رومل كانت تقضى باتباع مجرد الدفاع البحت ، وتحضير الموارد للعمليات المزمع اجراؤها فى الخريف . لذلك يكون القيام بمطاردة قوية عبر الحدود ، وتكبد الخسائر ، عملا مخالفا مخالفة صريحة للأوامر .

ان سياسة وقاية جنودنا بالطائرات المقاتلة وقاية « وثيقة » كانت ذات أثر مجدى ، لكنها أدت الى التوزيع والتشتيت ، ووقوع نسبة عالية من الخسائر . ولما بدا فى اليوم التالى أن العدو قد زاد مجهوده الجوى ، تقرر اجراء تعديل فى سياستنا . فبينما تستمر كمية معينة من الطائرات فى أعمال الوقاية ، تستخدم وحدات كبيرة منها فى عمليات هجومية ، وتتوغل فى الميدان . ولما بدأ الانسحاب فى يوم ١٧ لم تقتصر أعمال مقاتلاتنا على صد ثلاث هجمات من كل أربع هجمات يقوم بها العدو ، بل وتعاونت أيضا مع القاذفات . وكثيرا ما كانت تطير على ارتفاع منخفض لضرب قوات العدو . فلا ريب أن هذه الهجمات قد عرقلت

تحركات العدو ، وكبدته خسائر فادحة . وقد أدى طيارونا خدمات جلية للقوات المنسحبة ، ولكن كانت تعيقها صعوبة التمييز بين قواتنا وقوات العدو .

وكانت خسائرنا في الأيام الثلاثة التي دارت فيها المعركة لم تتجاوز الألف جندي الا قليلا ، منها : ١٥٠ قتيل ، و ٢٥٠ مفقودين . وخسرنا ٢٩ دبابة كروزر ، ٥٨ دبابة مشاة ، وكانت خسائرنا في الدبابات الكروزر بسبب العدو . أما معظم الخسائر في دبابات المشاة ، فبسبب عطل ميكانيكى ، ولم تتوافر لدينا حمالات لنقل هذه الدبابات المعطلة . ويقال ان ما لا يقل عن مائة دبابة من دبابات العدو قد تعطلت ، و ٥٧٠ رجلا أخذوا أسرى ، ودفنت جثث عدد كبير من موتاهم .

ومع أن هذه العمليات قد تبدو صغيرة اذا ما قورنت بمدى القتال في البحر الأبيض المتوسط ، وحملاته المختلفة ، ولكن هذا الفشل كان لى (لتشرشل) ضربة قاسية . فالنجاح في حرب الصحراء كان معناه القضاء على قوات رومل الجريئة . وكان يعنى انقاذ طبرق ، وتراجع العدو الى الخلف والى ما وراء بنغازى بمثل السرعة التى أتى بها . فانا ابتغاء تحقيق الغاية السامية كما رأيتها ، قد قبلنا مواجهة أخطار ارسال القوافل عبر البحر الأبيض ، لنضمن ايصال « الدبابات » . ولم تصلنى الأنباء يوم ١٧ ، ولعلمى بأنها لا بد آتية قريبا ، توجهت الى « تشارت ول » ، وكانت رغبتى أن أقفرد بنفسى . وهناك وصلتنى أنباء ما حدث ،

فتجولت في الوادي طوال عدة ساعات وأنا أشعر بضيق شديد
واكتئاب .

والتقاريء الذي تتبع البرقيات ، التي تبودلت بيني وبين
الجنرال ويثقل ، ورؤساء أركان الحرب ، يكون مهياً الذهن لتلقى
قراري الذي اتخذته في الأيام العشرة الأخيرة من شهر يونيه ١٩٤١ .
وكنّا في انجلترا نشعر أن ويثقل رجل أضناه التعب . ويجوز أن
يقال أننا ركبنا الجواد الطائع ، حتى كلّ عن المسير .
(أي استخدمنا الجنرال ويثقل استخداما متواصلا حتى وهت
قواه من شدة التعب) .

ان خمسة أو ستة ميادين مختلفة من مسارح القتال في آن
واحد ، وما يتخللها من ارتفاع وهبوط ، وعلى الأخص الهبوط ،
على قائد أعلى واحد يخلق ضغطا واجهادا لم يصادفه سوى عدد
قليل جدا من الرجال العسكريين . وكنت غير مطمئن للتحضيرات
التي أعدها ويثقل للدفاع عن كريت ، وخصوصا وانه لم يرسل
اليها بضع دبابات اضافية . وان رؤساء أركان الحرب قد غلبوا
رأيهم عليه في مشروع قوة العراق الصغيرة التي أسعدها الحظ ،
فنتج عنها انقاذ الجبانية ، وادراك نجاح محلي شامل . فان احدى
برقيات رؤساء أركان الحرب أثارت ، حتى انه طلب اقالته ، دون
الحاح ، وأنا لم أرفضها . وأخيرا جاءت « عملية البلطة » التي
اضطلع بها ويثقل ، وأنا غير عابئ بالأخطار التي تجسّمها بنجاح ،
حين أرسلت اليه الدبابات . ولم ترق في نظري الترتيبات التي
أجراها أركان الحرب برياسة الشرق الأوسط من استقبال

« الدبابات » التى شحنتها لمساعدته عبر البحر الأبيض المتوسط الملىء بالأخطار الفاتكة ولكن حالفنا الحظ كثيرا . وقد أعجبت بالروح التى قاتل بها ويثقل فى هذه المعركة الصغيرة ، والتى كان يحتمل أن تتحول الى موقعة كبيرة الأهمية ، كما أعجبت باستخفافه المتناهى بما يتعرض له شخصا من الأخطار فى طيرانه ذهابا وإيابا ، عبر ميدان القتال المترامى الأطراف والذى يسوده الاضطراب الناشئ عن دوران رحى القتال فيه . وبدأت العملية — كما سبق وصفها — سيئة التوافق وخصوصا بسبب التقصير فى اعداد قوة تخرج من طبرق وقت العملية ، وهذا عمل من الأعمال التمهيدية البديهية اللازمة التى لاغنى عنها .

وهناك فوق كل هذه الاعتبارات مسألة ضرب رومل « لجناح الصحراء » ، (يقصد هجومه الأول المفاجئ) وهو العمل الذى زعزع أركان المشاريع اليونانية التى كنا شرعنا فى تنفيذها فعطلها ، وهى المشاريع المخفوفة بالأخطار القائمة ، والغنائم البراقة ، والتى كانت فى نظرنا المحور السامى لحرب البلقان ، فان الجنرال « ايسماى » (ضابط الاتصال بينه وبين رؤساء أركان الحرب ، ومستشاره العسكرى) الذى كان على اتصال وثيق بى فى كل يوم قد كتب يقول : « وكلنا الذين فى المركز المتوسط ، حتى أصدقاء ويثقل الأخصاء ومستشاروه ، قد تبادر الى أذهاننا بأن نفس ويثقل قد تأثرت تأثرا عميقا بسبب الانكسار الذى أصاب « جناح الصحراء » الذى أنشأه . لقد كانت مخابراته مخطئة وجاءت الوثبة المباغتة كفجأة تامة له . ويخيل الى أنى سمعت ايدن يقول

« ان ويثقل قد كبر عشر سنوات ، فى ليلة واحدة » وذكرنى أحدهم بأنى علقت على ذلك بقولى : « لقد نزع رومل من جبين ويثقل أكاليل الغار ، وقذف بها على الرمال » . وهذا لم يكن رأيا صحيحا ، بل مجرد غصة عابرة . والحكم على كل هذا يجب أن يكون مبنا على الوثائق التى كتبت حينذاك ، والتى يتضمنها هذا الكتاب ، وكذلك على البيانات القيمة التى سيكشف عنها الزمن . والحقيقة الواقعة أنى بعد « عملية البلطة » قدرت بأنه ينبغى أن يحدث تغيير .

فى هذه الآونة كان الجنرال « أوكنلك » قائدا عاما فى الهند ، ولم يرضنى تماما موقفه فى حملة الترويج ، بنارفيك . فقد بدا لى أنه شديد الاهتمام بالسلامة ، وبالتمسك بالأمر المضمون المحقق وهذان أمران لا كيان لهما فى الحرب ، وعلى أى حال فقد تأثرت كثيرا بصفاته الشخصية ، ومظهره ، وسمو أخلاقه . فانه حينما تولى القيادة الجنوبية بعد نارفيك تلقيت من مصادر عديدة ، رسمية ، وخاصة ، ما يشهد له بالنشاط ، والقدرة الانشائية فى هذه المنطقة الهامة التى تركها . وقد لاقى تعيينه قائدا عاما فى الهند الاستحسان الاجماعى . لقد لمسنا مبلغ اهتمامه ، والحافه فى موضوع ارسال القوات الهندية الى البصرة ، كما رأينا نشاطه ، وكيفية مباشرته العمل ، لاختماد ثورة العراق . ولقد كنت مقتنعا ، بأنى اذا أحضرت أوكنلك فانى أجلب شخصية جديدة ، نضيرة مستجمة تنهض بالجهد المعقد فى الشرق الأوسط ، وان ويثقل سيجد فى القيادة الهندية العظيمة الوقت الكافى ليستجهم قبل

ما تبدأ المشاكل والحوادث . وألفت أن وجهة نظرى هذه لم تصادف
أى اعتراض من دوائرنا الوزارية ، أو فى دوائر لندن العسكرية .
ويجب على القارئ ألا ينسى أنى لم أمارس قط سلطات دكتاتورية
مطلقا ، وكنت أعتمد دائما على الآراء السياسية والمهنية .
وبناء على ذلك أرسلت البرقيات الآتية :

من رئيس الوزراء الى الجنرال ويقل :

٢١ يونيه سنة ١٩٤١

لقد وصلت الى قرار مؤداه أن من الصالح العام ، تعيين الجنرال
أوكنلك ، ليحل مكانك ، فى قيادة جيوش الشرق الأوسط . لقد
اعجبت كثيرا بقيادتك ، وبكيفية ادارتك للجيش فى حالتى اليسر ،
والعسر . وان الانتصارات التى ستظل مقرونة باسمك ستبقى
ماثورة فى تاريخ الجيش البريطانى ، كما انها كانت مساهمة هامة
لبلوغ النصر النهائى ، فى هذه الحرب العتيدة . وأشعر بأنه بعد
الجهد الطويل ، الذى بذلته بأن الحال تحتاج الى عين جديدة ، ويد
جديدة ، فى هذا المسرح الذى يلقى اشد وأخطر تهديد . وانى لوائق
بأنك أحسن رجل بلا نزاع وأعظم ضابط ممتاز لماء وظيفة القائد
العام بالهند الخالية الآن . لقد استشرت نائب الملك فى الأمر ، وهو
يؤكد ان توليك هذا المنصب العظيم والاضطلاع بواجباته سيلقى
استقبالا حارا بالهند . ويضيف الى ذلك بأنه شخصا سيكون
فخورا بالعمل مع شخص - حسب تعبيره - له « سجل لامع »
مثلك . لذلك أقترح عرض اسمك على جلالة الملك لموافقه على
هذا التغيير .

ثانيا - سيصدر الأمر الى الجنرال « أوكنلك » بالقيام الى
القاهرة فورا ، حيث تطلعه على الموقف بأجمعه ، وتتفق واياه على
التدابير للمستقبل التى تسير عليها أنت واياه ، لمواجهة الهجوم
الذى اتضح الآن بأنه قريب الوقوع . وأملى أن يصل أوكنلك بطريق

الجو فى خلال الايام الاربعة أو الخمسة الآتية على اكثر تقدير .
وبعد تسوية كل شىء معه ، ينبغى أن تقوم بأول فرصة ملائمة لك الى
الهند . ولن ينشر نبأ هذا التغيير ، بل يجب أن يبقى سرا خفيا حتى
يستقر كلاكما ، فى مركزيكما .

من رئيس الوزراء الى نائب الملك بالهند :

٢١ يونيه ١٩٤١

تكرم بتبليغ الآتى للجنرال « أوكنلك » ، وقد أبرقت بالموضوع
للجنرال ويقل . بعد البحث الدقيق لكافة الظروف ، قررت عرض
اسمك على جلالة الملك لتتولى قيادة جيوش جلالته بالشرق الأوسط .
فينبغى أن تقوم فوراً الى القاهرة لتحل محل الجنرال ويقل .
ويخلفك الجنرال ويقل كقائد عام بالهند . فينبغى أن تتداول وایاه
فى الموقف كله ، وأن تتفق وایاه على التدابير التى ستتخذانها سوياً ،
لايقاف تحرك الجيوش الألمانية شرقاً ، وقد أصبح من الواضح
اقتراب حدوثها . وأرجوك أن تخطرني اثر وصولك . ويجب أن
يظل هذا التغيير سرا مطلقاً ، الى أن تستقر فى مركزك الجديد .

وقد تلقى ويقل القرار باتزان وعزة نفس . وكان حين ذاك على
وشك الطيران الى الحبشة ، وقد اتضح أن هذه الرحلة كانت
شديدة الخطر بدرجة متناهية . وقد ذكر الرجل الذى ترجم حياته
أنه بعد قراءة الرسالة قال : « ان رئيس الوزراء على حق مبين .
يجب أن تكون فى هذا المسرح عين جديدة ويد جديدة » وفيما
يتعلق بالقيادة الجديدة لقد وضع نفسه كلية تحت تصرف حكومة
جلالة الملك .

وكنت فى هم متناه وضيق طوال الأشهر الأخيرة ، بسبب عدم
الكفاية الملموسة فى هيئة أركان حربنا فى القاهرة ، وكنت أزداد

أدراكاً ، يوماً بعد يوم ، بوطأة الأعباء الثقيلة المختلفة الأشكال والأنواع الملقاة دون مسوغ على كاهل قائدنا العام المجاهد ، فانه وغيره من القواد قد طلبوا إلينا منذ ١٨ ابريل أن نسدى اليهم شئ من المعونة والتخفيف . وقد أيد اثنان من زملاء ويشل في المهنة وجهة نظره : « اننا نرى من الضروري انشاء نوع من السلطة هنا لتتصرف بالأمور ذات الوجهات السياسية التى تختص بأكثر من مصلحة واحدة ، أو اقليم واحد ، وذلك ضمن الخطوط الرئيسية للسياسة التى ترسمها حكومة جلالة الملك . وهذا يستلزم طبعاً أن يكون صاحب هذه السلطة مسئولاً لدى وزارة الحرب مباشرة وليس لدى وزارة أخرى من الوزارات » . وفى أثناء زيارة المستر ايدن شعر القواد بما فى وجود سلطة سياسية عليا ، من سهولة ويسر ، وقد أحسوا بالفراغ بعد سفره .

ولما حل اليوم الرابع من شهر يونيه كنت قد عينت الجنرال « هاننج » فى وظيفة غير عادية أنشأتها باسم « جنرال مشرف » . وكان قد سبق انتداب هذا الضابط للعمل نيابة عن رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية بالوزارة أثناء غيابه ، ولذلك كان ملماً باجراءات « وزارة الحرب » وبوجهات النظر الواسعة فى الحرب . وكان أملئ أن يكون قادراً على تخفيف عبء شئون التموين والامداد ، والادارة الفنية ، عن كاهل الجنرال ويشل .

وكنيت أقصد أن يقوم بقلب الأداة الادارية المختصة بمؤخرة الجيش بأسرها واصلاحها ، وأن يعنى عناية خاصة بالمؤسسات المختصة باصلاح الدبابات والطائرات ، العظيمة الأهمية ، وبتطور

السكك الحديدية ، والطرق ، والمرافق ، الآخذة في النمو
المطرد ، بذات اخلاء القواد من عدد وفير من الأمور التفصيلية
ليتفرغوا لشئون القتال فقط .

ثم أن ابني « راندولف » — الذي التحق بالكوماندوس
وكانت هذه الهيئة موزعة نوعا في هذه الآونة — كان يخدم
في هذا الوقت في الصحراء ، وكان عضوا بمجلس العموم ، كما كانت له
اتصالات كثيرة ، ولم يكن يكتب لى ويوافيني بالأبناء ، بل انه كان
لا يكتب الا نادرا . وفي ٧ يونية تلقيت من وزارة الخارجية البرقية
الآتية الصادرة من القاهرة ، وقد كتبها ابني بمعرفة سفيرنا السير
« ميلز لامبسون » وبتشجيعه .

شخصى وسرى • من راندولف تشرشل الى رئيس الوزراء :

انى لا ارى كيف نستطيع ان نبدا بكسب الحرب في هذه الجهات
قبل ارسال موظف مدنى كفاء ليدلى من يوم الى يوم بالتوجيه
السياسى والاستراتيجى . لماذا لا يرسل احد افراد « وزارة الحرب »
ليتولى رئاسة مجهود الحرب جميعه ؟ وانه سيحتاج ، بجانب موظفى
مكتبه الخاص ، الى رجلين للقيام بتنسيق التمويل ، والرقابة المباشرة
على المطبوعات وخلافها ، والمخابرات ، والدعاية . ان غالبية ذوى
الرأى هنا يدركون الحاجة الى احداث اصلاح انقلابى وفقا
لهذه الأسس .

ان مجرد نقل الموظفين من مكان الى مكان لم يعد كافيا ، والوقت
الحاضر يبدو صالحا وملثما بوجه خاص لاحداث تغيير فى النظام .
ارجوكم أن تسامحنى لازعاجكم ، ولكنى ارى أن الموقف الحاضر محزن
وان السرعة فى العمل أمر حيوى لتحقيق النجاح .

وان الحقيقة الواقعة التى أشارت اليها البرقية قد ركزت

الموضوع فى ذهنى • وقد أرسلت الرد بعد أسبوع فقلت : « لقد أمعنت النظر طوال فترة من الزمن فى الموضوع الذى تضمنته برقيتك المفيدة المبينة على تفكير سديد ، وبمقتضاها شرعت بالعمل » .

و كنت فيما مضى قد ألحقت الكابتن « أوليفر ليتلتون » بخدمة الحكومة كرئيس للجنة التجارية وذلك فى أكتوبر عام ١٩٤٠ • فقد عرفته منذ طفولته • فان أباه « الفريد ليتلتون » كان وزيرا لشئون المستعمرات بوزارة مستر بلفور عام ١٩٠٤ ، وكان قبل انقسام « الهوم رول » شابا يعمل سكرتيرا خاصا لمستر « جلادستون » • وظل سنوات عديدة عضوا بارزا فى مجلس العموم ، وهكذا نشأ ابنه فى جو سياسى • وقد خدم الابن بوحدة « الجرانديرز » فى أخرج أوقات القتال فى الحرب العالمية الأولى ، وجرح ، وقد أنعم عليه عدة مرات بوسامات مختلفة •

وبعد تركه الجيش ولج باب الأعمال الحرة فصار مديرا لمتجر كبير للمعادن • ولعلمى بصفاته الشخصية الرائعة ، لم أتردد فى ادخاله البرلمان واعطائه مركزا كبيرا • ولما كان رئيسا للجنة التجارية نال بحسن ادارته الاحترام من جميع الأحزاب فى حكومتنا القومية • هذا وان لم ترضنى اقتراحاته عام ١٩٤١ بخصوص « بطاقات الملابس » لكنى وجدت أنها صادفت رضى الوزارة ومجلس العموم ، وليس ثمة شك بأنها كانت ضرورية حين انشائها • فان اختيارى اياه — الخارج عن المعتاد — لعضوية البرلمان ، قد بررته النتائج ، هذا ولو أنه كان يحتاج الى دراية كثيرة ، بوصفه حديث

العهد فى هذا المجلس . لقد كان رجلا يصلح لكل نوع من الأعمال ، وشعرت الآن بأنه لائق من جميع الوجوه للوظيفة الجديدة المستحدثة ، كوزير بوزارة الحرب ، مقيم بالشرق الأوسط . وهذا يزيح عن كواهل الرؤساء العسكريين قسما آخر كبيرا من الأعباء الجسام . وقد وجدت من زملائى فى مختلف الأحزاب قبولاً لهذه الفكرة ورضاء تاماً بها . وبناء على ذلك :

من رئيس الوزراء الى الجنرال ويقل :

٢٩ يونيه سنة ١٩٤١

لقد تفضل الملك فعين الكابتن أوليفر ليتلتون الذى كان فيما سبق رئيساً «للجنة التجارية» وزير دولة بوزارة الحرب فى مكان اللورد بيفربروك الذى صار وزيراً للتموين . يسافر الكابتن ليتلتون بطريق الجو ، والمتوقع وصوله الى القاهرة فى ٣ يوليو ومعه نواة من موظفى مكتبه . فانه سيمثل وزارة الحرب فى الشرق الأوسط ، ومهامه الرئيسية هى تخفيف جميع الأعباء غير الحربية الأصلية عن القيادة العليا، وأن يبت محلياً وعلى الفور وفقاً لسياسة حكومة جلالة الملك فى كثير من المسائل التى تدخل فى اختصاص عدة مصالح أو سلطات والتى اقتضت حتى الآن إحالتها الى الحكومة بلندن للبت فيها . وهذا منطبق لحد كبير على برقيتك المؤرخة فى ١٨ ابريل ، بل وتذهب الى ابعد منها كثيراً . أما التعليمات التى سأزود بها الكابتن ليتلتون فستصلكم فيما بعد .

ارجوك أن تبلغ مضمون هذه البرقية الى الجنرال اوكنلك لدى وصوله والى السير ميلز لامبسون . ويجب التزام منتهى السرية عن أمر سفر الكابتن ليتلتون ومهمته لحين وصوله .

ان جميع هذه الترتيبات وما كان لها من رد فعل كانت مناسبة تماماً للتغيرات فى قيادة الشرق الأوسط . وانى لا أستطيع أن

أجملها في بيان أوضح من البرقية التي أرسلتها الى الرئيس روزفلت الذي كان يسدى إلينا أفضل مساعدة مادية في هذا المسرح :

من رئيس الوزراء الى الرئيس روزفلت :

٤ يوليو سنة ١٩٤١

ان الاعتبارات الوارد بيانها بعد كان لها أثرها في تقرير التغيير في الشرق الأوسط . ان لويفل تاريخاً مجيداً اذ أنه دمر الجيش الايطالي كلية ، وقهر الامبراطورية الايطالية في افريقيا . وقد أبلى بلاء حسنا ضد هجمات الالمانيين ، وكان يدير عمليات الحرب وسياسته في ثلاث أو أربع اتجاهات في آن واحد منذ بداية الصراع . واني اعتبره أفضل جنرالانا الممتازين . ومع ذلك ، ولو أنه لا ينبغي أن نصرح بهذا جهارا ، فاننا نشعر بعد الجهد العظيم الذي بذله ، بأنه امسى متعبا ، وان الحال تتطلب عينا جديدة ويدا لم يضنها الاجهاد . في هذا المسرح الذي يستهدف لأشد الخطر .

اما أفضل ضابط يمكن أن يحل محل الجنرال ويقل فهو الجنرال أوكنلك ، القائد العام بالهند . وانا لعلى ثقة بأن أوكنلك سيبعث نشاطا جديدا ، ودقة متناهية في دفاعات وادى النيل ، بينما يكون ويقل قائدا عاما بارعا في الهند ، وأنه سيساعد أوكنلك في المنطقة العظيمة التي تشملها الهند الآن كلما ازداد تحرك جناحنا الأيمن شرقا . وويقل بوصفه القائد العام بالهند ستصبح العمليات الحربية بالعراق داخلة في دائرة اختصاصه .

لقد تقبل ويقل هذا القرار بقبول كريم وقال أنه يرى اننا توخينا الحكمة في اجراء هذا التغيير ، واننا بذلك نكتسب آراء جديدة ، وتدابير حكيمة ، فيما يتعلق بمشاكل الشرق الأوسط . واكد لى نائب الملك ان تاريخ ويقل اللامع سيصادف استقبالا حارا في الهند ، من الجيش ومن الراى العام .

ان فترة السكون الحالية في الهجوم الالماني على الشرق الأوسط قد هيأت الفرصة المناسبة لاجداث هذا التغيير . وهذا يتفق ايضا

مع تعيين « أوليفر ليتلتون » وزيرا للدولة لينوب عن وزارة الحرب في هذا المسرح وليخفف عن القواد الكبار كثيرا من الأعباء التي لا تتعلق بالمهام الحربية ، وكانت هذه العمليات قد أثقلت كاهلهم ، كالعلاقات مع الفرنسيين الأحرار ، والعلاقات مع امبراطور الحبشة ، وإدارة أقاليم الأعداء المحتلة ، والحرب الاقتصادية . وسيتولى وزير الدولة أيضا الإشراف العام على نشاط « الجنرال المشرف » (وهذه الوظيفة مبتكرة أيضا Intendant-General) وعلى جميع الشؤون المحلية المتعلقة بالتموين والإمداد الوارد من الولايات المتحدة .

وسيخفف « الجنرال المشرف » (وهو الجنرال هاننج) عن قائد عام الجيش عبء الإشراف على الخدمات الإدارية لمؤخرة الجيش وعلى ترتيبات الإمداد والتموين .

ونأمل أن تكون نتائج جميع هذه التغييرات مضاعفة للنشاط والاقدام في جهودنا في الشرق الأوسط ، وضمان حسن استخدام الموارد الهائلة التي تتدفق على الشرق الأوسط من المملكة المتحدة ، والامبراطورية من وراء البحار ، والولايات المتحدة ، على أفضل وجه ممكن .

ولاريب أن « هاريمان » سيوافيكم بالتقارير عن كل هذا . وسنطلب اليه أن ينتظر وصول « ليتلتون » الى القاهرة (ونأمل أن يكون ذلك في ٥ يوليو) كي يتسنى له جمع وتنسيق جميع المعلومات ، وأن يصدر القرارات الخاصة باستقبال المؤن الأمريكية .

خاتمة

« ان مقر الرئاسة الفعلي للجيش ، في هذه الأيام
لا يوجد في الميدان ، ولكنه حيث توجد الحكومة » •

روبرتسن

مستند

و لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة شاقة

قال ألكسندر كليفوردي في كتابه « ثلاثة ضد رومل » تحت عنوان : « دروس » : « ان البريطانيين ليسوا محاربين بطبيعتهم ، ولهذا كانوا أيام السلم يرعون حديقة السلام ، دون أن يفكروا في اقامة سور يحمي هذه الحديقة ، مستندين الى جيران لا يعول عليهم •

وعندما جد الجد ، راح البريطانيون يحاولون أن يصنعوا من الفأس سيفاً ، فكان طبيعياً أن لا يجديهم هذا السيف نفعا • وقد أرسلوا بعثة من أبناء جيشهم الى شمال أفريقيا ، ليتعلموا هناك أساليب التكتيك الحديثة ، وليقوموا بالتجارب على نحو ما فعلت ألمانيا في أسبانيا •

فجيش ويثل لم يكن سوى « نواة » لجيش ، ولكنه استطاع بالحيلة والخديعة ، أن ينتصر على جيش كبير •

ومر عام ، وجاء جيش أوكنلك ، وكانت نواته « جيش ويثل » ، وكان عليه أن يقف في وجه جيش « تام الخلقة » ، ثم عليه أن يقف في وجه الألمان الذين ينحدرون من أمة امتشقت الحسام ، منذ أقدم تاريخها •

وأخيراً جاء رومل ليلقن البريطانيين الدرس الثاني في الحرب بالصحراء ، وفق الأساليب الحديثة •

وفي الشتاء كان جيش أوكنلك قد أصبح « يافعا » ولكنه كان يقف أمام جيش « فتى » من الألمان . فخر أوكنلك الكثير من معداته ، وكان عليه أن ينظم صفوفه ، ويراجع خطته ، ليعاود الهجوم بعد الاعتصام بالاستحكامات الدفاعية .

وعند العلمين يكون رومل قد أفرغ الى البريطانيين كل ماله من علم ، وفن ، وأساليب . وكان على التلاميذ أن ينازلوا الأستاذ ، مستخدمين أساليبه ، وطرائقه في الهجوم ، والدفاع .

وحين زار المستر تشرشل القاهرة ، كان أوكنلك قد أعفى من القيادة ، وحل محله ألكسندر ، وموتجمري للجيش الثامن ، بدلا من ريتشى . وهذا بعينه ما حدث من قبل حين أعفى ويثل من منصبه وحل محله أوكنلك ، فكأنما الشرق الأوسط ، يسير على سياسة ثابتة في كل عام ، فويثل قد انتصر على جيش كبير ثم هزم ، وكذلك حدث لأوكنلك ، ولكن على نطاق واسع ، بيد أن هناك فارق بين الرجلين ؛ فويثل كان عبقريا في وقت عزت فيه العبقرية ، أما أوكنلك فهو قائد موهوب لاشك ، ولكنه غير موفق في اختيار ضباطه الكبار ، كما حدث في اختيار قواد الجيش الثامن : « كانتهام ، وريتشى » .

وهذا الرأي ، لاشك ، فيه انصاف ، على الرغم من كتابته في أعقاب الحرب مباشرة ، ولم تكن قد ظهرت الوثائق التي تؤيده في كثير من عباراته . . . ولاشك أن ويثل من أعظم الأسماء التي برزت في تاريخ الجيش البريطاني . . . لقد روى ذات مرة أنه حين

كان ضابطا حديثا ، أخبره صديق له من سلاح المدفعية ، ماتتعرض له الأسلحة الجديدة من عنف وشدة عند اختبار صلاحيتها للمعركة ، فكانوا كلما عرض على « لجنة المدفعية » نموذج لمدفع من المدافع الجبلية ، يتضمن تصميمًا جديدًا ، كانت هذه الهيئة الموقرة ، تأمر بنقل المدفع الى قمة برج ، يبلغ ارتفاعه نحو مائة قدم ، ثم يقذف به من ذلك العلو الشاهق الى الأرض ، فاذا ظل المدفع صالحا لأداء وظيفته ، فيصدر القرار بأن تجرى عليه التجارب الأخرى ، واذا تعطل كان مصيره الرفض . . بدعوى أنه هش « رهيف » . وهكذا كانت التجارب التي مرت بويقل ابان خدمته العاملة المتنوعة ، الطويلة الأمد ، لا تقل في صرامتها وخشوتتها ، عن اختبار المدافع الجبلية القديمة .

عندما نشبت الحرب كان في رتبة القيادة العليا ، وكان عليه أن يبدأ الحرب في مراحلها الأولى ، بما لديه من نقص في الرجال ، والعتاد ، فعمل على تذليل السبل لمن جاء بعده ، ومهد له في احراز النصر ، ولكنه لم يسلم من النهاية المحتومة ، لمن يعهد اليه بمهمة القتال في المراحل الأولى من الحروب ، فهي مهمة شاقة عسيرة ، ولا شكران عليها .

قال ويقل : « لقد دعيت الى النهوض بعبء لا تتوافر لدىّ فيه الوسائل الكافية لتنفيذه ، غير أنى حملت العبء كاملا ما استطعت الى ذلك سبيلا » .

ضغط تشرشل

لقد كان رئيس الحكومة رجلا عرف بميله الى فرض آرائه الاستراتيجية والسياسية على القواد المحليين ، غير مبال أن لهم ميزة الاحاطة بالموقف الذى هم فيه . فاذا أخفقت العملية كما كان الحال فى اليونان وجد لها مبررا أخلاقيا يدفع به عن نفسه أثر التدخل . لقد كان تشرشل دائب الالاحاح على القادة للقيام بالعمليات فورا ، فاذا طلبوا مهلة ، استحثهم ، وبادر الى دفعهم بشتى الوسائل التى يملكها ، ولقد كان ويثقل يبذل قصارى جهده فى مقاومته ، بالاحتجاج أحيانا ، وبالتهديد بالاستقالة .. ولكن تشرشل كان يضغط ، ويلح . وإليك مثالا بسيطا له دلالة بعيدة على نزعة تشرشل الاستبدادية ما انطوت عليه هذه البرقية التى تدل على نفسها بنفسها .

من رئيس الوزراء ، الى وزير المستعمرات :

أول مارس ١٩٤١

« الجنرال ويثقل ، مثل معظم ضباطنا العسكريين ، يتشيع للعرب بشدة . فعندما منحنا التصاريح لركاب السفينة الجانحة بالمهاجرين اليهود ، للدخول الى فلسطين ، أرسل برقية ، ليست أقل شدة من هذه ، متوقعا كوارث خطيرة على نطاق واسع فى البلاد العربية ، مع احتمال ضياع طريق « البصرة — بغداد — حيفا » . عليكم الاطلاع على البرقية، وردى عليها الذى غلبت فيه رأى على الجنرال

ووضحت له أسباب قرار مجلس الوزراء ... وسار كل شيء على ما يرام ... ولم ينبح كلب « !! » .

« واستتبع هذا أنى لست مقتنعا أقل الاقتناع بما جاء في البرقية ؛ فإن العرب ، تحت تأثير الانتصارات الحديثة (يقصد انتصارات ويثل في الصحراء الغربية) لن يقوموا بأية متاعب الآن ... وعلى أى حال فيما يتعلق بالسياسة اليونانية ، لا أريد من الجنرال ويثل أن يهتم الآن بالجدل الطويل ، فى أمور ليست لها نتائج عسكرية على الموقف المباشر . لهذا ينبغي أن يخطر الدكتور ويزمان (عميد الصهيونية) بأن مشروع انشاء الجيش اليهودى يجب أن يؤجل ستة أشهر ، على أن ينظر فى أمره ثانية فى مدى أربعة شهور ... والسبب الوحيد الذى يذكر له ، هو عدم توافر العتاد » .

هذه برقية تدل على أن تشرشل لم يغير من اها به الاستبدادى ، وأنه دائب التدخل فى شئون القواد ، وتغليب رأيه عليهم ، رغم قوله بأنه لم يمارس قط سلطات ديكتاتورية ! ...

ولعل القائد الوحيد بين سائر القواد الذى استطاع أن يواجهه هو موت تجمرى ، أما ويثل فيبدو أن الحياء أو الولاء ، كان يحول بينه وبين أن يخضد من ذلك العناد . وموت تجمرى فقط ... هو الذى لم يسمح له باملاء رغبته ، أو طغيان ارادته عليه ، ويحدثنا « ألن مورهد » يقول :

« لقد كان تشرشل ، ووزارة الحرب ، قلقين جدا على مصير « مالطة » التى كانت قد شارفت المجاعة تحت تهديد الغزو الايطالى

والألماني ، بجنود المظلات الموجودة بصقلية ، فأرسلوا الى الجنرال
ألكسندر ، القائد العام في الشرق الأوسط ، ورئيس مونتجمري
المباشر ، يطلبون اليه تقديم موعد الهجوم في العلمين الى سبتمبر ،
فبعث ألكسندر بالرسالة الى مونتجمري الذي رد قائلاً : « لا !
انى لست على استعداد بعد » • فضغط تشرشل ، جرياً على عادته ،
وكان الطلب في هذه المرة في صيغة الأمر ... فأرسل مونتجمري
رده بواسطة ألكسندر محتويًا هذه النقط الثلاث :

- ١ - اذا بدى الهجوم فى سبتمبر ، فسوف يفشل •
- ٢ - اذا انتظرت الى أكتوبر ، فانى اضمن النجاح شخصياً ،
بل وتدمير قوات رومل •
- ٣ - هل أقوم بالهجوم فى سبتمبر ؟ ••

وكان هذا أسلوباً من الابتزاز المؤدب ، فلم يسع تشرشل
الا النزول على رأيه ، والتسليم بوجهة نظره ! •

ان ويشل قد درس علاقة الجندي والسياسي ، دراسة مستفيضة ،
وقد ألقى محاضراته الشهيرة في « القادة والقيادة » فنوه بالخلاف
الذي نشب بين رئيس الوزراء لويد جورج ، والمارشال روبرتسن
وكانت عبارته التي ذكرها في هذا الصدد ، تدل على أنه ينحى
باللائمة على المارشال لأنه لم يترفق في حديثه مع رئيس الوزارة ،
ولم يصطنع المجاملة • وان كان روبرتسن محققاً في فكرته ، التي
تقضى بتركيز الجهد الرئيسى ، في الجبهة الغربية بسبب الضغط
على المواصلات • وكان ويشل يرى أن فكرة لويد جورج

الاستراتيجية سديدة ، اذ كان يريد أن يتفادى الركود السائد في مسرح العمليات بفرنسا ، بالناورة في مسرح الشرق الأوسط والبلقان • ولكن خطأه الأساسي ، كان في عدم المامه بالوجهة « الآلية » للحرب : كمعرفة الوقت اللازم لنقل القوات ، وتأثير الجو ، والجغرافيا على العمليات ... الخ .

ولو كان روبرتسن على شيء أكثر من المرونة ، ولويد جورج أقل صلابة في الرأي ، لتألفت منهما هيئة عظيمة الشأن •

ثم قال ويشل في صراحة بأن الجندى يميل الى تهوين المصاعب التي تعترض السياسى ، ثم ضرب مثلا في صيغة حوار يدلل به على ضيق الجندى ، ببطء السياسى في انجاز أى تدبير سياسى معين ، قد اتفق على أهميته ، كالتجنيد الاجبارى مثلا :

— الجندى : « اذا اتفقت على أن هذا يجب أن ينفذ فلماذا

لا تنفذه حالا ؟ ... » •

— السياسى : « عندما تصل الى نهر يحميه العدو ، وكان عليك

أن تجتازه ، لبلوغ غرضك ، هل تقتحمه فورا ، بدون امهال ؟ » •

— الجندى : « بالطبع لا ... فمن اللازم أولا أن أستكشف ،

وأن أحشد المدفعية ، وأن أنشىء « الكبارى » وأن أصرف انتباه

العدو عن نقطة العبور ... والى ما يماثل ذلك من التدابير » •

— السياسى : « ذلك هو شأنى بالضبط ، اذ يجب على أن

أهيء الرأي العام لهذا ، وأن أتوقع الاعتراضات ، وأن أضع نظاما

منصفا ، مساويا ، لكل الطبقات ، ثم أرتب الكشف الطبى للأفراد
المرشحين ، وأن أبت فى الاعفاءات ، وغير ذلك » •

ومع هذا كله فإن المارشال روبرتسن ، أستاذ ويثل فى كلية
أركان الحرب ، كان يرى غير مايرى ويثل ، وكان سبب الخلاف
بينه وبين رئيس الوزارة ، هو أنه كتب مرارا يعارض فكرة
رئيس الوزارة ، لويد جورج ، فى ارسال القوات الى الشرق
الأوسط — فلسطين ، والعراق ، والبلقان — بدعوى أنها تبديد
للجهد فى ميادين ثانوية ، بدلا من التركيز فى الميدان الغربى ، أمام
العدو الرئيسى ، الذى اذا هزم ، هزمت الممالك المرتبطة به ، فلما
عرض لويد جورج الأمر على المجلس الأعلى للحلفاء الذى
انعقد فى باريس برئاسة المسيو « كلمنصو » وطلب ابداء رأى
الخبراء العسكريين ، نهض روبرتسن ، وفند هذا رأى ، ووصفه
بأنه غير عملى ، وأن تنفيذه خطر ، قد يودى بالآمال فى كسب
الحرب ... ولم يؤيده فى هذا رأى « هيج » ولا « فوش »
ولا مندوبا إيطاليا وأمريكا ، وانتهت الجلسة بالموافقة عليه •
ولدى خروج روبرتسن ، بادر بالاعتذار لرئيس حكومته « لويد
جورج » لاعتراضه على خطته أمام المندوبين الأجانب • فرد عليه
لويد جورج غاضبا بل مؤنبا وقال : انه ما دام قد أخبره بوجهة
نظره ، فلم يكن هناك ما يسوغ تكرارها أمام المجلس ...

ويعقب عن ذلك روبرتسن بقوله : « ان هذا يخالف رأى لويد
جورج نفسه الذى أبداه أمام مجلس تحقيق حملة الدردنيل ، فانه

أقر رأى المجلس الذى يقول : « اذا لم يعرب الخبراء البحريون ، والعسكريون فى الوزارة عن اعتراضاتهم ، فان القانون يفترض أنهم قد وافقوا على ما حدث ... فاذا التزم الصمت الخبير العسكرى عن خطة يرى أنها غير صالحة ، مثل موقف اللورد « فيشر » فى مسألة الدردنيل ، فانه جدير باللوم على ذلك ، اذا باءت الخطة بالاخفاق » .

وهنا ذكر « روبرتسن » مسألة ضغط تشرشل على اللورد « فيشر » كى يحصل على موافقته فى حملة الدردنيل فقال « ان تشرشل يقول : هل كان من الخطأ توجيه هذا الضغط الى اللورد فيشر ؟ أنا لا أظن ذلك . ان الحرب عمل يتطلب الضغط الخطير ، وان أولئك الذين يساهمون فيها سوف يسقطون تحت أعبائه ، اذا لم يكونوا أقوىاء الى حد الكفاية ... فانى بوصفى رجلا مدنيا ، وسياسيا ، ما كان لى أن أوافق على مشروع حملة الدردنيل اذا كنت لا أومن به ... واذا كنت فى موقف اللورد فيشر ، وكان لى وجهة نظره ، لرفضت على طول الخط ... » (١) .

(١) أرسلت الحكومة البريطانية بناء على اقتراح المستر تشرشل ، حملة بحرية بريطانية ، لمهاجمة الدردنيل ، وحاولت انزال الجنود فى شبه جزيرة غاليبولى ، فى ١٨ مارس ١٩١٥ ، فباءت هذه الحملة بالاخفاق الذريع ، وتكبدت البحرية خسائر فادحة . ومن ثم بدأ الحلاف التاريخى بين تشرشل وزير البحرية ، ومستشاره الأميرال فيشر ، واتهم الثانى الأول بأنه أغفل نصيحته بشأن هذه الحملة ، واستقال محتجا على الحسائر التى منيت بها البحرية فى الدردنيل . فدفع تشرشل ثمن هذه المغامرة ، منصبه فى وزارة البحرية ، فاستقال منه وأسندت اليه وظيفة فخرية لا عمل فيها (دوقية لانكستر) .

فنحن الآن ازاء رأيين متناقضين في الحادث المشار اليه فيما يتعلق بالتبعات والعلاقات بين الجندى ، والسياسى ، فان موقف اللورد فيشر « قائد البحرية » كان ضعيفا ، عندما أثبتت مسألة حملة الدردنيل ، ومناقشتها ، في مجلس الحرب . لأنه قد التزم الصمت عندما أقر المجلس مشروع الحملة . وكان في قرارة نفسه ، لا يقره ، ويخالفه ، فلحق به اللوم والنقد لموقعه هذا . ومن ناحية أخرى ، حين اختلف روبرتسن ولويد جورج ، أدلى روبرتسن برأيه صراحة في المجلس ، وكان المفروض أن يلتزم الصمت ، فأخذه رئيس الحكومة على ذلك ... وبهذا ظل السؤال معلقا : هل يعد صمت الخبير العسكرى ، موافقة على خطة الرئيس المدنى ؟ ... ولكن المفروض أن القواد ، والخبراء : عسكريين ، وجويين ، وبحريين ، ينبغى أن يدلوا بأرائهم في صراحة ، وعليهم في الوقت نفسه أن يبدلوا ما فى وسعهم ، لرعاية حسن العلاقات بينهم وبين وزراءهم ويستجيبوا لمطالبهم ، فاذا كانت الدولة في حالة حرب ، وتعرضت أرواح أبنائها للخطر ، فانهم لا يكونون على ولاء لبلادهم اذا علموا بأن هناك خطة غير صالحة ، ولم يصرحوا بحكمهم عليها .

قال نابليون : « ان كل قائد عام ، يعهد اليه بتنفيذ خطة يراها غير صالحة ، يعد مجرما . ان واجبه يقتضيه الادلاء ببواعثه ، والمطالبة بتغيير الخطة . وأخيرا يقدم استقالته ، حتى لا يكون أداة للقضاء على جنوده » ولعل ويثقل يستحق بعض النقد الذى وجه اليه في صدد موافقته على حملة اليونان على الرغم مما يقوله المارشال سمطس ، الذى نجمل رأيه فيما يلى :

المارشال سمطس

« الحرب » دراما « هائلة لا يغيب عنها عنصر المأساة أبدا لفترة طويلة... فان جيش ويثل الظافر في شمال أفريقيا ، قد استنزفت قواته ، كى نفى بالعهد ، ونقوى جيش اليونان ، فى كفاحه الباسل ، غير المتكافئ — ضد جيوش الألمان ، والظليان ، الساحقة • فأسفر هذا عن هزيمة مزدوجة لنا : تقهقر فى شمال أفريقيا ••• وتقهر ، جلب لنا الكوارث ، فى اليونان ، فقدنا فيه حتى الاحتفاظ بكريت ، واستتبع ذلك توجيه اللوم الى ويثل •

ولقد كنت دائما ، مؤيدا لاستراتيجيته ، عن اقتناع • ولدى ذكريات حية ، لتلك المؤتمرات الجدية التى قررتها •

ان عملياتنا فى اليونان لم تكن خسارة كلها ••• اذ أنقذنا الشرف ••• ووفينا بالعهد الذى عاهدنا به ••• وهذان ••• لا يستهان بهما فى الشؤون العالمية •

بل لقد حصلنا على أكثر من ذلك ، خلال الستة الأسابيع التى أو قفنا فيها العدو باليونان ، بتأميننا المواقع التى كان ينوى التقدم إليها ••• فلقد منعناه من التقدم الى العراق ، والخليج الفارسى ، ولعلنا قد ضمنا بذلك ، المستقبل الكلى ، لقضية الحلفاء فى مسرح الشرق الأوسط الحيوى •

وليس هذا كل شيء ، فقد فسرت لنا محاكمات « نورمبرج »

مغزى عمليات اليونان ، وأثرها الخطير . . . ان لدينا الآن اعترافا مسجلا على الورق ، لرئيس أركان حرب الجيش الألماني ، الذى يقول : « ان الستة الأسابيع التى ضاعت علينا فى اليونان قد عطلت حملتنا على روسيا ، طوال هذا الوقت الثمين . . . وبقدوم الشتاء أضحى ذلك التأخير سببا فى استحالة الاستيلاء على « موسكو » ، وبذا خسرت ألمانيا الحرب .

ان الهزيمة فى شمال أفريقيا قد عوضها الجيش البريطانى الثامن . . . ولكن الوقت الذى فقده الألمان بسبب وفائنا بعهدنا لليونان لم يتمكنوا من تعويضه ، وأفضى الى نتائج قد بررت عمليات ويقل . . .

هذا هو العامل الأدبى فى الحرب . . . وهذا هو روح التاريخ الساخرة » .

ان هذا دفاع عن الاستراتيجية التى ساهم فيها سمطس بالرأى ، ولعله كان صاحب الفكرة الأولى فيها ، كما يتضح من رسائله لتشرشل . وما جاء فى تعليقه ليس بجديد ، كما جاء فى باب « الاستراتيجية والسياسة » ، شئ كثير منه ، ولكن الجديد فيه هو اعترافه بأن ويقل قد استهدف للنقد المرير ، من جراء استراتيجيته التى أفضت الى النكبات . . . ولم يكن مسئولا عنها ، وانما المسئول الأول ، هو المستر تشرشل ، الموجه لدفة الحرب فى الميادين كلها .

السياسى - الجندى

قد تجلت فى هذه الحرب ظاهرة ، بدأت فى حرب عام ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ألا وهى اشراف العنصر المدنى على السياسة العسكرية ، فقد ألقى على عاتقهم مسئوليات ، لا فكاك منها ، لا تشمل مجرد التأييد المالى أو التشريعى فحسب ، بل الاشتراك - قليلا أو كثيرا - فى ادارة العمليات الحربية ذاتها ، وهنا يطغى المدنى على المجال التقليدى للجندى ، فيؤدى ذلك الى بسط ميدان فسيح للخلافات « المدنية - العسكرية » وبواعث الاحتكاك .

ففى الحرب العالمية الأولى ، كان العامل المادى له خطره الحاسم فيها من : ذخيرة ، وتموين ، وعتاد ، ومهمات . وقد دل هذا بجلاء على أنه ليس فى مقدور القواد العسكريين تنظيم الموارد القومية وادارتها بكفاية فى ذلك النضال ، وكان لابد من تعاون المدنى والعسكرى ، تعاوننا وثيقا ، فان فى ديسمبر سنة ١٩١٤ كانت مطالب الذخيرة مثلا ، لقوات المدفعية البريطانية لا تتجاوز ٥٠ طلقة فى اليوم لمدفع الميدان ١٨ رطلا ، و ٤٠ طلقة لمدفع الهاويتزر ٤٥ بوصة ، و ٢٥ طلقة لمدفع ٤٧ بوصة ، ولكن فى سبتمبر سنة ١٩١٨ كان استهلاك المدفعية وحدها ٢١ ألف طن ذخيرة يوميا .

ولقد بذل « لويد جورج » ، جهودا جبارة فى حل المشاكل العسكرية ، والصناعية ، والسياسية ، فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ،

ولو أن لويد جورج لم تكن له ثقافة أو خبرة عسكرية ، وكان طوال حياته يشتغل بالمسائل الاجتماعية ، والقانونية ، والسياسية . أما تشرشل فقد نال قسطا يسيرا من التدريب العسكرى فى الكلية الحربية بـ « ساند هرست » وخدم فى كتيبة بالهند ، ثم عمل بعد ذلك مراسلا حربيا فى حرب جنوب أفريقيا ، واشتغل بتأليف الكتب التاريخية ، وانغمس فى غمار السياسة ، وكان منذ سنة ١٩١١ وهو مهتم بالبحث فى المسائل البحرية .

وقد قيل ان مواهب تشرشل العسكرية ، خير من مواهبه السياسية ، وانه فى منصب وزير الحربية ، أفضل منه فى منصب رئيس الوزارة .

وكان هو والمستر لويد جورج ، صاحبا الفكرة الاستراتيجية الماثورة — أوزعيما « المدرسة الشرقية » — التى تقول بأن بلوغ النصر فى الميادين الشرقية — أى فى الشرق الأوسط والبلقان — أيسر كلفة وجهدا ، وأقل خسائر فى العتاد والأرواح ، من الميدان الغربى . وكان يتزعم الفكرة المناهضة لهذه ، والتى تسمى « بالمدرسة الغربية » الجنرال روبرتسن رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية ، والجنرال « هيج » ، قائد الحملة البريطانية ، وقواد فرنسا وساستهم . وتنحصر الفكرة فى أن تركيز الجهد ، فى الميدان الغربى ، أمام العدو الرئيسى ، كفىل بكسب الحرب .

وكان تشرشل ، بما أوتى من قوة الحجة ، وبراعة الأداء ، يواصل حملته لتأييد فكرته فيقول : « تكتسب المعارك بالضحايا والمناورة ، فكلما كان القائد عظيما ، كلما لجأ الى المناورة ، واذا

كان أقل عظمة ، طالب بالضحايا • ان جميع المعارك التاريخية ، التي ذهبت مثلاً بارعا في الفن العسكري ، كانت نتيجة المناورة ••• حيث وجد العدو نفسه فيها ، مهزوما ، بحيلة مبتكرة ، أو وسيلة فريدة ، أو ضربة سريعة ، غير مألوفة ، ولا متوقعة » •

ولقد ظل تشرشل يؤمن بنظريته هذه ، الى الحرب العالمية الثانية ، ابان نهوضه بإدارة دفعة الحرب ، وتوجيهها • فلما توالى النكبات في الشرق الأوسط ، كان تشرشل موضع نقد ، ومؤاخذة من كثير ، لتدخله في الشؤون العسكرية البحتة ••• فوجه الى ناقيده ولأئميهِ ، كلمة في خطابه أمام « الكونجرس » الأمريكي في ١٩ مايو سنة ١٩٤٣ يصف مهمته ، ودوره في الحرب فقال : « ان الحرب الحديثة ، حرب شاملة ، تتطلب ادارتها تعضيد رؤساء الحكومات ، لقادتها الفنيين ، وتوجيههم ، اذا لزم الأمر • وذلك لما لرؤساء الحكومات من دراية ، لا تمكنهم من ادراك المسائل العسكرية فحسب ، بل والمسائل السياسية ، والاقتصادية القائمة ، والذين لهم من القوة والنفوذ ، مايسمح لهم بحصرها وصرفها الى الغرض » •

ان هذا أوجز تعريف وأوضحه لمهمة « السياسي — الجندي » (Statesman-Soldier) في الحرب الحديثة •

واذا ذكرنا تشرشل في الحرب العالمية الثانية ، فلن نغفل لويد جورج وكلمنصو ، في الحرب العالمية الأولى ••• فكان تشرشل يعتمد على ضابط يكون نقطة الاتصال بينه وبين رؤساء أركان

الحرب ، هو الجنرال أسماي (Ismay) وكان « كلمنصو » كذلك يعاونه الجنرال موردالك (Mordacq) .

وما يؤسف له أن « كلمنصو » اختلف مع قائد الحلفاء العسكري المارشال « فوش » ، مثل لويد جورج وروبرتسن ، الى الحد الذي جعله يؤنبه علانية أمام « مجلس الحرب الأعلى للحلفاء » الذي عقد في لندن في ١٤ مارس سنة ١٩١٨ ، اذ صاح به : « ... أصمت ! ... انى أنا الذى يمثل فرنسا هنا ! ... » .

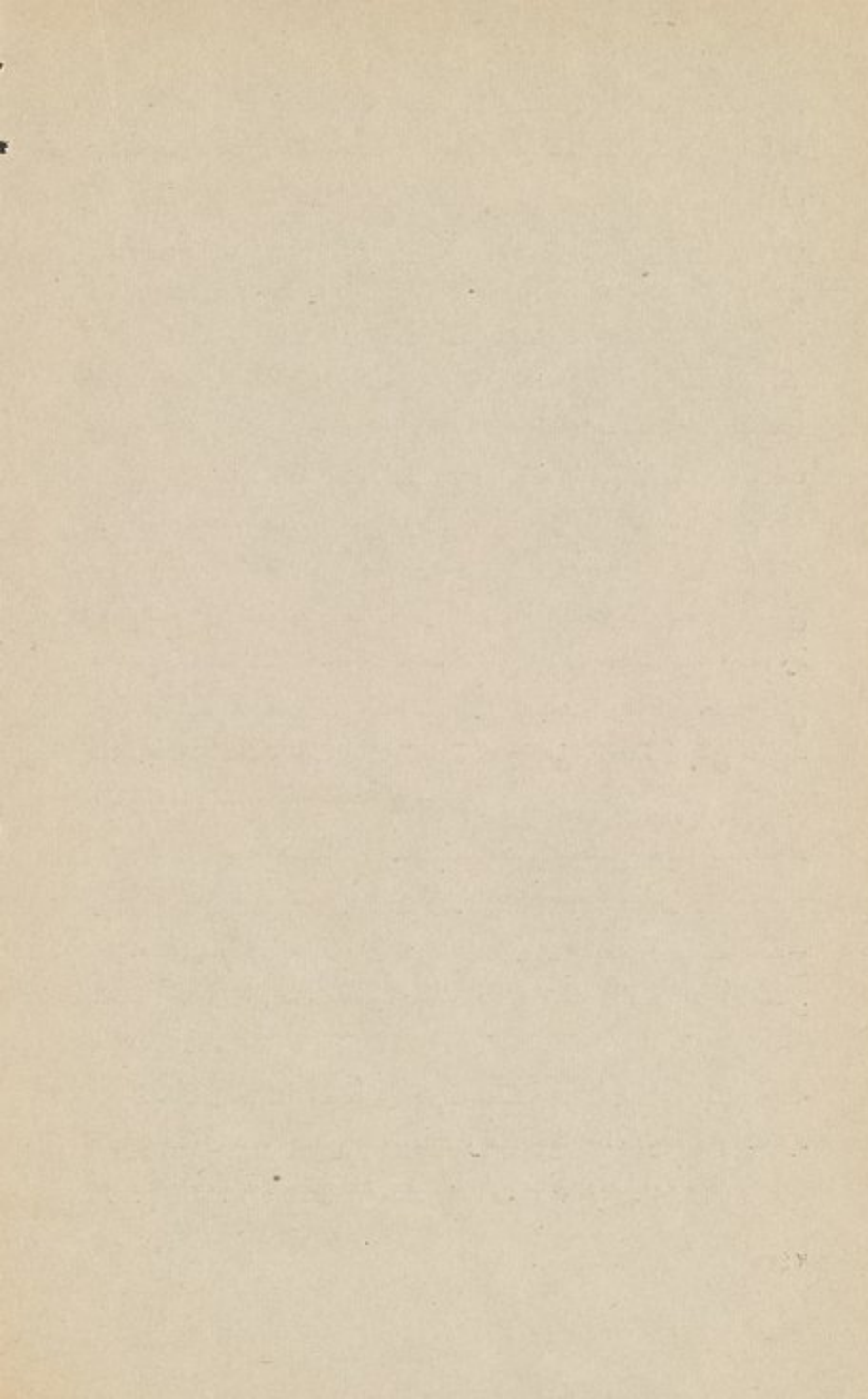
وعلى الرغم من النقد الذى وجه فى وقت من الأوقات الى المستر تشرشل خاصا بتحيزه وتقلبه فى علاقاته ببعض القواد ، وما قيل عنه منذ الحرب العالمية الأولى بأنه يبالغ فى حبه ، كما يغالى فى بغضه لبعضهم ، فان علاقاته بهم ، وعلاقاتهم به ، كانت على الود والولاء ، وانكار الذات ، فى سبيل تحقيق الهدف الأسمى .

كان القواد يقدرّون له مواقفه فى الدفاع عنهم ، اذا تورطوا فى الخطأ ، بعض الأحيان ، أو ضاق رأى العام بهم . (ولعل النقد كان أحيانا لتدخله فى شئونهم ، أو لتوجيهه لسياستهم) . ولنضرب مثالا من دفاعه القيم فى البرلمان البريطانى ، عندما أثرت مناقشة حامية ، حول تقهقر قوات الصحراء أمام رومل فى يونيه ١٩٤٢ ، وطلب أحد نواب حزب المحافظين ، سحب الثقة من الحكومة لفشلها فى ادارة الحرب ، وطالب بتغيير الوزراء ، والقواد بغيرهم ، يكونون أكثر صلابة ، على أن تترك لهم حرية العمل فى توجيه دفة الحرب . لقد قال المستر تشرشل ردا على ذلك ، بعد خطاب تفصيلي صريح

للمعركة : « اذا كان ذلك القائد (أو كئلك) أخطأ التقدير ، فمسئولية ذلك لا تقع عليه وحده ، بل تقع علينا نحن أيضا • وأنا نيابة عن الحكومة أتحمّل نصيبى من المسؤولية » ثم أضاف تشرشل : « ان ضعف القيادة كان من العوامل التى أدت الى هذه الحالة السيئة (يقصد ريتشى) » • ثم قال : « غير أنى أرغب فى أن الحكومة يجب أن تقف سدا منيعا بين نقد الرأى العام ، وقيادة الجيش ، البرية والبحرية ، وأن تمنح القواد فرصة ، وأكثر من فرصة ، لأن الرجال قد يرتكبون أخطاء يستفيدون بنتائجها ويتعلمون منها ، وقد يصادفهم سوء الحظ الذى لا يلبث الموقف أن يجعله لمصلحتهم ، وليس لنا أن نطالب قوادنا بمخاطرات معينة ، مالم نجعلهم يشعرون بأنهم موضع ثقة ، وليسوا محل انتقاد • ولا يصح أن نشغلهم بأمور غير الاهتمام بالعدو ، وليس من حق المجلس أن يطالب الحكومة بأعمال على جانب عظيم من الخطورة دون أن يشعرها باخلاص النفوس التى تؤيدها ، وقوة الأغلبية التى تسندها • والحكومات ابان الحرب تعجز عن الحصول على ماتريد مالم تؤيد وتمنح ثقة مطلقة » •

وكان نتيجة هذا الخطاب ، اقبال المجلس باب المناقشة ، واعلانه الثقة بالحكومة بأغلبية قدرها ٤٧٥ صوتا مقابل ٢٥ صوتا • ان فى هذا دلالة على أن تشرشل كان فى وسعه أن يكبح جماح المجلس ، فى الوقت الذى يملك فيه زمام القواد فى شتى الميادين ...

لقد كان حاكما مطلقا فى فترة عصيبة مرت ببلاده التى أولته ثقته ، فكان عند حسن ظنه بها ، رغم أخطائه الكثيرة ، وأفكاره الجريئة الخطيرة ، حتى قاد سفينتها الى مرفأ النصر ...



المحتويات

تصدير ٥

القائد ١

الوراثة والبيئة - ثلاثة جنرالات - طفولة ويقل - كلية
ونشستر - الكلية الحربية - الحرس الأسود - كلية اركان
الحرب - روسيا - فرنسا - فلسطين - الاستيداع -
اللواء السادس - الاستيداع ثانية - الفرقة الثانية المشاة -
استعداد الروس - فلسطين ثانية - القيادة الجنوبية -
قيادة الشرق الأوسط .

معركة مثالية ٣١

الحرب العالمية الثانية - التجهيز للمعركة - الموقف العام -
انهيار فرنسا - موقف ويقل - الاسكندرية والسويس -
تقرير للوزارة - خطة الصحراء - خطة السودان - محاولات
أخرى - اجتماعيات - وحدة جديدة بالصحراء - كسلا
والصومال - تشرشل ويقل - سبتمبر ١٩٤٠ - هجوم -
توقف - تموين الشرق الأوسط - بدء الهجوم - السودان
في أكتوبر ١٩٤٠ - غزوة اليونان - شرق أفريقيا - في
الصحراء الغربية - خطوة جريئة - ديسمبر ١٩٤٠ -
معركة سيدى برانى - يناير ١٩٤١ - برديا - في السودان -
في اليونان - الموقف العام - برقة - تعقيب موسولينى -
السودان - يوم مشئوم - بداية المتاعب - الخطة -
تركيا - تعديل الخطة - مسكين - أسمره واديس ابابا .

معارك خاسرة ٩٣

مفاجأة رومل - كبار القواد أسرى - قرارات - هبوط
اضطرابي - اليونان في ابريل ١٩٤١ - استسلام
يوغوسلافيا - معركة اليونان - الانسحاب - الجلاء -
دروس - معركة كريت - أسئلة؟ - مخبرات خاطئة -
نقد النقد - كتاب « عملية النصر » .

السياسة والاستراتيجية ١٢١

مغامرة اليونان - دفاع ايدن - أسباب الفشل - الجنرال
كولنز - العوامل العسكرية - العوامل السياسية - معركة
روسيا - وقفة ويفل - أمر يومي - « ليدل هارت » -
عود الى كريت .

العراق وسوريا ١٥٩

معركة العراق - تعقيب - معركة سوريا - خلاف
وتبرير .

رومل ١٧٩

جندى عظيم - حياته - حامية طبرق - ويفل ضد رومل -
العملية الأخيرة - الأمر بالانسحاب - تعليق ناقد - المدفع
٨٨ ملمتر - اعفاؤه من منصبه - أمر وداعي - يوليو
١٩٤١ - اعتراف - قامر ٠٠ وريح - ويفل عبقرية
عسكرية - مجهود ويفل الأخير .

خاتمة ٢٢٥

مهمة شاقة - ضغط تشرشل - المرشال سمطس -
« السياسي - الجندى » .

بيان الصور

حاضرة صاحب الجلالة القائد الأعلى	٥
فيلد مارشال ويقل	١
قادة الجيش المصرى، وويقل وولسن	٢٥
مؤتمر فى وزارة الدفاع المصرية	٤٣
الجنرالان ويقل وأوكنر	٧٠
قواد الشرق الأوسط	١٠٥
رومل فى الصحراء الغربية	١٨٠

بيان الخرائط

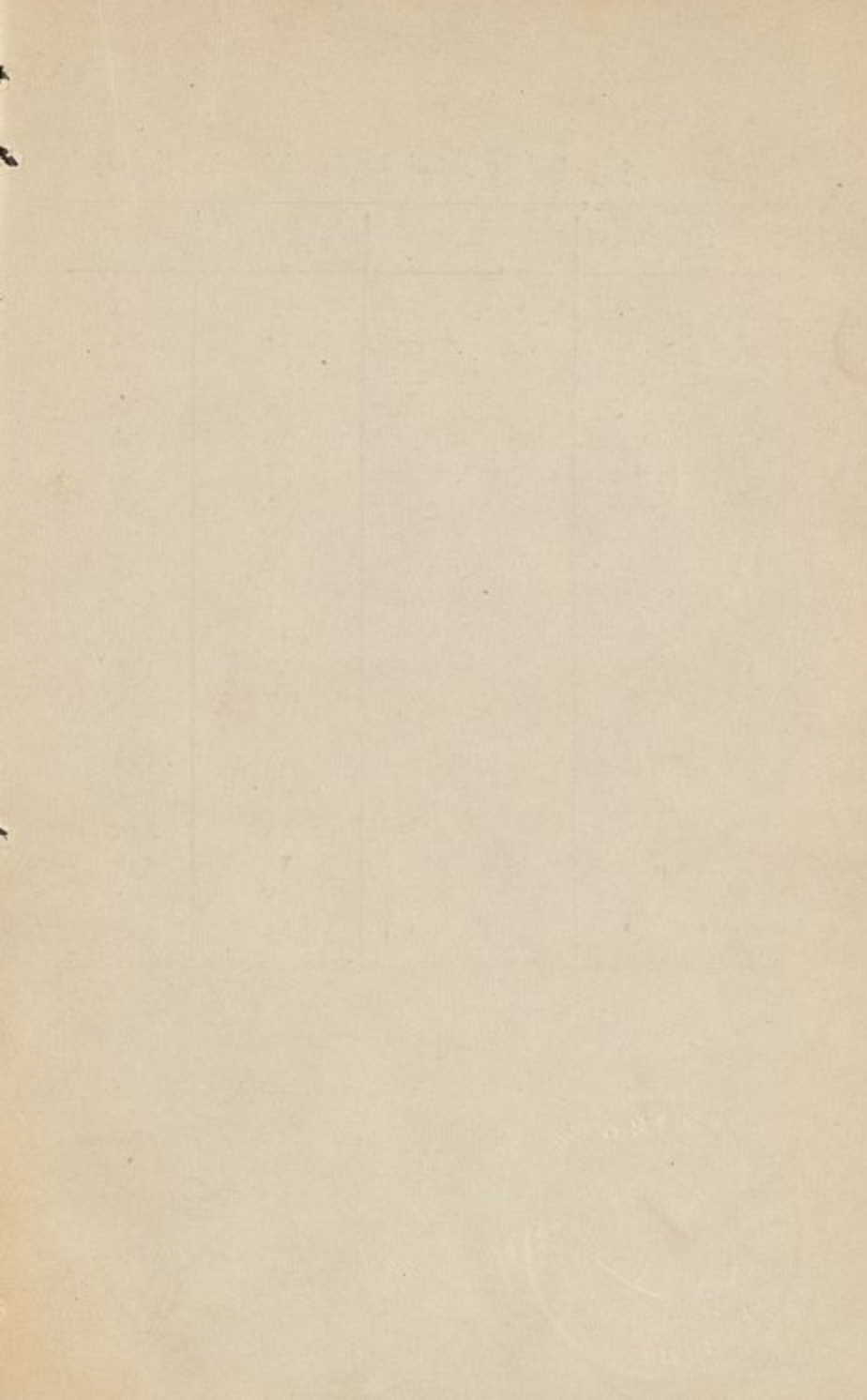
خطة الألمان فى مهاجمة الشرق الأوسط	س
رئاسة الشرق الأوسط	٢٧
معركة سيدى برانى	٦٩
الحملة البريطانية فى شرق أفريقيا	٩٠
حملة اليونان - كريت	١٠٣
من فلسطين الى ايران	١٦٤
معركة ليبيا	١٨٩
معركة البوصلة	٢١٠

المراجع

- The Second World War, Vol. II III *Churchill*
 The Second World War *Cyril Falls.*
 War Through The Ages *Lynn Montross.*
 The Art of War on Land *Lt. Col. Alfred H. Burne.*
 A Study of War *Quincy Wright*
 Story of the War *Daily Telegraph*
 The Good Soldier *Wavell.*
 Speaking Generally *Wavell.*
 Operation Victory .. *General Sir Francis De Guingand.*
 Lord Wavell *General R.J. Collins.*
 Great Soldiers of the 2 World Wars . *H.A. De Weerd.*
 From Wellington to Wavell *Sir George Arthur.*
 Defence of the West *Liddell Hart.*
 Eight Years Overseas *Field Marshal Lord Wilson.*
 Makers of Modern Strategy *Earle.*
 Soldiers and Statesmen .. *F.M. Sir William Robertson.*
 Rommel *Desmond Young.*
 Montgomery *Alan Moorhead.*
 Observer Profiles *Ivor Brown*
 Allenby, Soldier and Statesman *Wavell.*
 Egypt and the Second World War *Jean Legaul.*
 Arabs Oil and History *Kermit Roosevelt.*
 Cairo to Riyadh Diary *George Bilainkin.*
 The Army Quarterly, Journal of the Royal United
 Services Institution. The Royal Engineers Journal.
 The Use of History *A.L. Rowse.*
 Three Against Rommel *Alexander Clifford.*
 Wavell *R.H. Kierman.*

وقعت للأسف أخطاء مطبعية نستدركها فيما يلي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	تحت الصورة	الجنرال ويقل الخ	فيلد مارشال ويقل
١٥	١٠	الضباط	الضابط
٥٦	١٠	البريطانية	البريطانيين
٦٠	١٤	من	عن
٦٦	١٨	الجنرالات	الجنرالان
٦٩	٢	بيير عتبة	بيير عنبه
٦٩	٤	المدافع	والمدافع
٦٩	٧	سم	قسم
٨٠	١٣	١٣ ألف	١٣٠ ألف
١٠٢	١٤	الهنغاريا	الهنغارية
١٠٨	١٣	الشجعان	الشجعان
١١٣	١٢	واشتركنا	واشتركنا
١١٩	٣	ما بقي	ما بقي من
١١٩	١٣	اليونان	اليونانيين
١١٩	٢١	البريطانيين	للبريطانيين
١٢٧	٢٠	مالم تلوح	مالم تلح
١٤٢	١٢	كأنه نوعا	كأنه نوع
١٤٣	٢٢	حينذاك	حينذاك
١٧٦	٧	تقضى	تقضى
١٨٣	١٤	« »	« »





١٥١
مَلْتَزِمَةُ النَشْرِ وَالطَبْعِ
مَكْتَبَةُ النَخْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072237249